

الأعمال الشعرية الكاملة

فدوى طوقان

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر

المركز الرئيسي:
بيروت، ساقية الجنزير، بناية
برج الكارلتون، ص.ب: ٥٤٦٠-١١
العنوان البرقي: موكيالي، هـ ٨٠٧٩٠٠/٨
تلكس: LE/DIRKAY ٤٠٠٦٧

التوزيع في الأردن:
دار الفارس للنشر والتوزيع: عمان
ص.ب: ٩١٥٧، هاتف: ٦٠٥٤٣٢، فاكس
٦٨٥٥٠١ - تلكس ٢١٤٩٧

الطبعة الأولى

١٩٩٣

الأعمال الشعرية الكاملة

فدوى طوقان

الشاعر



المؤسسة العربية للدراسات والنشر

وحدي مع الأيام

الاهداء

الى روح شقيقي ابراهيم . .

فدوى

مع المروج

هـذي فتـاتـك يـا مـروج ، فهـل عــرفتِ صـدى خــطاهـا
عــادت اليــك مــع الــربيــع الحلو يــا مثــوى صبــاهــا
عــادت اليــك ولا رفـيـق عــلى الــدروب ســوى رؤاهــا
كـالأمس ، كـالغـد ، ثـرّة الأشــواق . . مشبـوبــاً هـواهــا

*

هـي يــا مــروج الـسـفــح مـثــلك ، إنها بـنــت الجبــال
« جــرزيــم » روّى قـلبــهــا وسـقــاه مــن خمــر الخيــال
درجت عــلى السفـح الخضـيـر ، عــلى المنــابـع والــظلال
روحاً تفتّح لــلطبــيــعــة ، لــلطلاقــة ، لــلجــمــال !

*

روحــاً شــفـيــفــاً رقّــقــتــه لــطافــة الجــوّ الــنــضــير
ومـفــاتن الـسفــح الـغنيّ ، وخـضــرة الــوادي الـشـجــير

روحاً رهيف الحس ، متّقد العواطف والشعور
يهوى الجمال ، يعبّ لا يروى ، من الفيض الكبير !

*

قد جئت ، ها انا ، فافتحي القلب الرحيب وعانقيني
قد جئت أسند ههنا رأسي الى الصدر الحنون
وأظل أنهل من نقاء الصمتِ ، من نبع السكون
فهنا بحضنك أستريح ، أغيب ، أغرق في حنيني

*

وهنا ، هنا ، في جوّك المسحور ، جو الشاعريَّة
كم رحت أستوحي الصفاء رؤى خيالاتي النقيّة
فتضمّني في نعسة الإلهام أجنحة خفيّة
تسمو بروحي فوق دنيا الناس ، فوق الآدمية

*

كم رحت أرقب في انجذابي طلعة القمر الرهيف
متوحّداً ، تلقي الغيوم عليه هفهافَ السجوفِ
أحلامه الفضية انتشرت على الأفق الشفيف
بيضاً ، كأحلامي ، نقيَّاتٍ مجنحة الطيوف

كم رفّ قلبي يا مروج لكوكب الراعي الخفوقِ
سبق النجوم الى الطلوع وراح في الأفق السحيق
يصغي ، كما تصغين أنت معي ، الى الصمت العميق
ونذوب مندمجين ، متّحدين بالكون الطليق !

*

أوّاه ، لو أفنى هنا في السفح ، في السفح المديد . .
في العشب ، في تلك الصخور البيض ، في الشفق البعيد .
في كوكب الراعي يشعّ هناك ، في القمر الوحيد . .
أواه ، لو أفنى ، كما أشتاق ، في كل الوجود ! .

خريف ومساء

ها هي الروضة قد عاثت بها أيدي الخريفِ
عصفت بالسّجُف الخضر وألوتْ بالرفيف
تعس الإعصارُ، كم جار على اشراقها
جرّدتها كفّه الرعناء من أوراقها
عريتْ ، لا زهر ، لا أفياء ، لا همس حفيفِ

*

ها هي الريح مضت تحسر عن وجه الشتاءِ
وعروق النور آلتْ لضمورٍ وانطفاء !
الفضاء الخالد اربدّ وغشّاه السحابُ
وبنفسي ، مثله ، يجثم غيم وضباب
وظلالٌ عكستها فيّ أشباح المساءِ !

*

وأنـا في شـرفـتي ، أصـغـي الى الـلحـن الأخـير
وقّـعـتـه في وداع الـنـور أجـواق الـطـيـور
فـيـثـير الـلحـن في نـفسيَ غـمّاً واكـتـئـابـا
ويـشـيـع الـلحـن في روحـي ارتـبـاكـاً واضـطرابـا
أيّ أصـداء لـه تـصـدم أغـوار شـعـوري !

*

الخـريـف الجهـم ، والـريـح ، وأشـجـان الـغـروبِ
ووداع الـطير لـلنـور ولـلروض الـكـئـيـبِ
كـلهـا تمـثُـلُ في نـفسيَ رمـزاً لانـتـهـائـي !
رمـز عـمـرٍ يـتـهـاوى غـاربـاً نـحـو الـفـنـاء
فـتـرةً ، ثـمّ تـلفّ الـعـمـر ، أسـتـار المـغـيـبِ

*

سـيـعـود الـروض لـلنـضـرة والخـصـب الـسّـريّ
سـيـعـود الـنـور رفّـاقـاً مـع الـفـجـر الـطّريّ
غـير أني حـيـنـما أذوي وتـذوي زهـراتي
غـير أني حـيـنـما يخـبـو غـداً نـور حـيـاتي
كـيـف بـعـثـي مـن ذبـولي وانـطفـائـي الأبـديّ ؟!

*

آه يـا مـوت ! تـرى مـا أنـت ؟ قـاس أم حـنـونُ

أبشوش أنت أم جهمٌ؟ وفيٌّ أم خؤون؟!
يا ترى من أيّ آفاقٍ ستنقضّ عليه؟ .
يا ترى ما كُنه كأسٍ سوف تزجيها إليّه؟
قل، أبن، ما لونها؟ ما طعمها؟ كيف تكونُ؟

*

ذاك جسمي تأكل الأيام منه والليالي
وغداً تلقى الى القبر بقاياه الغوالي
ويْ! كأني ألمح الدودَ وقد غشّى رفاقي
ساعياً فوق حطام كان يوماً بعض ذاتي
عائشاً في الهيكل الناخر، يا تعسَ مآلي!

*

كلّه يأكل، لا يشبع، من جسمي المذابِ
من جفوني، من شغافي، من عروقي، من إهابي
وأنا في ضجعتي الكبرى، وحضن الأرض مهدي
لا شعورٌ، لا انفعالات، ولا نبضات وجدِ
جثّة تنحلّ في صمتٍ، لتفنى في التراب

*

ليت شعري، ما مصير الروح، والجسمُ هباءٌ؟!

أتراها سوف تبلى ويلاشيها الفناء ؟
أم تراها سوف تنجو من دياجير العدمْ . .
حيث تمضي حرّةً خالدةً عبر السُّدُمْ . .
وبساط النور مرقاها ، ومأواها السماءُ ؟!

*

عجباً ، ما قصة البعث وما لغز الخلودِ ؟
هل تعود الروح للجسم الملقى في اللحودِ ؟
ذلك الجسم الذي كان لها يوماً حجاباً !
ذلك الجسم الذي في الأرض قد حال ترابا ! .
أوَ تَهوى الروح بعد العتق عوداً للقيود ؟ !

*

حيرةٌ حائرةٌ كم خالطت ظنّي وهجسي
عكست ألوانها السود على فكري وحسّي
كم تطلعت ؛ وكم ساءلت : من أين ابتدائي ؟
ولكم ناديت بالغيب : الى أين انتهائي ؟
قلقٌ شوّش في نفسي طمأنينة نفسي !

الشاعرة والفراشة

هنـاك فـوق الـربـوة العـاليةِ هنـاك في الأصـائـل السـاجيـه
فـتـاة أحـلام خـيـالـيـةٌ تسبـح في أجـوائهـا النـائيـه
الـصمـت والـظلّ وأفكـارهـا رفـاقهـا ، والسـرحـة الحـانيـه

*

حـيـاتهـا قـصـيـدة فـذّةٌ مـنـبـعـهـا الحسّ ونـيـرانـهُ
وحـلـم محـيّر تـائـهُ مـن قلق الـلهفـة ألـوانـه . .
حيـاتهـا بـحـر نـأى غـوره وإن بـدت لـلعـين شـطآنـه
رنت فتـاة الـشعـر مـأخـوذةً * بـصـور الـطبيعـة الخـالبـه
والأفـق الـغـربي تـطفـو بـه ألـوانـه الـورديـة الـلاّهبـه
كـأنـه أرض خـرافـيّـةٌ هـوت اليهـا شمسـه الغـاربـه

*

ودّتْ وفيـهـا لهـفٌ كـاسـح لـو تـأخـذ الكـون الى صـدرهـا

تحضنه وتشبع الروح من آياته الكبرى ومن سحرها
تعانق الأرض.. تضمُّ السما تقبّل الغيوم في سيرها

*

ودفعت بعينها في المدى تنهبه بالنظرة الواغله
ما أجمل الوجود! واستغرقت في نشوة فائضة شامله
تلتهم الكون بإحساسها بقلبها، بروحها الذّاهله

*

ما أجمل الوجود!! لكنها أيقظها من حلو أحساسها
فراشة تجدّلت في الثرى تودعه آخر أنفاسها
تموت في صمت كأن لم تفض مسارح الروض بأعراسها..

*

دنت اليها وانثنت فوقها ترفعها مشفقةً حانيه:
أختاه، ماذا؟ هل جفاك الندى فمتّ في أيامك الزاهيه؟
هل صدَّ عنك الزهر؟ هل ضيّعتْ هواك انسام الربى اللاّهيه؟

*

كم اشعلت روحك حمّى الصبا وأنت سكرى بالشذى والرضاب
طافرةً بين رياض الهوى راقصة فوق الربى والهضاب
توشوشين الزهر حتى يُرى منفعلاً من هذيانِ الشباب

كم بلبلَ بالورد ذي صبوةٍ ألهبت فيه الغيرة السّاعرة
كم زنبق عانقته كم شذى روّيت منه روحك الفائره .
فأين منك الآن دنيا الهوى وأين أحلام الهوى الساحرة !!

*

ماذا ؟ تموتين ؟ فواحسرتا على عروس الروض بنت الربيع
أهكذا في فوران الصبى يطويك إعصار الفناء المريع
وحيدةً ، لا شيّعتك الربى ولا بكى الروض بقلب صديع

*

اختاه لا تأسيْ فهذي أنا أبكيك بالشعر الحنون الرقيق
قد أنطوي مثلك منسيّةً لا صاحبٌ يذكرني أو رفيق
أواه : ما أقسى الردى ينتهي بنا الى كهف الفناء السحيق !

*

واضطربت اعماقها مثلما دوّم إعصارٌ بقلب الخضم
وانتفضت مذعورة في أسىً وارتعدت مرعوبة في ألم . .
فلم يكن يصدم أحلامها إلا رؤى الموت وطيف العدم

*

وحـــدّقــت في غـــير شيء وقــد حــوّمــت الأشبــاح في رأســهــا
لا صـــور الــوجـــود خـــلابـــة تـبـتـعث الـنشـــوة في نـفـسـهـــا
ولا رؤى الخـــيـــال رفّـــافـــة تخــدّر المحمــوم من هجسهــا

*

ودفـق الـلـيــل كـبـحـــر طـغـى فــانحـدرت تحت عبـاب المسـاء
تخبط في الـــدرب وقـد غمغمت شـاخصـة المقلة نحـــو السـماء :
يـا مبـدع الـــوجــود، لو صنتــــه من عبث الموت وطيش الفناء ! . .

أوهام في الزيتون

« في السفح الغربي من جبل (جرزيم) حيث تملأ مغارس الزيتون القلوب والعيون ، هناك ، ألفت القعود في اصيل كل يوم عند زيتونة مباركة تحنو على نفسي ظلالها ، وتمسح على رأسي عذبات أغصانها : وطالما خيل الي انها تبادلني الألفة والمحبة ، فتحس احساسي وتشعر بشعوري .

وفي ظلال هذه الزيتونة الشاعرة ، كم حلمت أحلاماً ، ووهمت أوهاماً ! »

هنا ، هنا ، في ظل زيتونتي
تحطّم الروح قيودَ الثرى
وتخلد النفس الى عزلة
يخنق فيها الصمتُ لَغوَ الورى

*

هنا ، هنا ، في ظل زيتونتي
في ضفة الوادي . بسفح الجبل

أصــغــي الى الــكــون ولمّــا تــزل
آيــاتــه تــروي حــديــث الأزل

*

هـنـا يهيم الـقـلب في عــالم تخلقه أحــلاميَ المبـهــمـة
لأفــقــه في نــاظــري روعــة ولـلرؤى في مسـمعي هينمـه

*

عــالــم أشــواق ســمــاويــةٍ
تــطلق روحــي في الــرحــاب الــفــســاح
خـفـيـفـةً لا الأرض تــثــنى لهــا
خــطوا ولا الجــســم يهــيض الجــنــاح

*

واهــاً : هــنــا يهــفــو عــلى مجــلسي
في عــالم الأشــواق روحٌ حــبـيــب
لم تــره عــيــنــاي لــكــنّــني
أحــسّــه مــني قــريــبــاً قــريــب !

*

أكاد بالوهم أراه معي   يغمر قلبي بالحنان الدّفيق
يمضي به نحو سماء الهوى   على جناح من شعاع طليق

*

زيتونتي ، الله كم هاجسٍ   أوحت به أشواقيَ الحائرة.
وكم خيالات وعى خاطري   تدري بها أغصانك الشاعرة

*

نجيتي أنت وقد عزّني   نجيُ روحي يا عروس الجبل
دعي فؤادي يشتكي بثّه   لعل في النجوى شفاءً ، لعلّ !

*

يا ليت شعري ان مضت بي غداً
عنك يد الموت الى حفرتي
تراك تنسين مقامي هنا
وانت تحنين على مهجتي ؟!

*

تراك تنسين فؤاداً وعت   اسرارَه أغصانُك الراحمات
باركها الله ! فكم ناغمت   وهدهدت اشواقه الصارخات

زيتـونتي ، بـالله إمـا هـفـت نحـوك بعـدي النسمـة الهـائمـه
فـاذكـري كم نفـحتنـا معـاً عـطورهـا الغـامـرة الفـاغمـه

*

وحين يستهـويـك طير الـربى بنغمـةٍ تـرعش منـك الغصـون
فـاذكـري كم طـائرٍ شـاعـرٍ ألهمـه شدوي شجيّ اللحـون !

*

تـذكّـريـني كـلمـا شـعـشـعـتْ
اوراقَـكَ الخـضـراء شـمس الأصـيـل
فـكـم أصـيـل فـيـه شـيـعـتـهـا
بمـهـجـة حـرّى وطـرفٍ كـليـل

*

إن يَـزْوهـا المـغـربُ عـن عـرشـهـا
فـالمـشـرق الـزاهـي بهـا يـرجـعُ
لـكـنـني ، آهـاً ! غـداً تـنـزوي
شـمس حـيـاتي ثـم لا تـطلعُ !

*

ويحي ؟ اتـطويني الليـالي غـداً وتحـتـويني داجيـات القبـور

فـأين تمضي خفـقـات الهـوى وأين تمضي خلجـات الشعـور

*

ونـور قـلبي ، والـرؤى والمنى وهـذه الـنـار بـأعـمـاقـيـه
هـل تـتـلاشى بـدداً كـلهـا كـأنها مـا ألهـبـت ذاتـيـه ؟!

*

امـا لهـذا الـقلب مـن رجعـة للوجد، للشعر، لـوحي الخيال؟
ايخـمـد المشبـوب من نـاره؟ واشقـوة القـلب بهـذا المـآل!

*

يـا ربّ ، إمَّـا حـان حـين الـردى
وانـعـتـقـت روحـيَ مـن هـيـكـلي
وأعـنـقـتْ نـحـوك مـشـتـاقـةً
تهـفـو الى يـنـبـوعـهـا الأولِ

*

وبـات هـذا الجسم رهن الثرى لقىً عـلى ايـدي البـلى الجـائـرة
فـلتبعـث الـقـدرة من تـربـتي زيتونة ملهمةً . . . شاعـره ! . .

جـذورهـا تمتصّ من هيكـلي ولم يـزل بعـدُ طـريـاً رطيب
تـعـبّ مـن قـلبـي أنـواره ومنـه تستلهـم سرّ اللهـيب ! .

*

حتى اذا يـا خـالقي أفعـمت عنـاصـري أعصـابها والجـذور
انـتـفـضـت تهـتز أوراقـهـا من وقـدة الحسّ ووهج الشعـور

*

وأفـرعـتْ غـيـنـاء فـيـنـانـة مما تـروّت من رحيـق الحيـاه
نشـوى بهـذا البعث مـا تـأتـلي تـذكـر حلماً قـد تـلاشت رؤاه

*

حلم حيـاة سـربت وانـطوت طفّـاحـة بـالـوهم . . بـالنشـوةِ
لم تـك إلاّ نـغـماً شـاجـيـاً عـلى ربـاب الشـوق والصبـوة !

مع سنابل القمح

أوت الى الحقل كطيف كئيب
يرسو بعينيها أسىً غامرُ
في روحها اللهفى اضطراب غريب
وقلق مستبهم ، حائر . . .

* *

غامضة في عمق أغوارها فيض انفعالات وإحساسِ
صيّرها شذوذ أطوارها غريبة في عالم الناس

• •

تأملت في السنبل الوادع يموج في الحقل زكيّاً نماه
تكاد في سكونها الخاشع تسمع في السنبل نبض الحياه

* *

وفي رؤى خيالها الشارد منجذباً بروعة السنبل
لاحت لعينيها يد الحاصد يخفق فيها شبح المنجل

* *

رأت رغيفاً جبلته دموع   دموع مكدودين مستضعفين
أنضاء حرمان وبؤس وجوع   هانوا على الرحمة والراحمين

* *

رأته في كفّ غنيّ بخيل   سطت عليه يده الجانيه
الخبز في كيانه يستحيل   خلجات شحٍ كزّةً قاسيه

* *

ومدّت الأفكار أظلالها   فلم تزل شاخصةً في وجوم
من أبصر استغراقها خالها   مخبولةً تهيم فوق الغيوم

* *

كانت تناجي ما وراء الفضاء
قوى القضاء الغامض المبهم :
من يمطر الرزق على ذي الثراء
ويمسك الرزق عن المعدم ؟

* *

كم بائس ، كم جائع ، كم فقير
يكدح لا يجني سوى بؤسه

ومترف يلهو بدنيا الفجور
قد حصر الحياة في كأسه

**

أرحمة الله بعليا سماه
تقول أن يكتظَّ جوف الثري ؟!
ويُحرم المعوزُ قوتَ الحياة
في عيشه المضطرب الأعسرِ

**

أليس في قدرته القادرة
أن يمسح البؤس ويمحو الشقاء !
أليس في قوّته القاهره
أن يغمر الأرض بعدل السماء !

**

ووراءها صوت عميق مثير
جلجل فيها مثل صوت القدر :
لم تحبس السماء رزق الفقير
لكنه في الأرض ظلم البشر ..

وأطرقت، نهباً لشك مريبْ
يملؤها منه أسىً غامرُ
في روحها اللهفى اضطراب غريب
وقلق مستبهم، حائر! . .

هروب

كـرهتِ حقـائق دنيـا الـورى وهمتِ بـأوهـامِ دنيـا الخيـال
فـما يـتـصـبّـاك إلا الـرؤى وسحـر الطيـوف وسحر الـظلال
متى يـا ابنـة الـوهم تستيقـظين متى ينجلي عنـك هـذا الخيـال
أفيـقـي ، كـفـاك ، لـقـد طـال مسـراك
عـطشى وراء سـراب الـرمـال

**

تـعيشـين في ذهـلة الحـالمـين بعيـداً بـآفـاق كـونٍ عجيب!
ويـملأ روحـك في قـيـده حنين المشـوق وشجـو الغـريب
ومن فلك الأرض كم تـطلقـين خيـالك فـوق الفضـاء الـرحيب
يجـوز مـدار الـنجـوم ويمعـن في الـلانهايـات ، عبـر الغيـوب

**

قفي ، أين تمضـين؟ فيم انـدفـاعـك، من ذا تـرين بـأفق الشـرود

وما هذه؟ رجفة في كيانك ممّا تشدّ عليه القيود
تمرّد روحك في سجنه يريد يحطّم تلك السدود
ليسمو طليقاً خفيف الجناح وراء الزمان، وراء الحدود

* *

قفي ؟ أين تمضين ؟ من ذا ترين
هنالك عبر الفضاء العظيم ؟
وماذا يشوقك ؟ أم من ينادي
ويومىء من شرفات السديم ؟
تمر امامك هذي الحياة
مواكب مختلفات الرسوم
فتلوين وجهك لا تنظرين . .
وفي مقلتيك ظلال الوجوم

* *

ألا كم تهيمين في عالم تناءى بعيداً بعيداً مداه
وفي عمق روحك شوق ملحٌ جموحٌ لظاه ، عنيفٌ ظماه
تراك هنالك تستلهمين السموات سرّ الردى والحياه
تراك هنالك تستطلعين خفايا الوجود وكنه الإله؟!

* *

ألست من الأرض؟ فيم انخطافك؟ فيم انجذابك نحو الأعالي
أأنكرت في الأرض هول الفناء، وظلم القضاء، وجور الليالي
تراك افتقدت جمال العدالة فيها، فهمت بأفق الخيال
محيّرة والهاً ، تنشدين الحقيقة في غامضات المجالي

* *

أراعك في الأرض سيل الدماء
وبطش القُوى والرزايا الكُبَر
أراعك فيها شقاء الحياة ؟
اراعك فيها صراع البشر ؟
أمن صرخات القلوب الدوامي
تعضّ عليها نيوب القدر
تلوذين في لَهَفٍ ضارعٍ . .
بكونٍ تسامى نقيّ الصور

* *

بلى، هي هذي المآسي الكبار تعذّب فيك الشعور الرقيق
فتنأين عن واقع راعبٍ الى عالم عبقريّ سحيق . .
هو الوهم، عالمك الشاعريّ، المثاليّ، مسرى الخيال الطليق
توحّدتِ فيه بأشواقك الحيارى، بهذا الحنين العميق!

أشواق حائرة

مــاذا أحسّ؟ هنـا، بــأعمـاقي تــرتــجّ أهــوائــي وأشــواقــي
بي الــف إحــســاس يحـرّقــني مـتــدافــع الــتــيــار، دفّــاق
ألف انفعــال، ألف عــاطـفــة محمــومـة بــدمي، بــأعــراقي
مــاذا أحسّ؟ أحسّ بي لهــفـاً حيــران يغـمــر كــلّ آفــاقــي
جفت لــه شفتــاي وارتــعشـت أظــلالــه العــطشى بـأحــداقي

●

نــفسي مــوزّعــة ، مـعــذّبــة بحنينهــا ، بغمــوض لهفتـهــا
شــوقٌ الى المجهـول يــدفعهــا متقـحّـمـاً جــدران عــزلـتـهــا
شـوق الى مــا لست أفهـمــه يـدعـو بهـا في صمت وحدتهـا
أهي الــطبيعـة صـاح هــاتفهــا؟ أهي الحيــاة تهيب بــابـنـتـهــا؟
مــاذا أحس ؟ شعــور تــائهــةٍ عن نفسهــا ، تشقى بحيـرتهـا

●

قلبي تفور به الحياة وقد عمقت ومدّت فيه كالامد..
فتهزّ أغواري نوازعه صخّابةً، دفّاقة المدد
ويظل منتظراً على شغف ويظل مرتقباً على وَقَدِ
أحلام محروم تساوره متوحّد في العيش منفردِ
ويود لو تمضي الحياة به للحبّ ، مصدر فيضها الأبدي!
....

●

وهناك تومىء لي السماء وبي شوق اليها لاهفٌ عارم
فأحس احساس الغريب طغى ظمأ الحنين بروحه الهائم
وأرى كواكبها تعانقني بضيائها المترجرج الحالم
تهمي على روحي أشعتها وتلفّه بجناحها الناعم
فأودّ لو أفنى وأدمج في عمق السماء ونورها الباسم

●

مالي يزعزعني ويعصف بي قلق عتيٌ جائح الألمِ
تتضارب الأشواق حائرة في غور روحي ، في شعاب دمي
الارض تعلق بي وتجذبني وتشدّ قبضتها على قدمي
وهناك روحي هائم شغف بالنور فوق رفارف السدم
مستحقراً للأرض ، تفزعه دنيا التراب ، وهوّة العدم

●

روحي يلوب بدار غربته عطشا الى ينبوعه السامي ٥
فهناك اصداء يسلسلها صوت السماء بروحيَ الظامي
وهنا، هنا، في الأرض يهتف بي صوت يقيّد خطو أقدامي
صوتان.. كم لجلجت بينهما يتنازعان شراع أيامي
وأنا كيان تائه قلق يطوي الوجود حنينه الطامي!

ليل وقلب

هو الليل يا قلب، فانشر شراعك، واعبر خضمّ الظلام العميق
وجذف بأوهامك الراعشاتِ في زورق ما به من رفيق
وانك كالليل شيء كبير..   بعيد القرار سحيق سحيق
وفيك كألغازه المبهمات   أفانين من كل لغزٍ دقيق
هواجش مختلفات رؤاها   تهوّم طوراً وطوراً تفيق

●

ولليل يا قلب أي امتدادٍ   يحيط بهذا الوجود العظيم
سرى واحتوى الكون في عمقه   فلفّ البحار ولفّ الأديم
وكالليل أنت، حويت وجوداً   من العاطفات كبيراً جسيم
ففيك السماء، وفيك الخضمّ، وفيك الجديد، وفيك القديم!
وتنتظم الكون في خفقةٍ   وأنت بجنبي هنا لا تريم!

●

ودونك يا قلب هـذا الفضاء ... تجوز به السحبُ العابره
مراكب تمخر إثر مراكب ... تدفعها قوّة قاهره
كأني أرى في شكول السحاب ... نواتيّ أبصارهم حائره
أضلّوا المنارَ فهم تائهون ... يغذون في اللجج الكافره
كذلك أنت ببحر الحياة ... توهان في ظلمٍ سادره

●

ورجرجة النجم كم ساجلتك ... بصدر السماء خفوق الحنين
أبا النجم ما بك من لهفة ... أبا لنجم مثلك شوق دفين؟
أتجهش في قلبه الذكريات ... وتأخذ مسه بحبل الوتين؟
فما باله قلقاً خافقاً ... يراعي الدجى في سهوم حزين
لعلّ أليفاً له قد هوى ... وبات كخدنك في الآفلين !

●

وأصغ معي في سكون الرياض ... وقد لفّها غسق الغيهبِ
طيورٌ توشوش جنح الدجى ... وتكشف عن همّها المختبي
فهذا الخريف تدبّ خطاه ... ليعصف بالزهر المعجبِ
ويخنق ألحان أشواقها ... ويلوي بترجيعها المطرب
وكيف تغنّي لزهر ذوى ... بروضٍ سليب الحلى مجدب

●

وأنت.. وأنت تخاف الخريف وتشفق من ريحه العاتيه
تخاف على زهرات الصّبى تبدّدها كفّه القاسيه
فلا نَوْرَ يشتاق طل الصباح ويوحي بأنغامك الظاميه
تخاف تُزايِلُك الملهبات وتخمد أشواقك الطاغيه...
ويفرغ نايك من لحنه ويثوى حطاماً بأضلاعيه

●

وسعتَ عوالمَ يا قلب ماجت بجم الطيوف وشتّى الصوَر
أحاسيس حيرى تهيج وتطغى هياج العباب اذا ما غمر
وأخرى تهبُّ، هبوب النسيم تنفّس في جانحيه الزهر
وتُظلم يا قلب حتى كأنك ليل بصدري الكظيم اعتكر
وتشرق حتى إخال الضياء بأقطار نفسيَ منك انتشر

●

وتخصب طوراً فكلك حبٌّ يعانق قلب الوجود الرحيب
تفيض سلاماً كأن يد الله مرّت عليك بنفح رطيب
تحبّ العدوّ وتحنو عليه وخنجره منك دامٍ خضيب
وطوراً تغيض سوى من رواسب كرهٍ عصيٍ وبغض رهيب
كأنّ أكفّ الشياطين غلغلن فيك فأنت مخوفٌ جديب..

●

فيـا قلب، يـا أحـد الأصغـرين، كيف اتّسعت لهـذا الـوجـود
وكيف احتمالك هـذا الـزحـام من خلجاتٍ كثار العـديـد. .
تحبّ وتبغض حـراً طليقـاً فـلا من سـدود ولا من قيـود
تصـدّ نـداء المحب القـريب وتهـوى نـداء العـدو البعيـد!
فيـا لـك أعمى يقـود زمـامي كـما شاء فعـل اللجوج العنيـد!

. . . .

هـو الليل يـا قلب، فـانشر شـراعـك واعبـر خضمّ الظلام العميق
وجـذف بـأوهـامـك الـراعشـات في زورقٍ مـا بـه من رفيق

حيـاة

حـيـاتي دمـوع
وقـلب ولـوع
وشـوق ، وديـوان شـعـر ، وعـوذْ

●

حـيـاتي ، حـيـاتي أسىً كـلّهـا
اذا مـا تـلاشى غـداً ظـلّهـا
سيبقى عـلى الأرض منـه صـدى
يـردد صـوتي هـنـا مـنـشـداً :
حـيـاتي دمـوع
وقـلب ولـوع
وشـوق ، وديـوان شـعـر ، وعـود

●

بـلـيــل الــشــجــون
وعــمــق الــســكــون
تمر أمامي كحلم سـرى
طيوف أحبّاي تحت الثرى
فــتــرعــجُ نــاريَ خــلف الــرمــادِ
ويُـغـرق سيــل الــدمــوع وســادي
دمــوع الحــنــين
الى راحــلين
مـضــوا وطــواهــم ظــلام الــلحــود

●

بــقــلبــي الــيــتــيــم
تــنــادي كــلــومــي
أطــلّ بــروحــك يــا والــدي
لــتــنــظر مــن أفــقــك الخــالــد
فــمــوتــك ذلٌ لــنــا أيّ ذلّ
ونــحــن هــنــا بــين أفــعــى وصــل
ونــفــث ســمــوم
وكــيــد خــصــوم
بــدنيــا العقــوق ، بــدنيــا الجحــودْ

ويبدو خيالْ
بغفو الليالْ
خيال أبي شقّ حجبَ الغيوبِ
بعينيه ظلّ شعورٍ كئيب
أراه فتهمى له أدمعي
ويحنو علي ويبكي معي
وأدعو : تعالْ
رحيلك طال
بمن نستظلُ وانت بعيد !

●

وفي ليل سهدي
يحرّك وجدي
اخٌ كان نبع حنانٍ وحبّ
وكان الضياء لعيني وقلبي
وهبّت رياح الردى العاتيه
واطفأت الشعلة الغاليه
وأصبحت وحدي
ولا نور يهدي
ألجلج حيرى بهذا الوجود

●

وهذا شبابي
أمانٍ كوابي
شبابٌ سقاه الأسى ورواه

اذا ما دعته إليها الحياه
وأشواقها ، شدّه ألف غلّ
وطوّقه ألف طوقٍ مذلّ
شبابُ عذابِ
رهين اغتراب
يضيع شذاه بأسر القيود :

●

واطرق رأسي
بوحشة يأسي
وفي الروح تصخب أشواقُها
وفي النفس ترعد آفاقها
وأفزع للشعر سلوة روحي
أصوِّر أشواق عمرٍ ذبيحِ . .
فيهدأ حسي
وتخشع نفسي
وتسكن لهفة روحي الشريد !

●

وأجذب عودي
لقلبي الوحيد
فتخفق أوتاره باللحونِ

تهدهد قلبي وتجلو شجوني
بفنّي وشعري والحان عودي
أصارع آلام عمر شهيد
وهذا نشيدي
نشيد وجودي
سيبقى ورائي صداه يعيد :
حياتي دموع
وقلب ولوع
وشوق ، وديوان شعر ، وعود !

طمأنينة السماء

عـــج الأسى في نفسها الشـاعـرة　في لـــيــلة مــقـــروروةٍ كـــافــره
وحـــيـــدة، ضـــاق بهـــا مخـــدعٌ　تـــوغل فيـــه الـــوحشـــة الســادره !
كم شهـــد المكبوت من شجوها　تثيـــره خلجـاتهـــا الثـــائـــرة. .
كم التـــوت فيـــه عـــلى قلبهـــا　تبكي أمـــاني قلبهـــا العـــاثـــره
وكـــم، وكـــم، ولا يـــدٌ بـــرّةٌ　تـأسـو جـراح الـزمن الغـــائـره!

* *

تنهـــدت ممـــا عـــراهـــا ، وقـــد　مـــالت عـلى شـــرفتهـا حـــانيـه
وقـــلّبتـــه بـــصـــراً تهـــائـــهـــاً　في جـــوف تلك الظلمـــة الغاشيـه
لا ومـــضـــة تخـفـــق مـن كـــوةٍ　لا نبـــأة تصـعـــد من نـــاحـيـــه
ســـوى هـــزيـــز الـــريـح تهتـاجهـا　أصـــداؤه المفجـوعـــة البـــاكيـــه
وقلبهـــا المـحـــروم مـــا يـــأتـــلي　يـدقّ خلف الأضلع الـواهيـــه!

* *

ورجّت الـوحشـة أعـمـاقهـا في هيكل الليل الكئيب الضـرير
فـاصـطرعت فيهـا أحـاسيسهـا كـاللج يطغي في الخضم الكبـير
ووثـبـت أشـبـاح آلامـهـا مجنـونـة ، تشب شبّ السعـير
فـجمـدت في جـفـنهـا دمـعـةً تصـاعـدت من قلبهـا المستـطير
ثـم همـت محـرورةً مـرةً كـأنها تـضـرّع المسـتـجـير

* *

تـلفّـتـت وراءهـا في أسىً نحـو مهـاوي أمسهـا الغـابـر
لـعـلّ في أغـواره لـمـحـةً تلوح من ذكـرى سني عـابـر
لـعـلّ في المـاضي وأطيـافـه عـزاءهـا من قسـوة الحـاضر
فـما رأت غـير حـطام المـنى عـلى صخـور القـدر الغـادر . .
وبعض أشـلاء هـوىً حـالم . . مـرتـطم بـالـواقـع السـاخـر . .

* *

وسـرّحت أمـامهـا طـرفـهـا عبـر غـدٍ مكتنف بـالضبـاب!
فأبصرت ، ما أبصرت؟ مهمهـاً مستبهم الأفق مخـوف الشعـاب
تبعثـرت فيـه الصُّـوى واختفت مـعـالم السـبـل وراء اليبـاب
وهي على الدرب ذعور الخطى . . رفيقهـا الـوحـدة والاغـتـراب . .
والـظمـأ الـكـاسـر لا يـرتـوي
في قـلبـهـا الهـائـم خـلف الـسـراب ! . .

* *

وكــان أقسى مــا شــجــى نــفــســهــا
وابــتــعــث الــراعــب مــن هــجــســهــا
تــدفّــق الــظلمــة في يــومــهــا . .
في غــدهــا المــحــروم . . في أمــســهــا . .
ظــلمــة عــمــرٍ كــل أيــامــه
لــيــل تــدجّــى في مــدى حــســهــا
الــنــور ، أيــن الــنــور؟ هــل قــطرة
تــســيــل مــنــه في دجــى يــأســهــا
مــن أيــن والأقــدار قــد جــفّــفــتْ
مــنــابــع الأضــواء فــي نــفــســهــا

* *

وفي شــرود مــبــهــم غــامضٍ تــعلّقت مقـلتهـا بـالـسـماء !
فـانشق صدر الليـل عن كـوكب مشعشـع الوهـج دفـوق الضيـاء
كـأنّ روح الله مـن فـوقـه تمـدّه بـنـورهـا عـن سـخـاء
فــانــخــطفــت في ذهــلة روحــهــا
خــلف الــنهــايــات . . وراء الــفــضــاء . .
هنـاك حيـث النـور لا ينتـهي هنـاك حيث النور فـوق الفنـاء

●

هنــاك غشّتهـا طمـأنيـنـة عــلويّــة مــا لمــداهــا حــدود
وصــاح من أعمـاقهـا هــاتف ينتــظم الأرض صــداه البعيــد
يـا أرض ، أحزانـك مهما قست وطبّقت حــولي مجـالي الــوجـود
هيهـات ان تلمس روحـاً سرى فيهـا من الله ضيـاء الخلود ! . .

في درب العمر

« لا تصافح كل من لاقيت في طريقك . . ان من الناس من يجب أن لا تمد اليهم يداً ، بل مخلباً ناشباً . . »

زرادشت : نيتشه

أتيت درب العمر مع قلبي أغرس زهر الحب في الدرب
ليغرق الناس بأشذائه تنهلّ في دفق وفي سكب
ليغمر الصحب بعطر الهوى فينعموا في فيئه الرطب
فبعثروا زهري بأقدامهم ووطأوه في الثرى الجدب ! . .

**

وارتجّ قلبي خلف صدري أسى ولجّ في دقّ وفي وثبِ
وقلت في اهلي وفي اخوتي غنىً عن الناس، عن الصحب
وخلتني ملأتُ منهم يدي وخلتهم قد ملأوا قلبي . .
فلم يطل وهميَ حتى هوى خنجرهم وغاص في جنبي !

● ●

وضحكت نفسيَ في سرّها هازئةً منّي ومن حبي . .
وسرت مع قلبي وحيدين . . لا
شيء سوى الاشواك في الدرب !

في ضباب التأمل

في لـــيــلة مجــنــونــة الإعــصــار ، ثــائــرة مــثــيــره
تــتــراقص الأشبــاح فــيــهــا خــلف نــافــذتي الــصــغــيــره

* *

ألــقــيــت فــوق وســادتي آلام روحٍ مــثــقــلِ
مــصــدومــة الآمــال أســبــح في ضــبــاب تــأمّــلي

* *

ومــضــيــت شــاردة أقــلب في الــظلام كــتــاب عــمــري
صــور ، واطــيــاف كئــيــبــات ، تــلوّن كــل ســطر

* *

فــهــنــا خــيــال شــاحــب لم تــرحــم الــدنــيــا ذبــولــه

هـذا خـيـال طـفـولـة لم تـدر مـا مـرح الـطفـولـه

* *

وهـنـا صبـاً عـضّتْ عـليـه قـيـود سـجـنٍ واضـطهـادِ
بـاكٍ ، ذوت ايـامـه خـلـف انـطواء وانـفـراد . .

* *

وهـنـا شبـاب مـا يـزال يجـوس قـفـراً بـعـد قـفـر
مـتـحـرّق أبـداً الى شيء . . الى مـا لـست أدري ! . .

* *

تـغـذوه نيـران الحـيـاة لـظى ، فـيلـتهـب الـتـهـابـا
ويهـيـم فـوق دخـانها مـتـعـطشـاً يـقـفـو الـسـرابـا

* *

أحـلامـه الحـيـرى مـعـلّقـة بـأفـلاك الـنـجـوم
سـتـظلّ أحـلامـاً عـطاشى ، تـائـهـات في الـسـديم

* *

وهنــاك عن قمم النــزوع ؛ هنــاك عــن قمــم الــطمــوحِ
دنــيــا مــنىً ، وبــروج آمــالٍ تهــاوت لــلسـفــوح . .

* *

وتمــلمــلت بــقــفــار قــلبــي ، في فــراغ تــوحّــدي
نــفسٌ تــســائــل نــفــســهــا في حــيــرةٍ وتــردّد :

* *

لِمَ جئتُ لـلدنـيــا ؟ أجئتُ لـغــايــة هي فــوق ظــني ؟
امــلأت في الــدنــيــا فــراغــاً خــافيــاً في الـغيـب عـني ؟

* *

أيحسّ هــذا الـكــون نـقـصــاً حـيـنــما أخــلي مـكــاني ؟!
وأروح لم أخــلف ورائــي فــيــه جــزءاً مــن كــيــاني ؟ !

* *

إن كــان غــيــري في وجــودهــم امــتــدادٌ لــلوجــودِ
صــورٌ ستبـقى منهـمُ يحيــون فـيـهــا من جــديــد . .

* *

فـأنـا سـأمضي ، لم أصب هـدفـاً ولا حقّقت غـايـه !
عـمـر نهايـتـه خـواء فـارغ .. مـثـل الـبـدايـه !

**

هـذي حـيـاتي ، خـيـبـة وتمـزُّقٌ يجـتـاح ذاتي
هـذي حيـاتي ، فيـمَ أحيـاهـا ؟ ومـا مـعنى حيـاتي ؟!

من الأعماق

سرتُ وحدي في غربة العمر، في التيه المعمّى، تيه الحياة السحيق
لا أرى غــايـة لسيــري. . ولا أبصر قصـداً يــوفي اليــه طـريقي
مللٌ في صميم روحـيَ ينســـاب، وفيض مـن الــظلام الــدفــوق
وأنـــا في تـــوحّشي، تـنفض الحـيــرة حــولي أشبــاح رعـب محـيـق

* *

سرتُ وحدي، في التيه، لا قلب يهتزُّ صدى خفْقِهِ بقلبي الوحيد
سرتُ وحدي، لا وقع خطو سوى خطوي على المجهل المخوف البعيد
لا رفيق، لا صاحب لا دليل، غير يأسي ووحدتي وشرودي
وجمــود الحيـاة يضفي عـلى عمـري ظــلّ الفنـاء. . ظـــل الهمـود

* *

والتقينــا. . لم أدر أي قـوىً ســاقتــك حتى عبــرت درب حيــاتي
كيف كـان اللقاء؟ من ذا هـدى خـطوك؟ كيف انبعثتَ في طـرقـاتي

لست ادري لكن رأيتك روحاً يوقظ الشوق في مسارب ذاتي
ويذرّي الرمادَ عن روحيَ الخابي، ويذكي ناري، ويحيي مواتي

* *

حدّقت مقلتاك فيّ، وآلامي يغشّي ضبابها مقلتيه
لست ادري ما استجلتاه ولا ما رأتا خلف وحدتي الأبديّه . . .
غير أني أبصرت روحك تهتزّ انعطافاً، في رقة علويّه
وهنا خلتني شعرت بروح الله رفّتْ من السماء عليّه !

* *

يا لعينيك، أي نفضة بعثٍ أوجدتها عيناك في أعماقي
فإذا بالحياة عارمة النبض بفيض الحنين، بالاشواق. .
واذا بالجمال يعكس ألوان رؤاه على مدى آفاقي
واذابي في ظلّ حبٍ عظيم معجز السحر، مبدعٍ خلاقِ!

* *

نظرةٌ فتّحت لقلبي أبواب السموات والجنان العليّه
وجلَتْ لي أفقاً يموج به الوحي وتستعلن الرؤى القدسيّه
فيه سحر الألوان، فيه صدى الألحان، فيه منابع الشاعريه
نظرة خلف عمقها رحت أستشرف عمق الخلود والأبديه

* *

ومضت بي الأيــام، لا أنــا صـرّحـتُ، ولا لهفـتي الحيّيــةُ تبــدو
كـــم وكـــم راح يحـتـويـنـا مــكــانٌ
وأنـــا صـبــوة تــوارت ـ . . ووجــدُ . .
كـم حــديـث حـدثـتـني ، كــم قـصـيــد
هــزّ روحــي وأنـــت تــروي وتـشـدو
وبقلبي السعيــد شيء كعنـف المــوج، يــطغى تـيّــاره ويمــدُّ !

* *

ومضت بي الأيـام، والزمن العجـلان يجـري كـالهارب المجنـون. .
وســكــوني مــا انــفــكّ يــرخــي ســدولاً
فــوق رعــشــات قــلبــي الــمـفـتـونِ
وتــلفّــتّ بــغــتــةً ، وبــعــمــقــي
نــشــوة الــســحــر والهــوى والــفـتــون
واذا قــلبــي المــرنّــح أشــلاءٌ
عــلى راحــة الــوداع الحــزيــن !

* *

وافترقنا ، وملء نفسيَ ـ لو تـدري ـ أحـاسيس هـائمـاتٌ حيـارى
وهـــواي المكبـــوت يجهش في صمت. . وتهمي دمــوعــه أشعـــارا
كم شجـــاني وداعـك المــرّ ، كم ساءلتُ قلبي الممــزّق المستـطارا
كيف كـان الفـراق ؟ كيف انـزوى وجهـك عني في لحـظةٍ وتـوارى

وافـتـرقـنـا ، وبـين كـفّـيّ رسـمُ
لم يـزل كـلّ زاد روحـي المـتـيّـمْ
كـم تـلمّـسـتُ عـمقَ عـيـنـيك فـيـه
وبـعـيـنيّ أدمـعٌ تـتـضـرّم . . .
يـا لـقـلـبي ، كـم راح بـين يـديـه
يهـتـك الحـجـب عن هـواه المـكـتّم . .
أصـغ ، تـسـمـعْ عـبـر الصـحـارى صـداه
يـتـرامـى إلـيـك شـعـراً مـرنّـم !

غب النوى

مضيتَ ؟ الى اين ؟ هلّا تعود إليّ، الى روحيَ اللاّئب
حنانك، ضقتُ وضاقت حياتي بهذا الصدى المحرق اللاهب
بأشواقيَ العاتيات تزلزل صدريَ ، في عنفها الصاخب
حنانك ، قلبي يذوب وراءك، أوّاه من قلبيَ الذّائب
تلفّتْ ، وراع بقاياه تذوي وتفنى مع الأمل الغارب

*

مضيت؟ وكيف؟ ألا رجعة   تردّ الى القلب دنيا رؤاه
لقد أقفر الكون في ناظري   وغشّى الظلام مجالي ضياه
وكيف أحسّ جمالَ الوجود   ووجهك عني توارى سناه
فما أقبح العيش يا موحشي   ويا ما أشدَّ سواد الحياه
وأنت بعيد بعيد هناك . . .   وقلبي وحيد يعاني أساه

*

مضيت؟ فيا لحنيني إليك وواهاً لأمسي القريب البعيدِ
زمان أمرّ بدرب الكروم وللدرب نفح جنان الخلود..
ويشرد طرفي ويطوي المدى ولقياك غاية طرفي الشرود
وفي القلب نار جموح الوقود ينادي بها الشوق: يا نار زيدي
وطرفي قرير بذاك الشرود وقلبي سعيد بذاك الوقود

*

ويفجأني وقع خطو بعيد ورائيَ، أصغي اليه طويلا
ويهتف قلبيَ: هذي خطاه أرى في صداها عليه دليلا
خطى العنفوان، خطى الكبرياء تنمّ عليه عظيماً نبيلا
وتختطف الروحَ غيبوبةٌ وقد رحتَ تدنو قليلاً قليلا
وأغرق في حلم ساحرٍ أحال حياتيَ فنّاً جميلاً

*

وفي غمرات الذهول العميق تطالعني القامة الفارعه
فأشخص، ثم أغضّ حياءً واكسر من لهفتي الجائعه
وأبدي جمود الخليّ كأن لم ترجّ دمي الطلعة الرائعه
وتحت جمودي اضطراب عصوف
أداريه مغضيةً وادعه
وتحت جمودي من العاطفات أعاصير جارفة دافعه

*

وتنهب عيناك وجهي وقد عرا مهجتي منهما ما عرا
فيُمحي بعينيّ كلّ الوجود ويمحي بعينيّ كلّ الورى

وما لفتة النسر يا فتنتي تَطلّع من عاليات الذرى
وسلّط لحظاً على إلفه عنيف التوقّد مستكبرا
بأروع منك وعيناك فيَّ أوارٌ تلظّى وسحر سرى

*

وتمضي، وأمضي مع العابرين وما بيننا غير نجوى النظر
وطيف ابتسام على شفتيك ووهج هيام بعمقي استعر
وقد هبط الليل حلو الغموض خلوب الرؤى، عبقري الصور
وماجت مع الريح خضر الكروم مشعشعة بضياء القمر
وفاض الوجود شعوراً وشعراً وذاب من الوجد حتى الحجر!

*

سل الدرب كم جئتُ غبَّ النوى
أجرّ الخطى في الغروب الحزين
وحولي من الذكريات الخوالي طيوف تثير لهيب الحنين
أخاف تكرّ عليها الليالي وتدفن تحت ركام السنين
فيبسط قلبي جناحيْ هواه عليها ويحنو حنوّ الضنين
وأنت بأعماق روحي صلاة يسبّح باسمك روحي الأمين

*

مضيت؟ الى اين؟ هلاً تعود
لروحي اللهيف، لقلبي الغريب؟

تــوحّــدت بــعــدك يــا مــوحشي
عــلى الــدرب ، درب الــكــروم الجــديــب
أســير الى غــير مــا غــايــة
وكــفّــي عــلى جــرح قــلبــي الخــضــيــب
وفي مــقــلتيَّ غــيــوم حــزانى وفــوق جــبيــني وجــوم كئيب
وسمتــك في خــاطــري مــاثــل يهيــج الحنــين ويــذكي اللهيب

*

الى أيــن ؟ رحمــاك يــا ابــن الــصــحــارى
وبــرِّد ظــمــاء الــفــؤاد الــعــمــيــد
فما بــرمــالٍ عــطاشى نمتــك كهــذا الغليــل الملحِّ الــعنيــد
إلى أيــن ؟ يــا لــك طيــفــاً ألمَّ وعــانــق روحي بــحلم سـعيــد
ويــا لــك وهم ســراب تــألّق في قفــر عمــري لقلبي الشـريــد
حنــانــك عــدْ ؛ كيف أحيــا الحيــاة، وأنت هنــاك بعيــد

الى صورة

« لا تتكلم ، إن التفسير يقلل من طرافة الموضوع ! »
هيجو

اذهبي ، واعبري الصحارى إليهِ
فـإذا ما احتـواك بـين يـديـه
ولمـحـت الأشـواق في مـقـلتـيـه
مـائـجـاتٍ أشـعّـةً وظلالا
مفعـمـات ضـراعـةً وابتـهالا

فاحذري ، لا تعبّـري ، لا تبوحي
لا تـبـيـني تـأثـراً وانـفـعالا
واكتمي عنـه ما يـزلـزل روحي
منه ، واطوي هـواي عن عينيهِ

*

هـو لي فـتـنـة ؛ ولـكـن دعـيـهِ

مستفزّاً ، يشكُّ في حبّيه
ليس يدري بما يؤجّ بصدري
من حريقٍ مدمّرٍ مستطيرِ

وامثلي أنتِ صورةً بكماءَ
وجهها خامدٌ .. بلا تعبير
ميت القلب والهوى والشعورِ

فإذا الليل سفّ منه الجناحُ
ومضت في انسراحها الأرواحُ
تتلاقى على مهاد الأثيرِ
عبر آفاق عالم مسحورِ
عالم الحلم، مسبح اللاشعورِ

فاسبقي أنت كل حلم إليهِ
واستقرّي هناك في جفنيه
عانقي روحه ، ورفّي عليه

انشديه شعري وغنّي لحوني
في هواه ، بثّيه كلّ شجوني
صوّري لهفتي له وحنيني
حدِّثيه عن صبوتي، عن جنوني
حدِّثيه .. حتى يلوح الصباحُ

فإذا قبَّل السنى عينيهِ
وصحا ، لم يجد هناك لديه
غير « لا شيء » ماثلاً في يديه

وارجـعـي أنــت صــورة بـكــماءَ
وجـهـهــا خــامــدُ بــلا تـعـبــيرِ
ميّت القلب والهـوى والشعـورِ ! .

*

هــكــذا ولـيــظل حــبّــيَ ســرا
غامضاً ،
إن للغموض لسحرا
آســراً ، يجــذب النفــوس اليــه
حيث تبقـى مشــدودة في يــديــه
لـيس تـقــوي عــلى الــفـكــاك
فكوني
أنت مثــلي لـديــه عمقـاً وغــورا

هكــذا ، وليـظلّ نهب الــظنـونِ
تــائهـاً بــين شكـه واليقــينِ ! .

الصدى الباكي

شـاعـري ، لا تـقْسُ في عـتـبـك ، لا تـظلم وفـائي
أنـا حـسـبـي قـسـوة الـدنـيـا وإعـنـات الـقـضـاء
آه لـو تـدري بـآلامـي ، بمـأسـاة شـبـابي
لـبـكـى قـلـبـك وارتـجّ لـيـأسي وعـذابي

*

أنـا لم أنس هـوى فـجّـر ألحـاني وشـعـري
أنـا لم أنـس هـوى رفّـتْ بـه أيـام عـمـري
أنـا أنسى ؟ كـيـف ؟ لا يـا حـلم قلبي ، يـا نـجـيـيّـي
لا ، ومـن ألّـف روحـيـنـا عـلى الحـب الـنـقـيّ

*

سـل ضـمـير الـلـيـل ، هـل أودعـتـه أسـرار حـبـي
هـل تـغـنـيـت بـأشـعـارك في وحـدة قـلـبـي

إن هــذا الــليــل يــطوي كــل اســرار حــيــاتي
إنــه مــعــبــد أحــلامــي ومــأوى ذكــريــاتي

*

شعرك العاتب كم فجّر دمعي ، كم شجاني !
والنداء الشاعريّ العذب كم هزّ كياني !

لــو تــراني والهــوى يــصــرخ في روحــي الأســير
وأنــا أشــدو بــأشــعــارك في الــليــل الــكــبــير

أنت روح طائر .. يشدو على كل الغصون ..
يرتوي من خمرة الحب ، ومن نبع الفتون

وأنــا روح ســجــين قــصّــت الــدنــيــا جــنــاحــي
نــغــمــي يــنــبــيــك عــني ، عــن مــدى عــمــق جــراحــي !

*

رحمة يا شاعري ، وانظر الى اصداء روحي

إنها في شعريَ الباكي استغاثات ذبيح !
إنها يــا شــاعــري أنــات مــظلوم طــريــدِ
إنها غــصّــات مخــنــوقٍ بــأطــواق الحــديــدِ

*

كلّما ضمّك حضن الليل في صمتٍ وحزنِ
ومضى قلبك حيران الهوى يسأل عني ..

أرهف السمعَ ، تجد روحي مجروحَ النداءِ
ضارعاً في ألمٍ :

رحماك لا تظلم وفائي !

سمو

أحبّك للفنّ ، يسمو هواك بنفسيَ نحو الرحاب العلى
فيدني إليها معاني السماء ، وينأى بها عن معاني الثرى
سموت بقلبي وروحي فراحا يفيضان بالشعر شعر الهوى
ونضّرت عيشي، فأمسى غضيراً ترف عليه زهور المنى
ورفرف في القلب حلم سعيد جميل الخيالات حلو الرؤى
وقد كنت في وحشة لا أرى لي أليفاً يبدّد عنّي الأسى
فلا النفس يسعدها فيض حب، ولا القلب يسطع فيه السنى
الى ان تجليت روحاً مشعاً كنجم تلألأ لأبن السّرى
فضوّأت أياميَ الحالكات وأفعمتها بذكيّ الشذى
وأحييت نفسي بأسمى هوى هو الخلد أو نفحات السما
وأرويت روحي بصوب الحنان كالروض أرواه صوب الحيا .

* *

ومن عجب أنني لا أراك ولكن أحسّك روحاً هفا
يحنُّ إليّ ويحنو عليّ وينساب حولي هنا أو هنا
إذا ما صحوت ، اذا ما غفوت ، اذا ضجّ يومي وليلي سجا
رقيقاً شفيفاً كنور الصباح زكياً نقياً كقطر الندى

* *

فيا أيها الروح، ما أنت؟ قل لي، أأنت من الله روح الرضى؟
وهل أنت ظلّ الأمان الظليل دنا ليّ من سدرة المنتهى؟
ترى شعّ نور الإله بنفسي ليجلو الطريق ويهدي الخطى؟
وهل للملائك الحان حبٍ فأنت بقلبيَ رجع الصدى؟
فإني أحسُّك روح الرضى وظلّ الأمان ونور الهدى
وأصغي لدقّات قلبي فأسمع لحناً طهوراً بعيد المدى
يوقّعه حبك المستفيض فيذهلني وقعه المشتهى
وتغمرني سكرات التجلي كأن الإله لعيني بدا ! . .

* *

أخالك صورة حبٍ كبير جلاها لعينيّ وحيُ السما
تهيىء روحي لصوفيّةٍ وتنفض عنها غبار الثرى

في محراب الأشواق

هــذا مــكــانــك ، هــهــنــا محــراب أشــواقي وحــبِّي
كــم جئــتــه والــدمــع ، دمــع الــشــوق مختــلج بهــدبي
كــم جئــتــه والــذكــريــات تــفــيض من روحــي وقــلبي
يمــددن حــولي ظــلهــن ، ويــنــتــفــضــن بــكــل درب

*

هــذا مــكــانــك ، كــم أتــيــت الى مــكــانــك مــوهــنــا
تمــضــي بيَ الــســاعــات لا أدري بهــا ، وأنــا هــنــا
روح أصــاخ لهــتــفــة الــذكــرى ، ولــلــمــاضــي رنــا
يــتــنــســم الجــوّ الحــبــيــب ، ويــســتــعــيــد رؤى المنى

*

هــذا مكــانــك ، مثــل روحــي ، فيــه إحــســاس كئيــب
متــحسرٌ . . يــصــبــو الى المــاضــي ، الى الأمس الحــبيــب

متسائل عن شاعرين ، هواهما حلم غريب
كم رنّحا بالشعر جوَّهما ، ففاض جوى مذيب

*

هذا مكانك ، أين أنت ؟ وأين أطياف الفتون ؟!
المقعد الخالي يحنُّ إليك مرفقه الحنون . .
أسوان ، يرمقني وقد أهويت أنشج في سكون
ومواجدي ملهوفة الثيران ، تهدر في جنون ؟

*

ذنبي الذي قد هاج ثورة قلبك المترفع
كفَّرتُ عنه بأدمعي ، بتنهدي بتوجعي
كفّرت عنه بما ترى من ذلتي وتخشُّعي
وبخفض قمة كبريائي الشامخ المتمنِّع ! . .

*

ذنبي ؟ وما ذنبي ألا ويلاه من ظلم القيود !
ما حيلتي والغلُّ في عنقي على حبل الوريد
أواه ؛ حتى انت لم تنصف هوى قلبي الشهيد ؟ !
أواه ؛ حتى أنت تظلمني مع القدر العنيد ؟ !

*

قـلبـي يئـن ، يـلوب في ألم ، يـسـائـل في شـرود :
لم لا يـعـود ؟ فـلا يجيـب سـوى صـدى: «لم لا يـعـود»
وأروح ، في شـفـتيَّ أشـعـارٌ ، وفي كـفـيَّ عـود
وأعـاتب الأيـام . . والـزمن المفـرَّق . . والـوجـود ! .

*

لم لا تـعـود ؟ أنـا هـنـا وحـدي بهـيـكـل ذكرياتي
وحـدي ، ولـكـني احـسُّـك في دمـي ، في عـاطـفـاتي
أصـغي لـصـوتـك ، لـلصـدى المـنـغـوم في أغـوار ذاتي
وأراك مـن حـولي ، وفيَّ ، ومـلء آفـاق الحـيـاة !

قصة موعد

هنـــا في جـــوانحـي الخـــافقـــه هنـــا مـــلء مهجتي العـــاشقـــه
نمـــا أمـل العمـــر يـا شـــاعـري تـــغـــذّيـــه لهـــفـــتيَ الحـــارقـــه

وترويه أشواقيَ الدافقه

وراحـــت مـــع الأمـــل المسـعـــد تـــرفُ بـقـلـبـي رؤى المـــوعـــد

وحلم اللقاء ، لقاء الغد

*

وكنت أقول لقلبي اللهيف :
رويـــدك يـا قلب، مـــاذ دهـاك رويـــدك، أي جـــنـــون عـــراك

وأي اصطخاب وأي اندفاع

كـــأنـــك مـستـقـتـــل في عـــراك تصـــارع فيـه انتـــظار السنين !
رويـــدك زعـــزعـــت صـــدري الـضـــعـيـــف
بهـــذا الخـــفـــوق الـقـــويّ الـعـــنـيـــف
بهذا الوثوب ، بهذا الصراع

*

وكنت أقول لأشواقه :

تحملتِ دهـراً عـذاب الفـراق وأنـت عـلى ظـمـأ واحـتـراق

فما بالك اليوم لا تصبرين

فـما وقـف الـفـلك الـدائـرُ ولا الـيـوم لـيس لـه آخـر

مـسـاء ويمضي ويـأتي الـغـدُ وفي الـغـد يجمعنا المـوعـد

ونلقاه ، أوّاه كم تهدرين

رويـداً عصفت بـاضـلاعيـه وقـطّعت أنفـاسيَ الـواهـيـه

*

ورحت بـأشـواقيَ الجـامحـات أشقّ السحـاب وأطـوي السـما

و رائي تمـوت ليـالي الـعـذاب أمـامـي تـرفّ مجـالي الهـنـاء

ونفسيَ سكـرى بحلم الـلقـاء تشعشـع من فـرح بـالـلقـاء

فكنـت أحس بهـا تتـألـق في روعـةٍ .. في سنىً .. في بهـاء ..

تـذرّ عـلى الكـون أنـوارهـا وتغمـره ببحـار الـضيـاء ..

فـما كنت أعلم هـل أنـا ذاتيَ ، أم أنـا نجم يجـوب الفضـاء !!

أفي الحـب قـوّة خلق تحيـل نفـوس المحبـين كيف تـشـاء ؟

تـرى ما الهـوى؟ أهو روح الحيـاة؟ ترى مـا الهوى؟ أهـو سر البقـاء

أتعرف مـا هـو ؟ قـل ليَ، لا، لا تقـل لي ودع سرّه في انـطواء

فسحـر الهوى هـو هـذا الغمـوض وسحـر الهـوى هـو هـذا الخفـاء

كـفـاني بـأن الهـوى قـد أحـال فـراغ حيـاتي غـنىً وامتـلاء

وإني وإيـاك قـصـة حـبّ يخلّدهـا الشعـر رغم الـفنـاء!

*

وكان الغد الحلو يا شاعري تنسمت في جوّه الناضر
شذى الموعد المقبل الساحرِ
وقلبيَ في نزق ثائرِ يعدّ خطى الزمن السائر
ويرقص في خفة الطائرِ . .

*

وأقبلت . . روح هوى خافقاً يلاقيه دربٌ ويطويه دربُ
أحثُ خطاي وملء كياني رؤى لاهثات وشعر وحبُ
وهل أنا إلّا خيال يشبّ وهل أنا إلّا شعورٌ وقلب ! !

*

وكان يصوّر قلبي اللقاء وما سيجيء . . وما سيكون !
وكيف ستلقى العيون العيون
وكيف سيصرخ فيها النداء نداء الحنين . . نداء السنين
فنخنقه تحت خفض الجفون
وكيف سترجف أشواقنا وكيف سترعش كفٌ بكف
وقلبي وقلبك معتنقان على راحتينا بشوق ولهفِ ! !
كطيرين راحا معاً يلهثان انبهارا ، وفرط اختلاج ورفّ .
فيا لخيالات حرمانيه !
ويا لخرافة ميعاديه !
فما كنت أعلم يا شعري بأن يد القدر الجانيه
تلوّح لي برؤى المستحيل
وتصنع منهنّ حلمي الجميل
لتحكم ضربتها القاسيه وتلهو بمأساتيَ الدّاميه . .

*

فهــا أنــا بــالــدار ، مــاذا ؟ فــراغٌ يمــدّ ووحشــة صمت كئيبْ
وقفــل ثقيـل، يعض عــلى البـاب كــالـوحش، أبكم لا يستجيب
تمـثّـل لي قــدراً راصــداً يحـدّجني بـجــمـود رهـيـب
تــراجعت، أين أنــا؟ أين أنت؟ واحيــرتي في المكــان الغـريـب
ويـا صعقة الـروح؛ ماذا؟ ضللت طـريقي، وغُمّتْ عـليّ الـدروب
فـما كـانت الــدرب درب اللقـاء ولا كــانت الــدار دار الحبيب !

*

وأحسست في أفق روحي ظــلامــاً وأحسستُ في غــور قلبي دويًّــا
دوّي فــراديس حـلم الـلقــاء تــنهــار فيــه وتهــوي هــويـا !!
وأطــرقت.. يعقـد يــأسي المريــر سحـابــة دمعٍ عــلى مقلتيــا
....
هــنــاك عــلى شــاطــىء كــم حــواك
وكــم ضــم مــن ذكــريــات هــواك
تملمــل قلبـيَ فــوق الــرمــال يــعــانـق ذرّاتهــا في ابــتـهــال
وأجــهــشــت في ولــهٍ ضــارع وقــد بتّ من يــأسيَ الفــاجــعِ
ومن غـربـة الـدار في شقـوتـين ولم أدر كـيــف، ولم أدر أيــن
أفتش عن عالمي الضائعِ !!
هنــا وانتهت قـصــة المــوعــد ولا شيء مــن أمــلي في يــدي
سـوى غصص اليقـظة القـاسيه تــبــدِّد أحــلام أشــواقـيــه
وتــنـفضٌ وحــشـيــةً ضــاريــه عــلى قلبيَ التــائــه المجهــدِ !!

نـار ونـار

بـجسـميَ قـفـقـفـة وانـخـذال
فيـا نـار زيــدي لـظى واشتعـال
ومــدّي بــجـوّي دفيء الجنــاح
فــللبــرد عــربــدة واجـتـيــاح

أمــا تسمعـين احتــدام النضــال
نضــال العـواصف فــوق الجبـال
وأنــت اعصـفي ، واملـئي لـيلتي
بــدفــء يهــدّىء مــن رعــدتي

فحولي يدب صقيع الشتاء
دبيب الفناء
فبثّي الحرارة في غرفتي

●

ألا يــا إبـنــة الأعصر الـبــائــدة
ألا قُــدّست روحــك الخــالــدة

ثبي وازفـــري ، نضنضي والهـبي
بـــلى ، هكـذا ، هكـــذا واسـربي

بـــروحـــك في عـــزلتي الهـــامـــده
وفي قـــلب جـــدرانها الـــبـــارده
بـــلى ، هـكـــذا عـــانقـي ذاتيـــه
بمـــوجـــة أنـفـــاســك الـــدافيـــه

أحسّ بقرب لظاك الحبيب
شعوراً غريب
خفياً كألغازك الخافيه

●

فـهـــا أنـــا أطفـىء مصـبـــاحيـــه
وأعـنـــو لـغـمـــرة إحـســـاسيـــه
فتحملني نـحـــو مـــاضٍ سحيق
وأرنـــو هـنـــاك لِـــطيْـفٍ رقـــيـق

لِـــطيْـفِ طـفـــولـتيَ الـفـــانـــيـــه
بـــأيـــامـهـــا المـــرة الـقـــاســـيـــه
وإذ أنـــا يـــا نـــار شيء صـــغـــير
يـفـتـش عـن نـبـــع حـــب كـبـــير

سدىً ، ويظل لقىً مهملاً
فيمضي الي
رؤاه ، وفي أفقهنَّ يطير

●

واذ انـت دنـيـا غـمـوض تـلوح
لعـين خيالي الـطليق السبـوح
فـكـنـت رفـيـقـة أوهـامـيـه
ومـسـرح أحـلام يـقـظاتـيـه

وأُدفـع نـحـوك جـسـماً وروح
وأخشـع قـرب لـظاك الجمـوح
وأمضي ، وفيَّ انـجـذاب عميق
أحـدِّق مـأخـوذة بـالحـريـق

وأرقب في سكرة وانذهال
جموعَ الظلال
ترجرج فوق الجدار العتيق

وألمـح خلف اشتعـال الحـطب
وقـد شـبَّ في ثـورة والـتـهـب
خيـالاً لـدوحٍ قـديم وريـف
نمـتـه الحيـاة بـغـابٍ كـثيف

قـد ازدحمـت في حشـاه الحقب
. . . وكنت إخـال كـأن اللهب
تـعـانق فـيـه ضـيـاء الـقـمـر
ولـون الغـروب، ولـون السحـر

وكل شعاع على الدوح مر
وظل عبر
قد ارتدَّ في اللهب المستعر

●

وفي سبحاتي بدنيا الأوار
تباغتني حزمة من شرار
قد انقذفت من فم الموقدِ
تؤزّ ؛ فأرسل فيها يدي

هنا وهناك بشوقٍ مثار
لأخطف تلك النجوم الصغار
فكانت تروغ وتركض في
مداها ، وسرعان ما تختفي

وأسأل نفسيَ : أين يغيب
شرار اللهيب
وهل تخزن النار إذ ينطفي

●

وها أنا يا نار لو تعلمين
فتاة طوت حزمةً من سنين
وما زلتِ رغم العهود الطوال
تثيرين فيها جموح الخيال

وحين تفورين أو تزفرين
كأنك نفسٌ تقاسي الحنين
أغوص الى عمق أغواريه
أجوس عوالمها القاصيه

فألمس فيها أواراً غريب !
وما من لهب !
أوار شعوري وإحساسيه !

أمن عنصر النـار أعمـاقيـه ؟
أروحـك يـا نـار بي ثـاويـه
فـما هـذه العـاطفـات الحـرار
لهـا في الجـوانـح أيّ استعـار

ومـا هـذه اللهفـة العـاتيـه
تـشب فـتلهـب خـلجـاتـيـه
وتـعكس وهـجـاً عـلى مقـلتيّـه
وتـلفـح لفـحـاً عـلى شفـتيّـه

وهذا الحنين ، وهذا القلق
وهذي الحرق
كأن بذاتيَ ناراً خفيّه !

مضى الليـل غير هـزيـع قصـيرِ
وأنت همـدت كـأهـل القبـورْ
وحبّـات جمـرك بـعـد اتّـقـادِ
خبت واستحـالت تلول رمـاد

أتخمـد مثلك نـار شعـوري
غـدا ، وتـؤول لهـذا المصـير ؟
أيـغشى أواري رمـاد السنـين ؟
أيهمـد قلبي كـما تهمـدين ؟
لماذا ؟ أتدرين ؟ أم أنت مثلي
أسيرة جهلِ
أجيبي ، أجيبي ، أما تسمعين ؟!

في مصر

يـــا مصر ، حلم ســـاحـــر الألـــوان ، رافق كـــل عـمــري
كـم داعـبـت روحـي رؤاه فــرفّ روحـــي خـلف صـــدري
حــلم كــظل الــواحــة الخــضــراء في صـــحــراء قــفــرِ
أن اجــتـــلي هـــذا الحمى . . . واضمــه قـلبـاً وعـــين . .
والـيـــوم ، في حــلم أنـــا ، أم يـــقــظةٍ ، أم بـــين بـــين !؟

* *

صـــدحـــت بـقــلـبي إذ وطئـــت ثـــراك أنـغـــامٌ ســـواحـــر
فــكــأنما في قــلبــيَ المــأخــوذ غـــنّى الــف طـــائـــر
وغـــرقـت في أمـــواج إحـســـاس بـــعـيـد الـــغــور فـــائـــر
أأنـــا هـــنـــا ؟ في مصر ، في الــوادي الـــنـبـيـــلِ ؟!
أأنـــا هنا في النيـــل ، في الأهـــرام ، في ظـــل النخيـــل ؟!

* *

وتلفتتْ عينـاي في دهشٍ ، وفي لهفٍ غريب . .
ماذا ؟ هنا الدنيا الخلوب تُثير أهواء القلوب . .
ماذا ؟ هنا نار الحياة تؤجّ صارخة اللهيب . .

في كل مجلىً فتنةٌ رقصتْ ، وسحرٌ مدّ ظلّه
ماذا ؟ أمصرٌ أم رؤى أسطورةٍ من ألف ليله !؟

* *

كيف اتجهت تجاوبٌ وصدىً لموسيقى الوجود
في النيل يعزف لحنه الأبدي للشط السعيد
في وشوشات النسمة المعطار ، في النخل الميودِ

حتى النجوم هنا أحسّ لهنّ الحاناً شجيّه
حتى السحاب أخاله تحدوه موسيقى خفيّه

* *

يا مصر ، بي عطش الى فرح الحياة . . الى الصفاء . .
يا مصر ، نحن هناك أمواتٌ بمقبرة الشقاء
لا يطمئن بنا قرارٌ . . لا يعانقنا رجاء . . .

لا شيء إلا ضحكة الهزء المرير على المباسم !
كالضحكة الخرساء قد يبست على فك الجماجم !!

* *

نـفسي مـصـدّعـة . . فـضـمـيني لأنسى فـيـك نـفسي
قـسَـت الحـيـاة وأتـرعـت بمـرارة الآلام كـأسي
والـظلمـة الـسـوداء مـطـبـقـة عـلى روحـي وحسي

فـاحـني عـليّ وزوّديـني مـن مـفـاتـنـك الجـمـيـلة . . .
هـي نهزة لم أدر كيـف سـخـت بهـا الـدنـيـا الـبـخـيـله !

* *

يـا لـيـتـني يـا مصر نـجـم في سـمـائـك يخـفـق
يـا لـيـتـني في نـيـلك الأزليّ مـوجٌ يـدفـق
يـا لـيتـني لـغـزٌ ، أبـو الهـول احتـواه ، مـغـلقٌ . . .
تهـوى وتـنـسـحـق الـدهـور مـواكـبـاً ، وأنـا هـنـا
بـعض خـفـيٌ من كـيـانـك لـسـتُ أدرَكُ مـا أنـا ! !

* *

يـا مصر حـلم سـاحـر الألـوان رافـق كـل عـمـري
كـم داعبـت روحي رؤاه ، فـرف روحـي خـلف صـدري
حـلم كـظل الـواحـة الخـضـراء في صـحـراء قـفـر

أن أجـتـلي هـذا الحـمـى وأضـمّـه قـلبـاً وعـينْ
والـيـوم في حـلـم أنـا ؟ أم يـقـظة ؟ أم بـين بـين ؟!

وأنا وحدي مع الليل

في الليل ، إذ تهبط روح الظلامْ
مرسلة فيه الرؤى الهائمه يطيف بي في يقظتي الحالمه
طيف ولكن ما له شكلُ
يحضنه جفني ، ولا ظلّ
وإنما بحسّيَ الملهمْ
أعيه شيئاً ملغزاً مبهم
كأنما طلْسمه الليل
وكلما رفعت في وحدتي له مصابيحي انزوى في القتام

●

في الليل ، اذ تنعس روح الوجودْ
يخطفني شيء وراء الفضاء كأنما تحملني في الخفاء
ضبابة تسير في تيه
لا لمعة تجلو دياجيه
لكن روحاً غير منظور

واراه دوني ألف ديجورِ
أحسّه في لا تناهي المدى يشدّني الى بعيد بعيد

●

في الليل إذ تخشع روح السكون
أسمع في الهدأة صوتاً غريب صوتاً له طعم ولون رطيب
طعم ، ولكن غير أرضيٍّ
لون ، ولكن غير مرئيٍّ
طيب ، ولكن . .
لا ، فما أدري
ما كنهه ، كأنما يسري
من عالم هناك غيبيّ
تظل روحي وهي مأخوذة تصغي اليه من وراء الدجون

●

ما أنت يا من في ظلال الليال
احسه ملء حنايا الوجود في الأرض، في الأثير في اللاحدود
في قلب قلبي في سماواتي
في روح روحي ، في مدى ذاتي
هلّا توضّحت لآفاقي ؟ !
هلّا تجسّدت لأشواقي ؟ !
هلّا ؟
ولكن كيف ؟
هيهاتِ
فأنت مثل الغيب ما تنجلي يا لغز . يا حقيقة كالخيال!

وجود

كنت على الدنيا سؤالاً شريد

في الغيهب المسدول

جوابه استتر

وكنت لي إشراق نور جديد

من عتمة المجهول

أطلعه قدر

دار به الفلك

ودار مرتين ..

حتى انتهى إليّ

إشعاعه الفريد

وانقشع الحلك

وفي انتفاضتين

وجدت في يديْ

جوابي الفقيد

●

يا انت ، يا أنت القريب البعيد

لا تـذكـر الأفـول

روحـك يـسـتـعـر

الـكـون لي ولـك

لـنـا ، لـشـاعـريـن

رغـم المـدى الـقصيْ

ضـمّـهـمـا وجـود !!

تهويمة صوفية

« الى الصوت الحنون المتواجد ، الذي ينبعث مع كل فجر هاتفاً : (سبحان فالق الأصباح) فيهز أعماقي ويغرق روحي في نشوة سماوية » .

أي لحن مسلسلٍ رقراق راح ينساب في مدى الآفاق
أيقظ الكون حين منبثق الفجر على غمرةٍ من الأشواق
وإذا الحب ملء هذا الوجود الرحب يسري في روعة وانطلاق
وإذا الكائنات يغرقها الوجد الإلهيّ في سنى الاشراق !
السموات من حنينٍ ووجدٍ خاشعات خلف الغيوم الرقاق
والجبال الشمّاء تشخص نحو الله سكرى في ذهلة المشتاق
وندى الفجر في الرياض الحوالي
أدمع الشوق رقرقت في المآقي
كلّ ما في الوجود من روعة اسم الله في نشوةٍ وفي استغراق !

*

أي لحن مخلّد سرمديّ من لحون الآزال والآبادِ
أي لحن قد صيّر الكون أغرودة حب رخيمة الإنشادِ

يـا لهـذا الـنشيـد تنـطلق الأرواح فيـه من ربقـة الأجسـاد
يـا لهـذا الـنشيـد يوغل في أعمـاق ذاتي محـطّماً أصفـادي
يـا لقيـدي الأرضيّ يسحقـه اللحن ويـذروه حفنـةً من رمـاد
وإذا الـروح في تجرده يـسمـو مشعّـاً كـالكـوكب الـوقّـاد
عـانق اللحـن مصعـداً وتـوارى يتخـطى شـواسـعَ الأبعـادِ
غـارقـاً في صفـائـه ، قـد تغشّتـه غـواشي غيبـوبـةٍ وامتـداد

*

كـلّما رنّ في السكـون صـدى تسبيحـة الله رائـع الـترديـد
وسـرت في الأثـير أنغـامهـا الـطهر وأوغلن في الفضـاء البعيـد
أهـطعـت أنفس وذابت قلوب يزدهيهـا الفنـاء في المعبـود!
وتسـامى الشعـور يلهب فيهـا خلجـات الإيمـان والتمجيـد
يـا لهذا الصفـاء . . يا لتجلّي الله . . يـا روعـة الجلال الفريـدِ !
لكـأني بـالكـون يهتف : يـا رب ، ويمضي مستغـرقـاً في الشـرود
لـكـأني أحسّ وشـك اتصـالي . . لـكـأني أشمُّ عـطر الخلودِ !

*

أنـا يـا ربّ قطرة منك تـاهت فـوق أرض الشقـاء والتنكيـد
فمتى أهتـدي الى منبعي الأسمى وأفنى في فيضـه المنشـود
ضاق روحي بالارض، بالاسر، بالقيد، فحرّر روحي وفكّ قيودي
ضمّني ، ضمّني اليك، فقد طال انفصالي، وطال بي تشريدي

من وراء الجدران

بنته يد الـظلم سجناً رهيبـاً   لـوأد الـبـريئـات أمـثـالـيـه
وكـرّت دهـور عـليـه ومـا زال يمـثـل كـالـلعـنـة الـبـاقـيـه

* *

وقفتُ بجـدرانـه العـابسـات   وقـد عفّـرتْ بتـراب القـرون
وصحتُ بهـا: يا بنـات الـظلام   ويـا بـدعـة الـظلم والـظالمين

* *

لُعِنتِ؛ احجـبي نـور حـريـتي   وسـدّي عـليّ رحـاب الفضـاء
ولـكـن قـلـبيَ هـذا المـغـرّد   لن تـطفئي فيـه روح الغـنـاء
فقلبي يـد الله صـاغتـه لحنـاً   تـدفّق من عـمق نـبـع الحيـاه
ورغم شمـوخـك يـا مجرمـات   يـرنّ عـلى كـل أفـق صـداه

* *

لُعِنتِ ؛ اخنقي كل حلم ينضّر قلبي ويغذوه عطراً ونور
فأحلام قلبيَ لن تنتهي ولو حجبته زوايا القبور !

* *

وإني وإن أوثقتني لديك بألف وثاق أكفّ الغباء . .
فلي من خيالي وفنّي ودنياي ألف جناح وألف سماء

* *

ألا كم براعم قبلي نمتها لديك هنا لعناتُ القدر
ذوت تحت أصفادها وانحنت على ذاتها أملاً منتحر

* *

كما انحطم الناي واللحن فيه حبيس فما رفّ يوماً بفم
كذلك كانت تموت وفيها نشيد الحياة حبيس النغم

* *

وكانت تموت وفي قلبها خيال الغدير وصوت الخرير
وأنت هنا كالألى شيّدوك أنانيةً مات فيك الشعور

*

لُعنت ، سـوايَ أمامـك تعنـو   وتخـرسها غضبـات الـطغـاه
ولكن مثـلي ستبقى بـرغمـك   بنت الـطبيعـة ، بنت الحيـاه !

*

أغـني ولـو سحـقتـني الـقيـود   أغـاريـد نـفسي وأشـواقِـهـا
تـبـارك لحـنيَ أمـي الحـيـاة   فـلحنيَ مـن عمـق أعـمـاقـهـا

في سفح عيبال

ها أنا وحدي في ثنايا الجبل كأنني أسطورة تائهه
تهمسها الريح بإذن السفوح
ها أنا والفضاء حولي غزل والكون عشق، ورؤى والهه
وأنت في قلبي وعيني روح
يومىء لي نحو غدٍ أخضر
يغفو الشذا في دربه المزهرِ

*

ها أنا وحدي ومعي صبوتي ترف في صدري بألفي جناح
وانت سر في كياني استتر
وكلما هتفت من فرحتي اسأل: ما أنت؟ سمعت الرياح
تقول لي في مثل همس القدر
إنك يا حبي نشيد الخلود
وإنني صداك عبر الوجود

*

وتعتريني نفضة من شعور بغبطة تملأ أحنائيه
كأنها لحن مضيء النغمْ
فأنثني أحفر فوق الصخور إسمك في نشوة إحساسيه
وأشبع الأحرف لثماً وشم
والفرح الكبير يا حبي
تهدر موسيقاه في قلبي

*

وترتمي عيناي في مرتمى أفق بعيد حال ما بيننا
وكلما أشخص روحي تراك
أحسُّ عينيك وما فيهما من وهج يطفر منه السّنى
حولي تشعّان بنجوى هواك
نارهما السوداء كالصاعقه
تنقضُّ من نظرتك الحارقه

*

وأرسل «الآوف» غناءً حنون يسيل من روحي وأوصالي
فتنتشي «بالأوف» حتى السفوح
لحنٌ هوىً، مرتعشٌ بالحنين سمعته يوماً « بعيبال » ..
إذ أنت في السفح غريب الجروح!
فبات وهو اليوم أغنيتي
يحملني اليك في وحدتي

هـــل نلتقي؟ أواه؛ هـــذي أنـــا ســـوســنـــة فتّــح أكـمـــامـهـــا
دفءُ الهـــوى والأمـــلُ المشــرقُ
تلوي بهــا الـريـــح، وتبقى هنـــا تستـــودع السفـــوح أحـــلامهـــا
وأنــت عـــطر مـسـكـــر يـعـبـقُ
في دمـــهـــا .. أوّاه هـــذي أنـــا
وحدي هنا في السفح وحدي هنا !!

يتيم وأم

هـاضـه الـوهنُ، وأعيـاه الألمْ وسـطا الضعف عليـه والسقـم
خـاشـع الأطـراف من إعيـائـه مـا بـه يـقلب كـفّـاً أو قـدم
متـداع جسمـه ، منـخـذلٌ ، لجّت الحـمّى عـليـه فـاضـطرم
سـاكنُ الأوصـال إلا بـصـراً زائغـاً ، يـطرف حينـاً ، ويجم
ابـن سبـع بـرّح اليـتم بـه رحمـة الله لـه نـضـو يـتـم
كسـرتْ من طـرفـه مسكـنـةٌ لبستْ هيـأتـه منـذ انفـطم

* *

وا حـنـانـاه لأمٍ أيّـمٍ طـوت النفس عـلى خـوف وغم
فنضت عنهـا الثياب السـود؛ لا لا تـظنوا جـرحها الـدامي التـأم
بـل لـدفـع الشـؤم عن واحـدهـا يـا لقلب الأم إن أشعـر همّ !
وبـدت في البيض من أثـوابهـا من رأى إحـدى حمامات الحـرم

* *

عـطفت مـن رحمـة تحضـنـه إنمـا دنيـا اليتـامى حـضن أم
ومضت تمسـح بـالكف عـلى جبهـةٍ رهن اشتعـالٍ وضـرم
ولـقـد تنـدى فـتخـضّـل لـه وَفْـرَةٌ مـثـل الـظلام المـدلهم

* *

نـظر الـطفـل اليهـا صـامتـاً وبعينيـه حـديث وكلم . . .
ليت شعـري ، ما بـه؟ ما يبتغي أبنفس الـطفـل سُؤْلٌ مكتتـم؟
لـو اراد النجم لاحتـالـت لـه كـل سؤل هـينٌ، مهـما عـظم
وحـنـت تـسـأل عـن طـلبتـه فـرنت عـين لـه ، وافترّ فم . .
قـال: يـا أمي . تـرى أين أبي لِمَ لا يـرجـع من حيث اعتـزم؟!
نـاشـديـه، واسـأليـه رجعـةً فلكم يفـرح قلبي لـو قـدم!

* *

لا تـسـل عـن جـرحـهـا كـيـف مضى
مـن هـنـا أو مـن هـنـا يـنـزف دم
ضمّت الـطفـل اليهـا بيـدٍ وبـأخـرى مسحت دمعـاً سجم
عـزّ مـا يـطلبـه ، يـا رحمتـا كيف تـأتي بـرفـات ورمم !؟

* *

قـلّب الـبـؤس عـلى أوجـهـه لن تـرى كـاليتم بؤسـاً محتكم

ينشأ الطفل ولا ركن له ركنه من صغر السن انهدم
خائضاً في لجج العيش على ضعفه ، والعيش بحر محتدم
تائهاً في ظلمٍ ما تنتهي حائراً يخبط في تلك الظلم
ليس في الدنيا ولا في ناسها فهو يحيا في وجودٍ كالعدم

على القبر
« الى روح ابراهيم »

آه يـا قـبـر ، هـنـا كـم طـاف روحـي
هـائـماً حـولـك كـالـطير الـذبـيـحِ
أو مـا أبـصـرتـه دامـي الجـروح

يـتـنـزّى فـرط تـبـريـحٍ ويـأس
مـرهـقـاً ممـا يـعـنّـيـه الحـنـين

* *

وهـنـا يـا قـبـره أشـواق نـفسي
يـا لأشـواق عـلى تـربـك حـبسٍ
وهـنـا قِـبـلة أحـلامـي وهـجسي

قـرّبـتـني الـدار ، أو طـال نـزوحـي
فـخـيـالي بـك رهـنٌ كـلّ حـين

* *

إن نـأى بي الـبـعـد ردّتـني الـيـك
لاعـجـات مـا تـني وجـداً عـليـك
لـسـت تـدري أي دنـيـا في يـديـك

مـن حـنـان وبـشـاشـاتٍ وأنسٍ
يـا لـقـلبـي ! أصـبـحـت في الهـامـديـن

* *

آه يـا قـبـراً لـه إشـعـاع نـور
لا أرى أجمـلِ مـنـه في الـقـبـورِ !
فـيـك دنـيـاي ، وفي قـلبـي الـكـسـيرِ

مـأتـم مـا انـفـكّ مـذ بـات لـديـك
قـائـمـاً يـأخـذ مـنـه بـالـوتـين

* *

وإذا يـنـزف دمـع المـقـل
يجـهش الـقـلب أسىً مـا يـأتـلي
نـادبـاً عـنـدك أغـلى أمـلِ

بـاكـيـاً فـيـك نـصـيري وظـهـيري
سـاكـبـاً مـن ذوبـه غـير ضـنـين

أوحش الـسـامـر مـن ذاك الـسـمـير

غير أصداء فؤادٍ وشعور
نغم أفعم أمواج الأثير

بالاماني والهوى والغزلِ
وترامى بين أحضان السنين

* * *

زهرة عطّرت الدنيا بنشْرِ
ثم مالت بين أحلام وشعر
وذوت عن عمر للزهر نضر

هكذا تنفذُ أعمار الزهور
والشذا باقٍ بروح العابرين

* *

كلما أشرق في الليل القمر
مترعاً بالنور أعصاب الزهر
أظلمت نفسي وهاجتني الذكر

كيف غيّبتك في ظلمة قبرِ
كيف أسلمتك للترب المهين

* *

واذا ران على الدنيا هجودُ
وغفا فيها شقيٌ وسعيد
لم يزل يهتف بي صوتٌ بعيد

مـن وراء الـغـيـب وافى وظـهـر
ومضى يهـمس همس الـعـاتـبـين

**

عـتـبـه أخـذي بـأسـبـاب الـبـقـاء
أتملّى مـن وجـودٍ وضـيـاء
وعـديـل الـروح في وادي الـفـنـاء

الـسّـنى ضـنّ عـلـيـه والـوجـود
فـهـو بـالحـرمـان لم يـبـرح رهـين

**

أيهـا الهـاتـف مـن خـلف الـغـيـوبِ
مـا تـرى نـبـع حـيـاتي في نـضـوب ؟
لم أزل أضـرب في عـيـش جـديـب

مـوحشٍ كـالـقـفـر ، مـوصـول الـشـقـاء
مـنـذ أمسى نـجـمـه في الآفـلين

**

أيـن إبـراهـيـم مـني ، أيـن أيـن ؟!
حـبـة الـقـلـب ونـور الـنـاظـريْـن

أنــا مــن عــيشٍ ومــوت بــين بــين

فــلعــل الحــينْ مــوفٍ عــن قــريــبِ
يمــســح الجــرح وآلام الحــنــين

الروض المستباح

أين الغناء العذب يا طائري   تسبق فيه كلّ شادٍ طروب
وأين أفراح الصّبا الزاخر   باللهو، أم أين المراح الدؤوب
ما لك تلقي نظرة الحائر   يريد يستجلي خفايا الغيوب؟
وما الذي في قلبك الشاعرِ   قل لي، فإن البثّ يشفي القلوب

*

ما ترى حولك همس الورق   يسكبه في أذن الجدول ؟ ؟
كأنه نجوى محبٍ سرق   هنيهةً من غفلة العذّل
والزّهَرَ الرفاف إمّا عبق   عبيره يسري مع الشمأل
وهذه الدنيا، وهذا الألق   فمتّع النفس ولا تمهل

*

بين الفراشات وزهر الربيع   هينمة الصبّ، إذا يعتبُ
ويح الفراشات، هواها خدوع   تلهو بهذا، وبذا تلعب

كم تـوهم الزهـرَ هيـامَ الـولـوع　　وقلبهــا يـا طــائــري قُـلّب . .
فيهـا الى التبـديـل طبـعٌ نــزوع　　والــطبــع غــلاَّب فــما يُـغلب

*

وهــذه الــوردة ذات الــرّواء　　كم تشـتهـي لحنــك في حـبهــا
بـلبلهــا الـيــوم الـيـهــا أفــاء　　وأرســل الـعــطر الى قــلبــهــا
وفي لهـا، والنفس تلقى الـوفــاء　　أجمــل مـا تهــداه من صحبهــا
غـنّ ومتّـعهــا بهــذا الـصـفــاء　　أو، لا ، فلن تنجــوَ من عتبهــا

*

واعجبي ! صمتــك هـذا رهيب　　يـا طائـري، ضُمّن معنى الحـذر
ترمي بلحظ الصقر نحو الدروب　　كــأنمــا أنــذرت مــنهــا بشر
مـا تـأتــلي تـرقب كـالمستـريب　　أشعِـرَ من حوليـه وشْـك الخـطر
أقعى ، عـلى أهبتـه للوثــوب ،　　في كبــريــاء تتحــدّى القــدر !

*

ماذا أرى ؟ هذاك (بـومٌ) غريب　　منـطلق، جهم المحيـا، وقــاح
يحـومٍ في الروضـة حومـاً مريب　　غــدوّه مــتّـهــم . . والــرواح
يــطلّ من عينيـه قلب جــديب　　لـكـنــه أرعــن ، فـيــه جمــاح
اقتحم البـاب اقتحام الغصـوب　　وجاس في الروض طليق الجناح!

*

عـيـنـاه إذ رأرأتـا جمـرتـان   قـد شبّتا، مـا تطعمـان الكـرى
عن وكـرك المطلول لا تحسـران   تـطلّعـاً يـا طـائـري منكـرا . .
أشـرع منقـاراً كحـد السنـان   مـضـاؤه ، مـلتـويـاً أحمـرا
ومخلبـاً يصـرع قـلب الأمـان   يـا ضَيْعـة الـوكـر وقـد أشهـرا

*

مـا شـأن ذيّـاك الـدعـيّ الـدخـيـل
في الـروض ، والـروض حمـاك الحـبـيـب
وكـيـف يـغـدو مـسـتـبـاحـاً ذلـيـل
أو غـرضـاً يُـرمـى بـسـهـمٍ غـريـب
أغـضـيـت عـن روضـك دهـراً طـويـل
يـا طـائـري ، مـغـرىً بـحـلـم كـذوب
والـيـوم تـصـحـو عـن خـيـالٍ جمـيـل
مضى مـع الـسُّـحـرةِ ، غـبّ الهـبـوب !

*

أنفض جنـاحيـك من الـرقـدةِ   يا طائري، أخشى عليك المصير
لا تُمكِنِ (البـوم) من الـروضـة   أرى لـذاك (البوم) شـأناً خـطير
أضـبّ لـلوكـر عـلى شـرّةِ   فـيـهـا أراه ، وأذى مـسـتـطـير
عليـك بـالحِـذْر ، فكم غفلة   يؤخـذ منهـا المـرء أخـذاً نكـير

*

ويلك، لا تـأمن غريب الـديـار   فـخـلفـه مـن مـثـلـه مـعشرُ

يــا طـائــري، إنَّ وراء البحــار   مثــل عـديــد الـذَرّ لــو تنــظر
تــربّـصــوا في لهفــة وانـتــظار   ودبّـروا لـلأمــر مـا دبّــروا . .
تحفــزهم تلك الأمــاني الكبــار   وأنــت أنت المــطمــع الأكـبــر

اليقظة

بمناسبة انشاء جامعة الدول العربية ١٩٤٥

أيها الشرق، أي نور جديدِ لاح في عتمة الليالي السود

لف شمّ الجبال والسهل والحَزْنَ، وهام الربى ورمل البيد

وإذا أنت يفتح النور عينيك، فتصحو على الضياء الوليد

وتمطيتَ من طويل خمودٍ ومسحت الجفون بعد هجود

وتطلّعت في حماك، حمى الأمجاد، ربع العروبة الممدود

عجباً! أين أين ما وطّدوه من صروحٍ شمٍّ وملك عتيدِ

وتلمستَ يا أبا الصيد فيه أوجه الغرّ من بنيك الصيد

الميامين من بواقي «المثنّى» و«المعنّى» في فيلق «ابن الوليد»

تتساقى الحتوف دون حماها وتهزُّ السيوف تحت البنود

وإذا أنت لا ترى غير عانٍ وطليحٍ مجرّحٍ، وشهيد

البنون البنون صرعى الرزايا يا لقلب الأبوّة المفؤود!

*

يـا لهـا الله صـرخـةً منــك دوّت   في شــعــاب وأغــورٍ ونـجــودِ
يـا لهـا صـرخـةً أهـابت فـأحيت   عــزمــاتٍ وطــوّحـت بـقـيــود

نَفَخَتْ في بنيـك، فـانــطلق العـاني، وهبَّ الكــابي، وحيّ المـودي
وتــداعــوا من ههنــا وهنــا ، وانتــظمــوا تحت بنــدك المعـقــود
مــا تـراهم تســايلوا بـين عينيــك خفـافــاً ، من قــاحم ونجيــدِ
نـفــروا نـفــرة الأبيّ وقــد ضـيـم ، وهـبّــوا بـعــزمــه المشــدود
بُعثَ الهــامـدون ، آمنت بــالبعث ، بـآيــات يــومــه المشهــود !

*

يـا بني الشـرق، يمّن الله يــومـاً   قمتُمُ فيــه من هــوان القـعــود

أنتم الـطيبـون ، صيّابـة العـرب ، حمـاة الحمى ، بقـايـا الجــدود
هــوذا العيـد أقبــل اليــوم محـدوّاً بــروح في بــردتيــه جــديــدِ
فـيــه شيء من اعـتــزاز قــديم   عــرفتــه لــه خــوالي العـهــود

يـوم للعـرب مقعـد في النجـوم الـزهـر، يــزهـو بــركنـه المـوطـود
في فؤاد القـدس الجريـح اهتـزاز   لـكُـم رغــم جــدّه المنــكــود

انــثـنى ، مــوجــعــاً عــلى الجــرح يــشــدو
ويحـيّـي   أفــراحــكــم   في   الــعــيــد
قــام يــزجــي لــكــم عــذارى الــقــوافي
راقــصــاتٍ   مــوقّــعــات   الــنــشــيــد
قــدّس الشعـر ، إنمــا الشعــر أنّــات شقيّ أو أغنيــات سعيــد !

بعد الكارثة

يا وطني ، مالك يخني على
روحك معنى الموت ، معنى العدم

أمضَّك الجرح الذي خانه   أساته في المأزق المحتدم
جرحك؛ ما أعمق أغواره   كم يتنزّى تحت ناب الألم
أين الألى استصرختهم ضارعاً   تحسبهم ذرَاك والمعتصم
ما بالهم قد حال من دونهم   ودون مأساتك حسٌ أصم
قلّبت فيهم طرف مستنجد   فعزّك المندفع المقتحم . . .
واخلجتا! حتّام أهواؤهم   تغرقهم في لجّها الملتطم !!
همُ الأنانيون . . قد أغلقوا   قلوبهم دون البلاء الملم
لا روح يستنهض من عزمهم   لا نخوة تحفزهم ، لا همم !
أحنوا رقاب الذل ، يا ضعفهم   واستسلموا للقادر المحتكم

●

يا هذه الأقدار لا ترحمي   فرائس الضعف، بقايا الرمم
بالمعول المحموم أهوي على   تلك الجذوع الناخرات الحطم

كـــوني أتيّـــاً عـــارمـــاً واجـــرفي كل ضعيف الروح، واهي القدم
كـوني كـما شئت، لـظىً يغتـلي أو عـاصفـاً يقــذف حمـر الحمم
واكتسحي أنقــاض هـذا الحمى من كـل ركن خـائـرٍ .. منهـدم
اكـتسـحيـهـا وانـفـضـي أمَّتي ممَّـا عـلاهـا من رمـاد القـدم !

●

ستنجــلي الغمــرة يــا مــوطني ويمسـح الفجـر غــواشي الـظلم
والأمــل الــظامـىء مهــما ذوى لــســوف يُــروى بـلهـيـب ودم
فــالجــوهــر الكــامن في أمتي ما يـأتـلي يحمـل معنى الضـــرم
هــو الشباب الحــر ، ذخر الحمى الـيـقظ المـسـتــوفــز المنـتـقـم
غلّوا جنـاحيـه وقـالـوا: انـطلق وشـــارف الأفق وجـــز بـــالقمم
واستنهضـوه لاقتحـام اللظى .. والقيد، يا للقيـد، يدمي القـدم
لــكـــن لـــلثــأر غــداً هــبَّــةً جـارفـة الهـول، عصـوفــاً عمم
فــالضـربــة الصـماء قــد ألهبت في كـــل حـــرٍ جـــذوةً تضـــطرم
لن يقعــد الأحـرار عن ثــأرهـم وفي دم الأحـــرار تغــلي النقم !

مع لاجئة في العيد

أختـــاه ، هــذا الـعـيــد رفَّ سـنــاه في روح الــوجــود
وأشــاع في قـلـب الحـيــاة بـشــاشــة الـفـجـر الـسـعـيـد

وأراك مــا بـين الخـيــام قــبــعــتِ تمـثــالاً شــقــيــا
مــتــهــالــكــاً ، يـطـوي وراء جمــوده ألمــاً عــتــيّــا

يــرنــو الى الــلاشيء . . مـنـســرحــاً مـع الأفـق الـبـعـيـد

*

أختـــاه ، مــالــك إن نــظرت الى جمــوع الـعــابــريــن
ولمـحت أســراب الـصـبــايــا مـن بـنــات المـتــرفـيـن . .

مـــن كــل راقـصــة الخـطى كــادت بــنــشــوتهــا تــطيرُ
الــعــيــد يــضـحــك في محــيّــاهــا ويـلـتــمــع الـســرور

أطــرقــتِ واجمــة كــأنــك صــورة الألم الــدفــين ؟

*

أختـاه ، أيّ الـذكـريـات طغت عـليـك بـفـيـضـهـا
وتـدفّـعت صـوراً تـثـيـرك في تـلاحـق نـبـضـهـا

حـتى طـفـا مـنهـا سـحـاب مـظلم في مـقـلتـيـك
يهـمي دمـوعـاً أو مـضـت وتـرجـرجت في وجـنـتيـك
يـا لـلدمـوع البيض ! مـاذا خلف رعـشـة ومـضـهـا ؟

*

أتـرى ذكـرتِ مبـاهـج الاعيـاد في (يـافـا) الجميلة ؟
أهـفت بـقلبـك ذكـريـات الـعيـد أيـام الـطفـولـه ؟

اذ أنـت كـالحـسـون تـنـطلقـين في زهـوٍ غـريـرِ
والـعـقـدة الحـمـراء قـد رفّتْ عـلى الـرأس الـصـغـير

والـشعـر منسـدلٌ عـلى الـكتـفـين ، محلول الجـديـله ؟

*

إذ أنـت تـنـطلقـين بـين مـلاعـب الـبـلد الحـبـيـبِ
تـتـراكـضـين مـع الـلّدات بمـوكـب فـرح طـروب

طـوراً الى ارجـوحـة نُـصـبـت هـنـاك عـلى الـرمـال
طـوراً الى ظـل المـغـارس في كـنـوز الـبـرتـقـال

والـعـيـد يمـلأ جـوّكـن بـروحـه المـرح الـلعـوبِ ؟
والـيـوم ؛ مـاذا الـيـوم غـير الـذكـريـات ونـارهـا ؟
والـيـوم ، مـاذا غـير قـصـة بـؤسـكـنَّ وعـارهـا

لا الدار دارٌ ، لا ، ولا كالأمس ، هذا العيد عيدُ
هل يعرف الأعياد أو أفراحها روحٌ طريد
عان ، تقلّبه الحياة على جحيم قفارها ؟

*

أختاه ، هذا العيد عيد المترفين الهانئين
عيد الألى بقصورهم وبروجهم متنعمين
عيد الألى لا العار حرّكهم ، ولا ذلّ المصير
فكأنهم جثث هناك بلا حياة او شعور
أختاه ، لا تبكي ، فهذا العيد عيد الميّتين !

رقيــة
من صور النكبة

تــدلّت عن الأفـق أمّ الضـيــاء ملفّعــة بــاصـفــرارٍ كئيــبِ
وقد لملمت عن صدور الهضـاب وهــام التـلال ذيــول الغـروب
وجـرّت خـطاها رويـداً رويـداً وأومـت الى شــرفــات المغـيـب
فـأطبقن دون رحــاب الــوجـود وأغــرقنـه في الــظلام الـرهيب
وغشّى الــدجى مهجـاتٍ نبضن بشـوق الحيـاة ، بـوهـج اللهيب
وأخــرى تـلاعب ثلج السنــين بهــا فخبت في حنـايــا الجنـوب
وأوغــل في حـاليــات القصـور وأوغــل في كــل كــوخ سـليب
فمــدّ الجنــاح عــلى بسمــات الشفــاه ، وفــوق جــراح القلوب
وضمّ السعيــد بـأحــلامـه ، وضمّ أخــا البؤس نِضـوْ الكــروب

*

وفي وحشـة الليل ، ليـل المـواجـع ، ليـل المـواجـد ، ليـل الهمـوم
وللريـح ولــولــة في الشعــاب ولــلرعــد جلجـلة في الـغيــوم

وللبرق خفق توالى دراكاً يشق حجاب الظلام البهيم
بدا (جبل النار) تِرب الخلود له روعة الأزليّ القديم
تعالى أشمّ أمام السماء يجاذب منها حواشي الأديم
كأنّ ذراه رفعن هناك ، على الأفق ، متكأ للنجوم
وكان وراء غواشي الدجى رهيب السكون عميق الوجوم
تحسُّ به رجفة الكبرياء الجريحة والعنفوان الكليم
وفي قلبه النار مكبوتة الزفير ، فيا للهيب الكظيم !!

*

هنالك ، في سفح مهد البطولات ، والمجد ، والوثبات الكُبَر !
هنالك ؛ تحت الضباب المسفّ ، والأرض غرقى بدفق المطر
كأن الرحاب العُلى بعيون السحائب تبكي شقاء البشر . .
هنالك ضمّ (رقيّة) كهف رغيب عميق كجرح القدر
تدور به لفحات الصقيع فيوشك يصطكّ حتى الصخر
وتجمد حتى عروق الحياة ويطفأ فيها الدم المستعر
(رقيّة) يا قصة من مآسي الحمى سطّرتها أكفّ الغير
ويا صورةً من رسوم التشرد ، والذل ، والصدعات الأخَرْ
طغى القرّ ، فانطرحت هيكلاً
شقيّ الظلال ، شقي الصور !!

●

تعلّق شيء كفرخٍ مهيضٍ على صدرها الواهن المرتعد

وقد وسّدت رأسه ساعداً   وشدّت بآخر حول الجسد
ولو قدرت أودعته حنايا الضلوع، وضمّت عليه الكبد!
عساها تقيه بدفء الحنان   ضراوة ذاك المساء الصَّرد
وعانقها وهو يصغي الى   تلاحق أنفاسها المطَّرد
وكانت خلال الدجى مقلتاه   كنجمين ضاءا بصدر الجلد
تشعان في قلبها المدلهم   فيوشك في جنبها يتّقد
وغمغم: أمّ؛ وراحت يداه   تعيثان ما بين نحرٍ وخد
فأهوت على الطفل تشتمّ فيه   روائح فردوسها المفتقد

●

وفي مثل تهويمة الحالمين   وغيبوبة الأنفس الصافية
أطلّتْ على أفق الذكريات   وفي عمقها لهفة ظاميه
تعانق بالروح طيف الديار   وتلثم تربتها الزاكية..
وتبصر في سبحات الخيال   ملاعبها الرحبة الحانيه
ومن ههنا ظلّة الياسمين   ومن ههنا ظلّة الداليه
وإلفُ الحياة يشيع الحياة   بأجواء جنّتها الهانيه
فيا دار ما فعلته الليالي   بأشيائك الحلوه الغاليه
وربّك، كيف تهاوت به   يد البغي والقوة الجانيه؟

●

ومرَّ على قلبها طيف يومٍ   دجيِّ الضحى، عاصف مربدِ
وافياءها الدافئات وتلك   الدهاليز في الروضة الحالية

وقد نفرت في جموح الإباء نسور الحمى للحمى تفتدي
دعاها نفير العلى والجهاد فهبّت خفافاً الى الموعد
تذود عن الشرف المستباح وتدفع عنه يد المعتدي
وتقتحم الهول مستحكماً وتسخر باللهب الموقد
فتنقضٌ مثل القضاء المتاح وتهبط كالأجل المرصد
وليست تبالي وجوه الردى كوالح في الموقف الأربد
فيا للحمى ، كم حميّ أبيّ تجدّل فيه ، وكم أصيدِ
أباحوا له المهج الغاليات وأسقوا ثراه دم الأكبدِ

●

وطالعها في رؤى الذكريات فتاها، نجيّ العلى والطماح
إباء الرجولة في بردتيه وزهو البطولة ملء الوشاح
يشدّ على الغاضب المستبد ويضرب دون الحمى المستباح
ويلقى عراك المنايا وجاهاً ويكتسح الهول أي اكتساح
وتعرف منه الوغى كاسراً قوي الجناح ، عنيد الجماح
يخط على صفحات الجهاد سطور الفدى بدماء الجراح
نبيل الكفاح اذا الخصم راغ
ومن شرف الحرب نبلُ الكفاح
فيا من رأى النسر تجتاحه وتلوي به بغتات الرياح
تهاوى صريعاً وأرخى على حطام أمانيه ريش الجناح !

●

وفــاضت لـواعجهــا ، لا أنينـاً جـريحـاً ، ولا عــبــرة زافــره
ولكن زعــافــاً من الحقــد والبغض والضغن والنقم الـغــامــره ؟
متى يشتفي الثـأر؟ يا للضحـايـا أتهـدر تلك الـدمـا الـطاهــره
ويــا للحمى! من يجيب النـداء نــداء جــراحــاتــه النــافــره
وقــد أغــمــد الــسـيــف، لا ردَّ حــقــاً
ولا أطــفــأ الــغــلة الــســاعــره ! .

●

تمـلمــل في حضـنهــا فــرخهــا فضمّتــه محمومــةً ثــائــره . .
ومــالــت عليــه وفي صــدرهــا مشــاعــر وحشيــةٌ هــادره . .
لتــرضعــه من لــظى حقـدهــا ونــار ضغـائنهـا الفــائــره . .
وتـسكـب من سـمّ خلجــاتهــا بــأعمــاقــه دفقــةً زاخــره ! .

●

هنـا جبـل (النـار) كـان يـطوّف حـلمٍ بـأجفــانــه الســاهــره
تغــاديــه فيــه طيــوف نســورٍ تـغــلّ بــأفق الـعـلى طــائــره
مخــالبهـا راعفــات . . ومــلء جــوانـحهــا نـشــوة ظــافــره
وَبَــرْدُ الـتـشــفـي بـشــاراتهــا وراء منــاسـرهــا الكــاســره !

وجدتهـــا

نداء الأرض

تمثّل أرضاً نمته وغذّته
من صدرها الثرّ شيخاً وطفلا

وكم نبضت تحت كفّيه قلباً
سخيا وفاضت عطاءً وبذلا

تمثّل وهو يلوب آنتفاضَ
ثراها إذا ما الربيع أهلّا

وماج بعينيه كنز السنابلِ
يحضنه الحقل خيراً مطلّا

ولاح له شجر البرتقال
وهو يرفّ عبيراً وظلّا

●

وهــاجت بــه فكــرة كــالعــواصف لا تـستـقــر
تــواكب تلك الـطيــوف تسايــر تلك الصــور :

أتُـغصـب أرضـي ؟ أيـسـلب حـقـي وأبـقـى أنــا
حـليـف الـتـشـرّد أصـحب ذلّــة عــاري هـنــا

أأبقى هــنــا لأمــوت غــريبــاً بــأرض غــريـبــة
أأبقى ؟ ومن قــالهـا ؟ ســأعــود لأرضي الحبيبــة

بــلى سـأعــود ، هنــاك سيــطوى كتـاب حيــاتي
سيحـنــو عــليّ ثــراهــا الكــريـم ويؤوي رفــاتي

ســأرجــع لا بــد مــن عــودتي
ســأرجــع مــهــما بــدت محــنــتي

وقــصــة عــاري بــغــير نهايــه
ســأنهي بــنــفسيَ هــذي الــروايــه

فــلا بــدّ ، لا بــدّ مــن عــودتي

●

وظــلّ المــشــرد عــن أرضــه
يــتــمــتــم : لا بــد مــن عــودتي

وقد أطرق الرأس في خيمته
وأقفل روحاً على ظلمته
وأغلق صدراً على نقمته

وما زالت الفكرة الثابته
تدوّم محمومة صامته
وتغلي وتضرم في رأسه
وتلفح كالنار في حسه
سأرجع لا بد من عودتي

. . . .

وفي ليلة من ليالي الربيع الدفيئه
مشى ذاهل الخطو تحت النجوم المضيئه

وراح يدور بأفق خواطره الشاردات
يلاحقهن ويمعن بُعداً مع الذكريات

ويبصر يافا جمالاً يضيء على الشاطىءِ
ويسمع غمغمة الموج في بحرها الدافىء

ويلمح بالوهم طيف القوارب والأشرعه
تقبّل وجه الصفاء في الزرقة المترعه

ومرت على وجهه وهو يحلم نسمه
مضمّخة بشذى البرتقال تعطّر حلمه

وكانت كهمسٍ تحجّب مصدره واستتر
كهمسٍ من الغيب وافاه يحمل صوت القدر

●

وأوغل تحت ضياء النجوم
يمشي ويمشي كمن يحلمُ

وكان بعينيه يرسب شيء
ثقيلٌ كآلامه، مظلمُ

لقد كان يرسب سبع سنين
انتظارٍ طواها بصبر ذليل

تخدّره عصبة المجرمين
وترقده تحت حلم ثقيل

●

لقد كان يرسب سبع سنين
طوال المدى عاشها في سؤال :

متى سأعود؟ وكان الجواب
صمتاً يمدّ رهيب الظلال

ومـا زال يمشي سلـيـب الإرادة
تـدفـعـه قـوّة لا تـردّ

إلى أيـن؟ لم يـدر، كـان الحـنـين
نـداءً ألـحّ بـه واسـتـبـدّ

كـأنَّ مـن الأرض، مـن أرضـه
تـصـاعـد يـدعـوه صـوتٌ شـرود

يجـلجـل في قـلب أعـمـاقـه
ويجـذبـه مـا وراء (الحـدود)

●

هـنـاك تـنـاهـت خـطاه، هـنـاك
تـسـمّـر عـنـد الـسـيـاج الـعـتـيـق

هـنـاك تـيـقّظ وعـيـاً رهـيـفـاً
وحـسّـاً عـجـيـب الـتـلـقّي دقـيـق

وفي نـفـسـه كـان يـزدحـم الـدمـع
والـشـوق والـسـورْة المـفـعـمـه

ورجـع نـداء مـلحّ قـويّ

ومــوجــة عــاطــفــة مــبــهــمــه

ورائــحــة الأرض في قــلــبــه
مــزيــج حــنــان ونــفــح شــذيّ

ولــلــصــمــت من حــولــه ألــف مــعــنىً
يــعــانــق ألــف شــعــور خــفــيّ

وأهــوى عــلى أرضــه في انفعــال يـشمّ ثــراهــا
يـعــانـق أشـجـارهـا ويـضــمّ لآلي حـصـاهـا
ومـرّغ كـالـطفـل في صـدرهـا الـرحب خـدّاً وفمْ
وألـقى عــلى حـضـنهـا كــل ثـقـل سـنـين الألمْ

وهــزّتــه أنفـاسهـا وهي تــرعش رعشـة حبّ
وأصغى إلى قـلبهـا وهـو يـهمس همسـة عتب :
رجعتَ إليّ ؟!
ـ : رجــعــت إلــيــك وهــذي يــدي
سـأبقى هنا ، سـأموت هنـا ، هيّئي مـرقـدي

●

وكــانت عيــون العــدو اللئيم عــلى خــطوتــين
رمــتــه بــنــظرة حــقــد ونــقــمــه
كــما يــرشــق المــتــوحش ســهــمــه
ومــزق جـوف السكــون المهيب صــدى طلقتــين

. . . .

بدا الفجر مرتعشاً بالندى
يذرذره في الربى والسفوح

ومرّ بطيء الخطى فوق أرضٍ
مضمّخة بنجيعٍ نفوح

تلفّ ذراعين مشتاقتين
على جسدٍ هامدٍ مستريح

شعلة الحرية

« هدية إلى أم الأعمال العظيمة مصر الثورة في حرب السويس »

هبة الله السخية
هذه الشعلة ، إرث البشرية
ارفعيها أنت يا مصر ارفعيها
للملايين الذين
كم حنى أعناقهم ذلّ السنين
ارفعيها للملايين الذين
لم يزالوا ظامئين
لينابيع الضياء
الضياء السمح يهمي في سخاء
ارفعيها لهمو
للملايين على الدرب فأفق الدرب داجٍ معتمُ

* *

فجّري الأعماق كل السرّ فيها

فانتفاضات الشعوب
وانطلاقات الشعوب
كلها تكمن فيها
من هنا تنهار جدران الظلام
من هنا تنحطم القضبان ترتدّ حُطام
فجّريها هذه الأعماق كلَّ السر فيها
وارفعي الشعلة يا مصر ارفعيها
انها سرّ البقاء
هي مهما أخمدوا أنفاسها ، أو
أطفأوا أقباسها
هي مهما مرّغوها
هي مهما أرخصوها
سوف يبدو وجهها الحرّ مهيب الكبرياء
للملايين الذين
عشقوها من قرون وقرون
سوف تبدو من خلال المحنِ .
من رزايا الوطنِ
سوف تبدو من ثنايا المعركة
ودخان الموت يلتفّ جبالاً بجبال
والقرابين بساحات النضال
يطرقون الباب، باب الأبدية
وبأيديهم تراب المعركة
التراب الطيب الطاهر روّاه الفداء

●

هذه الشعلة من قال يلاشيها الطغاة الغادرون
البغاة المجرمون
وهي إرث البشريه
هبة الله السخيه

حلم الذكرى

من وحي الاعتداء الاسرائيلي على قرية « قِبْيَه » .

إلى روح شقيقي إبراهيم

أخي ، يا أحب نداء يرفّ
على شفتي مثقلاً بالحنان

أخي ، لك نجواي مهما ارتطمت
بقيد المكان وقيد الزمان

أحقاً يحول الردى بيننا
ويفصلني عنك سجن كياني

فمالي إذا ما ذكرتك أشعر
إنك حولي بكل مكان

أحسُّ وجودك أؤمن أنك
تسمع صوتي هنا وتراني

وكم طائف منك طاف بروحي
إذا ما الكرى لفّني واحتواني

*

أخي ، أمس والليل يعمق غورا
ويحضن قلب الوجود الكبير

وذكراك تعمر أقطار نفسي
وتملأ قلبي بفيض غمير

تفلّت بين انعتاق الرؤى
خيالك في غفوة من شعوري

تحدّر من شرفات الخلود
على هودج من غمام وثير

وقوس السحاب على الأفق تحتك
تطويه معبر لون ونور

كأن يد الله مدّته دربا
إلى الخلد بين حقول الأثير

*

أخي ! وهتفت بها واندفعت
إليك بكل حناني وحبي

أخي ! غير أنك رحت تصوّب
عينيك نحو المدى المشرئبِّ

وكنت حزيناً وكانت على
جبينك مسحة غمّ وكرب

وجرح عتيق بجنبك يدمى
شعرت به يتنزّى بجنبي

وأرسلتُ عينيَّ حيث رنوت
وقد دبَّ ثقل خفيٌّ بقلبي

*

خلال دخان علا واستدار
رأيت الحمى خربةً ماحله

على العتبات تدبُّ هوام
وتعبر قافلةً قافلله

وبين الزوايا عناكب تحبو

وتمعن في زحفها واغله

وأبصرت أشلاء قومي هنا
وهناك على طرق السابله

عيون مفقّأة بُعثرتْ
على الأرض حباتها السائله

وأيدٍ مقطّعة ووجوه
غزا الترب ألوانها الحائله

*

وكان هناك وراء الدخان
قطيع تشتت في كل بيد

قطيع وديع ... بقية قومي
فهذا شريد وهذا طريد

تظللهم في العراء الخيام
وقد أخلدوا في هدوء بليد

براكين خامدة لا تفور
استحال اللظى في حشاها جليد

قصارى مطامحهم لقمةٌ
مغمّسة بهوان العبيد

تجود بها كفّ جلّادهم
لتخديرهم كل صبح جديد

*

وأرجعت نحوك طرفاً ثقيلاً
وفي شفتيَّ سؤال كئيب :

« أخي أرأيت القضية كيف
انتهت ، أرأيت المصير الرهيب

أتذكر إذ أنت ترسل شعرك
يطوي الحمى عاصفاً من لهيب

تحذِّرهم من هوان المآل
كأنك تقرأ لوح الغيوب »

ولكن طيفك كان يغيب
وراء المدى صامتاً لا يجيب

وجرحك يقطر أزكى دماء

همت في حواشي غمام خضيب

وراحت تعانق جرح الحمى
حمانا المسمّر فوق الصليب

وجدتها

وجدتها في يوم صحو جميل
وجدتها بعد ضياع طويل
جديدة التربة مخضوضره
ندیانة مزهره
وجدتها والشمس عبر النخيل
تنثر في الحدائق المعشبه
باقاتها المذهبه
وكان نيسان السخيّ المريع
والحب والدفء وشمس الربيع

●

وجدتها بعد ضياع طويل
غصناً طرياً دائم الاخضرار
تأوي له الاطيار
فيحتويها في حماه الظليل

إن عـبـرت يـومـا بـه عـاصـفـه
راعـدة مـن حـولـه راجـفـه
مـال خـفـيـفـاً تحـتـهـا وانـحـنى
أمامها ليّنا
وتهـدأ الـزوبـعـة الـقـاصـفـه
ويـسـتـوي الـغـصـن كـما كـانـا
مـشـعـشـع الأوراق ريّـانـا
لم تـنـحـطـم أعـطافـه الـلـدنـه
تحت يد الريح
ويمضي كما
كـان ، كـأن لم تـثـنـه محـنـه
يـضـاحـك الجـمـال في كـل مـا
يـراه ، في إشـراقـة الـنـجـمـه
في هفة النسمه
في الـشـمـس في الأنـداء في الـغـيـمـه

●

وجـدتهـا في يـوم صـحـو جمـيـل
بـعـد ضـيـاع بـعـد بـحـث طـويـل
بـحـيـرة رائـقـة سـاجـيـه
ان ولغت مره
في قـلـبـهـا الـصـافي ذئـاب الـبشر
أو عـبـثـت فـيـهـا ريـاح الـقـدر

تعكرت فترة
ثم صفت صفاء بلّورِ
ورجعت مرآة وجه القمر
ومسبح الزرقة والنور
ومستحمّ الأنجم الهاديه

●

وجدتها ، يا عاصفات اعصفي
وقنّعي بالسحب وجه السما
ما شئت ، يا أيام دوري كما
قُدّر لي ، مشمسةً ضاحكه
أو جهمة حالكه
فان أنواريَ لا تنطفى
وكل ما قد كان من ظل
يمتد مسوداً على عمري
يلفه ليلاً على ليلِ
مضى ، ثوى في هوّة الأمس
يوم اهتدت نفسي الى نفسي

ذكريات

أنـــا وحــنــيــني الــبــعــيــد الــيــك
ورائــحــة الــلــيــل والــذكــريــات

وأنــشــودة عــبــر مــوج الأثــيــر
تــبــارك ســحــر الهــوى والحــيــاة

وغــيــبــوبــة ، وانــتــقــال بــعــيــد
وراء القفارِ
وعبر الصحاري
وكــان الــلــقــاء الــغــريــب الــســعــيــد

●

طــوانــا هــنــاك عــلى الــشطّ لــيــل
نــديّ الــغــلائــل ، شــفّ مــضــيء
وأنــت بــجــنــبــي طــفــلي الحــبــيــب

تـنـفض قـصـة عـمـر مـلـيء
تحـدثـني عـن حـيـاة الـكـفـاح
وخوض الردى
وكان الصدى
مـثيـراً ، وكـانـت هـنـاك جـراح . .

تـلمّـسـت تـلك الجـراح الـغـوالي
وشيء بـصـدري كـحسّ الأمـومـه
تـلمـسـتـهـا وحـنـوت عـلـيـهـا
بـروحـي الـرؤوم ونـفـسي الـرحـيـمـه
وفي غـمـرة الحـب مـرَّت يـدي
بدفق الحنان
ودفء الأمان
عـلى رعـشـات الجـبـين الـنـدي

●

ووسّـدت رأسـك قـلـبـاً سـخـيّ
الـعـطاء ، ولـفَّ الـنـقـاء كـلـيـنـا
وغـنّـت بـأعـيـنـنـا الـعـاطـفـات

وابتسـم الحـب في شـفـتـيـنـا
ومـرّ نـسـيـم طـري عـلـيـنـا

ترشُّ يداه
عبير الحياه
شـــربنـــا الشـــذى منـــه حـتى ارتـــوينـــا

●

وكـــان هـــوانـــا جمـــيلاً كـــهـــذا
الـــوجـــود ، عـــنيفـــاً كـعـــنف الحـــيـــاه
وكـــنـــا مـــعـــاً نـــغـــماً واحـــداً
عـــمـــيـــق الـــرنـــين فـــســـيـــحـــاً مـــداه
نمـــوت ولا يتـــلاشى صـــداه
ويبقى يدور يلفّ الدهور
يبارك سحر الهوى والحياه

وانتظرني

حين تبدو الحياة في يومك المقفر مني

كئيبة مملوله

ويلحّ الشوق اللجوج فتدعوني ودوني ـ

مجاهل وبراري

وأمامي شوامخ الأسوار
فامض نحو الجسر الكبير مع الذكرى
ورعشاتها العذاب الجميله

●

ستراني هناك أمشي إلى جنبك
أنت استغراقي وابتهالي

وانا كنزك الذي تحتويه
بيديْ باخلٍ وحرص ضنين
وتواريه عن فضول العيون

والاصـــيــل المــلوّن الحــلو يــطويــنــا ـ
حـــبـيــبــيــن نـــاســجـيْ آمـــال

●

وسنمضي معاً الى الضفة الأخرى ـ
بعيداً عن اصطخاب المدينة

في الطريق الممدود نمشي وللصمت خشوع ـ
يلفّ جوّ هوانا

ليس إلا النجوى ووقع خطانا
وطمأنينة تكلل روحينا وأمنٌ ـ
وراحة وسكينه

وسنمشي ونحن نجهل من يدفعنا ـ
في المدى وما سنلاقي

وسنمشي معاً بعيداً ولا ندري ـ
متى ينتهي الطريق الوثير

أو الى اين سوف يفضي المسير
ونداء المجهول صوت خفي
هاتف من قرارة الأعماق

●

وسنبقى هناك نمشي ولا نعلم إلا ـ
شيئاً يحسه قلبانا

هو ايماننا المقدّس بالحب ـ

ثوى في أغوارنا المجهوله

وحدانا على الدروب الطويله
وزكا شعلة تضيء بعينينا ـ

فنمضي على سناها كلانا

●

هـكـذا كـلما ألـحّ عـلـيـك الـشـوق
عـد لـلـمـاضـي ، وعش في الـذكـرى
واحـي أيـامـنـا ونـحـن عـلى الـنهـر ـ
ونـيـسـان ضـاحـك في الـضـفـاف
راقص الـظل رائـع الأطـيـاف
وانـتـظرني ، غـداً سيـجـمـعـنـا الحـبّ ـ
شتيتين في حماه استقرّا

الانفصال

إلى أين أهرب منك وتهرب مني
إلى أين أمضي وتمضي
ونحن نعيش بسجنِ
من العشقِ .
سجن بنيناه نحن اختيارا
ورحنا يداً في يدِ
نرسّخ في الأرض أركانه
ونعلي ونرفع جدرانه
من العشق شدناه ، من لبنات الأماني
ورسم خطوط الغد
ومن الف رائحةٍ الف لونِ
من الذكريات
من العاطفات
من العبرات بنيناه من
تفجّر ضحكاتنا الهائه

وفيض مشاعرنا الدافئه
ومن كلمات لنا لا تُعدّ
ومن رغبات لنا لا تحدّ
من الانتصار
سكرنا معاً بحلاواته
من الانكسار
غصصنا معاً بمراراته
من الرأي إذ نلتقي عنده يا حبيبي
من الفكرة الواحده
من الشعلة العذبة الخالده
ومن الف حلم ندي جميل
وأشياء أخرى تقاسمتها
واياك نسيانها مستحيل

إلى أين أهرب منك وتهرب مني
إلى أين أمضي وتمضي
ونحن نعيش بسجن
نحاول منه انعتاقاً عسانا
نلاقي الخلاص كلانا
إلى أن تخور قوانا
وننهار عجزاً ، وتبقى أمامي
وأبقى أمامك وجهاً لوجهٍ
وفي شفتينا
لهاث أوامٍ

وفي وجنتينا
ظلال ضرام
ونلقي السلاح وتمضي يدانا
تلفّ هوانا
بحبٍ وعطفٍ تلفّ هوانا
ونفنى رضىً ونذوب حنانا

* *

فكيف الفرار حبيبي وأينا
ونحن ندور ونجري ونهرب
منّـا الينا

* *

سدى ومحال
سدى لا انعتاق لنا لا انفصال
محالٌ حبيبي محال

هل كان صدفة ؟

. . . وجمعتنا الصالة المحتشدة
وحسب الآخرون
لقاءنا محض صدفة

●

دخلتها في غفوة حلوةٍ
من غفوات الزمان
وامتدّ طرفي هناك
ودار في خطفه
يبحث عن عينين
ضحّاكتين
ولم يكن ضمّك بعدُ المكان
ما أوحش الفردوس إن لم تكن
فيه ،
وأقبلتَ بهجتي

ورفّ قلبي حين مسّتْ خطاك
أوتاره ألف رفّه

●

لم ألتفت نحوك ، لا بسمه
شعّت على الشفاه
لا كلمه
لا عين ناغت عين
وبيننا خطوه
وكنت لي في وهْمهم ، ماذا ؟
لا شيء . . .
مخلوق غريب الديار
لا أمل يربط قلبينا
لا حب لا أسرار
من أين يدري سرّنا الآخرون
وسرنا ثروه
مخبوءة في عمق روحينا

●

هم يحسبون
لقاءنا محض صدفه
هل كان صدفه ؟

من قال ؟ من أين همو يعلمون ؟
أنت الذي يعلَمُ
وأحمر الشفاه
والعطر والمرآه
وزينتي هي التي تعلمُ
لا همو

العــودة

وأطــلّ وجــهــك مــشــرقــاً مــن خــلــف عــام
عــام طــويــل ظــلّ في عمــري يــدب كــألف عــام
عــام ظــللتُ أجــرُّه خــلفــي وأزحــف في الــظلام
وعــواصــف ثــلجيــة تــصــطكُّ حــولي والــطريــق
كانت تضيق كأنها أمل يضيق
ويضيع في تيه القتام

●

عــام طــويــل ظــلّ يفصلنــا بــه بحــر صــمــوت
بــحــر دجت أمــواجــه وتجــمّــدت، بــحــر تمــوت
فيــه الحيــاة وتغــرق الخلجــات في بــرد السكــوت
وأنا على الشط الأصمّ
أنا والفراغ وليل وهْمي
أصغي لعلّ صدى يمرّ
بي ، عــلّ شــيئــاً مــنــك ، همسٌ ، نــبــأةٌ ،
شيئاً يمرُّ

بي منك عبر مدى السكوت
لا شيء ، إلا وطأة ثقلت وصمتٌ مستمر

●

عام ، ودبّتْ بعده في البحر معجزة الحياة
لم أدر كيف ، هناك رفًّت بغتة فوق المياه
وهفت حمامه
زرقاء ، في طهر السماء ، هفت إليَّ على غمامه
وطوت جناحيها وقرَّت في يديّه
ورنت إليه
وتنفست دفئاً وعطراً
وشممت فيها منك شيئاً هاجني وجداً وذكرى
فمضيت ألثم ريشها
وجعلت صدري عشها
وشعرت أنك عدت ، أنك في الطريق
واجتاحني فرح الغريق
حضنتْه شطآن النجاه

●

وأطلَّ وجهك من بعيدِ
حلواً يرف على وجودي
ورأيت أحزاني تموت على تعانُقِ راحتينا

وأضاء في فمك ابتسام
البسمة الجذلى التي أحببتها منذ التقينا
عادت تضيء كأنها قلب النهار
وتصب في نفسي فيشربها دمي
ويعبّها قلبي الظمي
ونسيت آلامي الكبار
ونسيت في فرح اللقاء عذاب عام
عام طويل ظلَّ في عمري يدب كألف عام

في الكون المسحور

كان نداء الى نزهة قمرية في النهر وفي حلم من أحلام يقظتها رأت نفسها هناك .

عينـــاي مغمضتـــان تــرفّ بـعـمـقهـــما روحـي وتَـرى
تنزاح أمامي الآن حدودْ
تنهار سدود
أسمعُ ، أبصرُ ما ليس يُرى

* *

أحيا في كون مسحورِ
وقرارة منتصف الليل
تنشر حولي
من عالمي اللامنظورِ
أمواج عبير منهلٍ

* *

الأرض القفر تلاشت . ألمحُ في الصمت خيال ضفافِ
النخل على الشطّ الغافي
تومي لي أذرُعه الخضرُ
ألمح في الصمت خيال النهر جرى غيبيّ الاطياف
يتدفّق من عمق الأزلِ
وهناك على شطّ النهرِ
تتغامز أضواء القمرِ
وتراقص في لحن غزِلِ
أحلام النهر المفهاف

*

النهر ، يلوِّح لي النهرُ
رفّات شراع تدعوني
عاشقة الهمس وتفتح لي
أبواب الغبطة والأملِ
أنا في الزورق روحٌ طافِ
في زورقه معه وحدي
ويدي راعشةٌ غائبةٌ
في الغاب الوحشيّ الجعدِ
الكون تجمّع في عينين
روحي غارقة في نجمين

* *

عبرت فتره
ينساب ، يرف صدى نبره

نبرة صوت حلوٍ عذبِ
منغوم يشربه قلبي :
ـ . ما الـذي تشتفّـه عيـنـاك من عـينيّ ، مـاذا تـبصـريـن ؟
ـ . ما الـذي أبصر في عـيـنـيـك ، مـاذا ، لـسـت أدري
عالمي المفقود ؟ دنياوات أحلامي وشعري ؟
ما الذي أبصر ؟ آفاقاً وأغواراً سحيقه
وبحاراً غرقت فيها سموات عميقه
وبعينيك شموس تتحرّق
وبعينيك نجوم تتألق
وغموض مد كالمجهول ، كالغيب الخفيٍّ
وسحابٌ غطَّ في ليل شتائي دجيٍّ
هو من إعصار ماضيك بقايا
ذكريات دفنت فيها خطايا
وأرى ذاتي في عينيك زورق
تائه الغاية في لجّهما يطفو ويغرق
فقد الشط ، وفي غمرة شبْكٍ وصراع
حطمت مجدافه الريح وألوت بالشراع
. . . .
ماذا ؟
الحلم تفلّت من عينيّ ، هنا عادت حولي
الغرفة تقبع والجدران هنا وفراغٌ منظورٌ
انهدَّ الكون المسحورُ
منهاراً في قلب الليلِ

هل تذكر ؟

لقاؤنا ودربنا الأرحبُ
وشاطىء النهر
والعش في حديقة الزهر
وحارس الحديقة الطيبُ
والمقعد الأخضرُ
هل تذكر !

* *

لقاؤنا إذ تسبق الموعدا
خطاي تستهدف عبر المدى
ركناً هناك
على رصيف الشارع الصاخب
وحيث ألقاك
سبقت مثلي ساعة الموعد
هناك تغدو فرحتي فرحتين
وأقطع الشارع في لمحتين

كأن في خطوي جناحين
هناك ألقاك
في قلق الانتظار
منفعلاً مستثار
تهتف : ابطأتِ !

وفي خطفةٍ
يفقدنا الرصيف روحين
مع الهوى طائرين
وننثني نحو المدى الأبعدِ
قلباً إلى قلب ، يداً في يدِ
هل تذكر ؟

* *

ونعبر الجسر ونمضي الى
طريقنا الثاني على الشاطىء
طريقنا المنسرح الهادىء
نمشي ونمشي وملء قلبينا
فيض هناء ما له حد
ودربنا المسحور يمتد

درب رؤوم الظل ، درب طويل
كنت أرى مثله بأحلامي
قبل اللقاء
أيام كان اللقاء

وهماً جميل
كالمستحيل
هل تذكر ؟

*

وتحتوينا
في قلبها المخضوضر الحاني
هناك في حديقة الزهر
عريشة ترعى أماسينا
كأنها عشّ العصافير
وحولنا من روح نيسان
شيء خفيّ الايحاء كالسحر
يومىء عبر الظل والنور
هناك ننأى
في عشنا المنعزل المعشب
عن حارس الحديقة الطيب
وتلتقي في نظرة ظمأى
للنبع عينانا
وفي انجذاب تلتف روحانا
على عناق شغف ملتصق
لا ينتهي
ونشتهي
لو حجَّرتنا ربَّة الحب
ونحن فوق المقعد الأخضر
قلباً إلى قلب فلا نفترق
هل تذكرُ ؟

كلما ناديتني

يا حبيبي كلما ناديتني
هاتفاً عبر المسافات : تعالي
عبقت في خاطري يا جنّتي
جنّة ، وانهلّ ضوءٌ في خيالي
وبدا لي
عالم ريّان ، ورديُّ الظلالِ
من شباب وفتون وغوى
أسكرت آفاقه خمرُ الهوى
وتعرّت فيه أطياف الجمال

●

كلما صوتك ناداني إلى
موعد يحضنه صدر الأمان

عانقت روحي رؤى أمسية
كم تساقى الحب فيها والحنان
عاشقان
نسيا الدنيا عليها والزمان

ليلة فيها حصرنا العمر ، ليله
أخذت ألوانها من ألف ليله
من أساطير جواريها الحسان

●

كلما صوتك نادى من بعيد
دافىء الغنّة منغوم الصدى
فتح الفردوس لي محرابه
والأماني فرشت لي مرقدا
من عبير وبدا
لي فجرٌ هلّ رطباً مسعدا
ناعم الأنفاس مفترّ الضياء
لفّنا حلماً على مهد لقاء
واحتوانا فيه دفئاً وندى

●

نادني من آخر الدنيا ألبّي
كل درب لك يفضي فهو دربي
يا حبيبي أنت تحيا لتنادي
يا حبيبي أنا أحيا لألبّي
صوت حبي
أنت حبّي

أنت دنيا ملء قلبي
كلما ناديتني جئت اليك
بكنوزي كلها ملك يديك
بينابيعي ، بأثماري ، بخصبي
يا حبيبي

حتى أكون معه

يفتّح قلب الربيع ويسطع وجه الجمال
بمنحدرات السفوح وفوق نهود التلال
ويهمي السنى ويموج
على ضحكات المروج
يعانق فيها العبير ويحضن خضر الظلال

●

وتمضي جموع الحساسين في وثبات الفرح
تغني وتنفض جذلى جناح قوس قزح
وترسل مِلْءَ الفضاء
نداءً وراء نداء
إلى شرب خمر الحياة ، إلى عبّ خمر المرح

●

وأوصد قلبي أنا
كراهبة ناسكه
وأبقى بديري هنا
وراء الدنى الضاحكه
إلى أن تدقّ يداه
على عزلتي المغلقه
إلى أن يهلّ سناه
على روحي المرهقه
فإني على موعد
ولن ، لن ألبي النداء
نداء انتفاض الحياه
نداء جمال الوجود حتى أكون معه

* *

وإن كنت وحدي هنا
بأمسية بارده
وقد حال ما بيننا
مدى ، بل وألف مدى
وأسفر وجه الردى
بعينٍ له جامده
وأشرع نحوي يدا
بمنجله الأعقف
فسوف أصيح به
بملء كياني :

قفِ !

تراجع ولا تقرب

سدى ما تروم سدى
فإني على موعدِ
ولن ينطفي كوكبي
ولن تحتويني يداك حتى أكون معه

القيود الغالية

اضيق ، اضيق بأغلال حبي
فأمضي وتمضي معي ثورتي
أحاول تحطيم تلك القيود
ويمضي خيالي
فيخلق لي عنك قصة غدر
لكيما أبرّر عنك انفصالي
وأقصيك عني بعيداً بعيد
لعلّي أعانق حريتي
وأقطع ما بيننا
غير أني
أحس إذا ما انفصلنا
كأني
لُفِظْتُ وراء حدود الوجود
ويثقل قلبي
وتنقص روحي

وتصبح مبتورة رازحه
واكره أهلي
واكره نفسي
وتعرى الحياة وتمسي
قفاراً بغير جمال
بغير ظلال
ويصبح عيشي بغير مذاق
فلا طعم ، لا لون ، لا رائحه
ويسألني عنك قلبي
ويصرخ في ألم في احتراق :
لماذا جننت فأقصيته ؟
لماذا ؟
لماذا ؟
تراه يعود

●

وحين تعود
يعود الوجود
يمد ذراعين مفتوحتين
إليَّ ، ويصبح قلبي خفيفاً
يغني كطير سعيدٍ
بنى عشه في ربى الجنة
وروحي التي بُترت يا حبيبي

تُرد بقيتها الضائعه
اليها ،
وتخصب حولي الحياه
وتبدو ملونة رائعه
وأمضي وتمضي معي فرحتي
أعانق فيك عبوديتي
وأحضن أحضن تلك القيود

●

حبيبي بما بيننا من عهود
بضحكة عينيك
إذا أنا ضقت بأغلال حبي
وثرت عليها وثرت عليك
فلا تعطني أنت حريتي
فقلبيَ قلب امرأة
من الشرق . . . يعشق حتى الفناء
ويؤمن في حبه بالقيود

تشك بحبي

وكنت مع الآخرين وحيده
بعيداً هناك
بعيداً بتلك الأقاصي البعيده
وزاديَ منك كتابٌ وصوره
تنام بصدري
وزاديَ منك زجاجة عطر
ينثّ بأعماق روحي عبيره
ويبعث حولي هناك
روائح دنيا هواك

●

وحين رجعت اليك
رجعت بكل تعطُّش قلبي
لأنشر ظلِّي عليك
لأعطيك حبِّي

وكانت بعينيك نظرة عتبِ
وشكٍّ وريْبِ
وقلت : نسيتِ هواي
عرفتِ هناك سواي
تمرُّ دهور ولا تكتبين
ولا تسألين
ألا تعرفين
جنوني وكيف يُثار
وكيف أغار
وغيرة حبي دمار ونار
ألا تعرفين ؟

●

تشكّ بحبي ؟
لأني حجبت رسائل قلبي
كأنك تجهل أسباب صمتي
تغار ؟ أحبّ أحبّ تغار
ولكن لماذا ، لماذا تغار
وأنت الحياه
وتعرف انك أنت الحياه
وانك لي منتهى مأملي
وان اسمك الحلو ما يأتلي

يرفّ صداه
على شفتي تمتمات عباده
وهمس صلاه
وفيض سعاده
يفيض على حاضري موجها
ويغمر مستقبلي

●

وها أنا بين يديك
بكل حنيني اليك
بكل تعطُّش قلبي
وترتاب بعدُ بحبي ؟!

ساعة في الجزيرة

بعيدان نحن هنا في الجزيره
بحضن الظهيره
ونافورة الماء تنثر فضَّه

●

هنا يا رفيق حياتي أنا
وأنت أمامي ، أمامي هنا
وهذا المكان
يلفّ الغرام سماه وِأرضه
وهذا الأمان
وهذا الرضى ، كل هذا لنا

●

هنا نحن ، هذي يدي في يديك

ونار الحياه
تدبّ وتسرب منك إليَّ
ومني اليك
هنا نحن بعد الطواف البعيد
معاً نستريح ،
معاً نستزيد
هوانا الجديد
هوانا الوليد
وشمس الشتاء
حنون الضياء
تضمّ كلينا
وتحنو علينا
وتفضي الينا
بسرٍ جديد
لذيذ ، نخبِّئه في دمانا
فيذكي هوانا
ويربطنا بشعور سعيد

●

سيأتي الغدُ
ويتلوه ما بعده
ويجيء سواه
وآخر يتبع آخر

ويعبر عام
وعـــام
وآخر
غداً تتبدل أحلامنا
غداً تتحوّل أيامنا
غداً نتغيّر . .
فلا أنت من بعدُ أنت
ولا أنا ما كنت قبلُ ،
غداً نتغيَّر
وقد انتهي
بنفسك يوماً فلا من أثر
بنفسك مني ولا من صور
كأن لم أكن عالماً تزدهي
بكونك تملك آفاقه
وقد تنتهي
بنفسي ،
بلى ، أنت قد تنتهي
بنفسي
وتمسي
بقايا هشيم ذرتها الرياح
بكل مهبّ
فيفرغ قلبي
ويصبح حبي
رفاتاً بقبر الزمان اندثر

وقد يا رفيق حياتي أموت أنا
أو تموت ، وأبقى أنا
لأصبح ظلاً لماضٍ طواه
زمان يدور ويطوي الحياه
وقد يا رفيق حياتي وقد
ومهما توالى ،
ومهما استجدّ
فساعتنا هذه في الجزيره
بحضن الظهيره
ستبقى تعيش بروحي دقيقه
وراء دقيقه
وتحيا كروحي بقلب الأبد

أنا والسر الضائع

ما زلت والدرب بعيد طويل
أبحث في المجهول عبر الزمان
عن ضائع أبحث ، عن سرٍّ
ظننته أنأى من المستحيل
ما انفك يجري خلفه عمري
وهو وراء الغيب في لا مكان

●

كان دعاني صوته المفعمُ
والعمر فجرٌ والصِّبا برعمُ
ولم يزل يعمر قلبي صداه
عذباً ، قوياً ، فائراً كالحياه
مستغلقاً ، كأنه طلسمُ
ولم أزل أبحث عنه سدى

في ألف وجه من وجوه الحياه
في الليل ، في الاعصار ، في الأنجم
وهو يناديني وينأى مداه
ولم أزل أبحث حتى رمى
بيَ اليأس في ظلامه المعتمِ

●

وسرت والأيام أمشي الى
لا غاية ، لا مأمل ، لا رجاء
وسرت شيئاً ميّت الروح لا
أبحث عن شيء ،
وفي نفسي
ثلج وليل ، ووطأة اليأس
تخنق في نفسي بقايا النداء

●

وكان يوم ، كان صبح رطيب
فتحت عيني على ضوئه
وخلف أجفاني حلمٌ قريب :
وجه أليف ومكان غريب
تفتّحت روحي في فيئه
وثلج قلبي ذاب في دفئه

فتحت عينيّ وكان النهار
صافي المجالي ضاحك الشمس
وكان بي حسّ خفي الدبيب
توقّعٌ مستبهمٌ ، وانتظار
مأتاهما من أين ؟
لم أدر . .
لم أدر إلا أن في صدري
يداً من الغيب مضت كفّها
تمسح عنه عتمة اليأسِ

*

ورحت ، في نفسي صفاء وفي
قلبي حنين وانجذاب خفي
وبغتة ، في لفتة عابره
لقيته يملأ دربي سناه
لقيته ، لم أدر مَنْ ساقه
إليّ ، من وجَّه نحوي خطاه
لقيته ، لا حلماً ، إنما
حقيقة ساطعة باهره
عانقت فيها حين عانقتها
الله والحبّ وسرّ الحياه

*

يا جذل الروح ونُعمى الوصول
لقيت سرّي الضائع المبهما
لقيت سرّي بغتةً بعدما
ظننته أنأى من المستحيل

نــدم

كم يسألون
لمن ترى تنشدين
هذي الأغاني الناعمات الحنون
دافئةً مشرقة كالضياء
مثقلة بالعطاء
ومن هواك الكبير
هذا الذي تسفحين
وتبذلين
له كنوز الشعور
من ذاتك المليئة الخيِّره
من روحك النضيرة المزهره
لعله أطيب انسانِ
لعلَّه أجدر انسانِ
بكل هذا البذل ، هذا السخاء

●

وأخفض الطرف وأبقى على
صمتي المريب
غامضة لا أجيب

●

لكن صوتاً ساخراً في ألم
منبعثاً من قلب جرح الندم
ينصبّ في أغواري المبهمه
مردّداً في غنّة مفعمه
بالهزء ، بالضحك الحزين المرير :
لعله أطيب انسان !
لعله أجدر إنسان !
بكل هذا البذل هذا السخاء !

●

واخجلي !
واخجلي لو أنهم يعلمون
ما أنت أو من تكون

هنيهة

الى رفيديا قرية الظلال الخضراء

من أيّ ينبوع خفيّ بعيد
يدفق هذا السلام
يدفق في نفسي كلحن سعيد
مفضّض الأنغام
هذا السلام المستفيض الطليق
من أين يفضي إليْ
من أين يهمي عليْ
يحيل روحي جوهراً من نور
معتصراً غبطة كل الدهور

●

هذا الصفاء العذب ، هذا الفتون
يغفو بحضن الجبال

هذا المدى يحلم حلو السكون
زمرديّ الظلال
هذا الهدوء الشاعريّ العميق
يغرق روح المكان
يشيع فيه الحنان
ماذا ؟ ترى الطبيعة الساحره
قد ألهمت انَّ هنا شاعره ؟

●

ناي على البعد خلال السفوح
مُسلْسِلٌ حلْمَهْ
تردّني أصداؤه محض روح
تسمو به نغمه
تربطه باللاتناهي السحيق
بالعالم الأجمل
بالمطلق الأكمل
فينتشي من خمرة المبهم
مغتبطاً مستغرقاً مفعم

●

هنيهة السلام لا تخطفي
ظلّك من حولي
انتظري ، لا ، لا تطيري ، قفي

ساكنة الظل
قفي ، دعيني وشعوري غريق
في نعسة السكر
أدمجك في شعري

. . . .

مضيت ؟
إمضي ؟ واغرقي في البعيد
فأنت ، أنت الآن هذا النشيد

لن أبيع حبه

مهداة الى الشاعر الايطالي
سلفاتور كوازيمودو
ذكرى لقائنا في ستوكهلم

Salvatore Quasimodo

أي صدفة
صدفة كالحلم حلوه
جمعتنا ههنا في هذه الأرض القصيّه
نحن روحان غريبان هنا
ألّفت يا شاعري ما بيننا
ربّة الفن ، وقد طافت بنا
فإذا الروحان غنوه
سبحت في لحن (موزارت) ودنياه الغنيه

*

قلتَ : في عينيكِ عمق ،
أنت حلوه
قلتها في رغبة مهموسة الجرس ،

فلما كنا بخلوه

وبعينيك نداء
وبأعماقي نشوه
أيُّ نشوه
أنا أنثى فاغتفر للقلب زهوه
كلما دغدغه همسك : في عينيك عمق
أنت حلوه

*

أنا يا شاعر لي في وطني
وطني الغالي حبيبٌ ينتظر
انه ابن بلادي لن أضيع
قلبه
انه ابن بلادي لن أبيع
حبّه
بكنوز الأرض
بالأنجم زهراً
بالقمر
غير انّي تعتري قلبي نشوه
حينما تطفو ظلال الحب في عينيك
أو تومض دعوه
أنا أنثى ، فاغتفر للقلب زهوه
كلما دغدغه همسك : في عينيك عمقٌ
أنت حلوه

الأطياف السجينة

مع الليل قمت ألملم أطياف
حلمٍ هنيءٍ تفيّأ هدبي

خشيت إذا الصبح مرّ عليها
تفرّ مع الصبح في كل درب

*

وجمعتها بأكفّ الحنان
وضمّختها برشاش العبير

وحمّمتها في ينابيع قلبي
ودفّأتها بلهيب شعوري

*

وزنت غدائرها الناعمات
بوردٍ نما في جبال بلادي

وطوّقتها بأقاحي الروابي
وزنّرتها بغصون الوهاد

*

ودرت عليها وقلبي يغني
بكأسي ودنّ خموري العتيقه

خموري عصير كرومي وكانت
مخبّأة في كهوفي السحيقه

*

وأودعتها قفصاً دافئاً
كقلبي صاغته أيدي الجمال

تعانق في جوّه العاطفي
وضوح السنى وغموض الظلال

*

مشت ريشة الفن في أفقه
ودارت بلمستها الخاطفه

تلوَّن انحاءه، كل لون
يعبِّر بالسر عن عاطفه

*

بقضبانه يستسرُّ ويكمن
روح خفيّ كروح الوتر

إذا النسمات مررن عليها
حملن صدى نغم مبتكر

*

هناك بدنيا يموج بها الفن
والسحر، دنيا الجمال السعيده

هناك سجنت طيوفي الغوالي
ونمتُ وتحت وسادي قصيده

قصائد من رواسب
« وحدي مع الأيام »

الصخرة

أنظرْ هنا ،
الصخرة السوداء شدّت فوق صدري
بسلاسل القدر العتيّ
بسلاسل الزمن الغبيّ
انظر إليها كيف تطحن تحتها
ثمري وزهري
نحتت مع الأيام ذاتي
سحقت مع الدنيا حياتي
دعني فلن تقوى عليها
لن تفكّ قيودي أسري
سأظل وحدي
في انطواء
ما دام سجّاني القضاء
دعني
سأبقى هكذا

لا نور
لا غد
لا رجاء
الصخرة السوداء ما من مهرب
ما من مفرّ

* *

عبثاً أزحزح ثقلها عنّي
بنسياني لنفسي
كم خُضت في
قلب الحياه
وضربت في
كل اتجاه
الهو
اغني
في ينابيع الشباب
أغط كأسي
وأعبّ في نهمٍ شديد
حتى أغيب عن الوجود
دنيا المباهج كم خدعت
بحضنها ألمي وبؤسي
فهربت من
دنيا شعوري

ورقصت في
نزق الطيور
وأنا أقهقه في جنون ، ثم من
أعماق يأسي
يرتجّ في روحي نداء
ويظلّ يرعد في الخفاء :
لن تهربي
إني هنا
لن تهربي
ما من مفرّ
ويهبّ طيف الصخرة السوداء
ممسوخ الصور
عبثاً ازحزحها
سدى أبغي الهروب
فلا مفر

* *

كم جست في أرض الشقاء
أشتفّ إكسير العزاء
من شقوة السجناء أمثالي
ومن أسرى القدر
فولجت ما
بين الجموع

حيث المآسي
والدموع
حيث السياط تؤزّ ، تهوي
فوق قطعان البشر
فوق الظهور العارية
فوق الرقاب العانية
حيث العبيد
مسخّرون
تدافعوا زمراً
زمر
من كلّ منسحق غرق
بالدمع
بالدم
بالعرق
وبقيت التمس العزاء
من الشقاء
ولا مفرّ
فالصخرة السوداء
لعنه
ولدت معي
لتظلّ محنه
بكماء
تلحقني
يتابع ظلّها خطوات عمري

انظرْ هنا كيف استقرت

في عتوٍ

فوق صدري

دعني

فلن تقوى عليها

لن تفكّ قيود أسري

ستظلّ روحي

في انقفال

سأظل وحدي

في نضال

وحدي

مع الألم الكبير

مع الزمان

مع القدر

وحدي

وهذي الصخرة السوداء

تطحن

لا مفر

انا راحل

انا راحلٌ
ارسلتها ومضيت في ركب الزمان
انا راحل
أرسلتها ، وبهتُّ حيرى في مكاني
في ذهلتي ،
ووقفت أسمعها تدوّي في كياني
تخفيك ، تخلي منك أيامي
وأحلام افتتاني

●

أنا راحلٌ
وهوت على قلبي كساطور مسمًّم
لم أبك ، كان الدمع يجمد خلف جفني
كان ملجمْ
وسرحت أرنو في الفراغ

سرحت في اللاشيء أحلم
حلماً بلا لون فلم أفهمه
حلماً كان مبهمْ

*

أنا راحلٌ
ومضى يـردّدهـا فـراغ الـكـون حـولي
أصغيت ،
شيء من وجودي انهدّ
في يأسٍ وثقلِ
كان الصدى كالموت يسقط منه حولي
ألف ظلّ
ويدور بي
فأغوص من ظلماته
في ألف ليل

●

أنا راحلُ
ووقـفـت يـعـمـيني غـبـارك في الـطريـق
لم أعدُ خلفك كنت كالمشدود في
مهوى سحيق
لم تختـلج شـفـتـاي بـاسـمـك لم أمـدْ يـديْ غـريـق
وظـللت ارنـو والـصـقـيـع يـدبّ يـزحـف في عـروقـي

●

ومضيت لا تلوي ، تباعدك الشواسع
عن وجودي
ومضت تفرّقنا تخومُ طافياتٌ من جليد
وبقيتُ في فلكٍ ، وأنت هناك
في فلكٍ بعيد
نجمان في فلكيهما
يتخبّطان على الوجود

●

نجمان موهوبان كم نشدا فراديس اللقاء
عبثاً
وعاد كلاهما يطفو ، يدور بلا رجاء
متغرّباً حيران ، يسفح ضوءه
عبر الخواء
والدهر والأبعاد بينهما
وجلّادُ القضاء

هبـاء

« هدية الى صديقتي ياسمين زهران »

أما من نهايه
لدربي الطويل
إلامَ أسير ، لأية غايه
أجرّ السنين
وما من وصول

* *

ترى لِمَ أجري وماذا أريد
وفيمَ طوافي
بهذي الفيافي
كظل شريد

* *

لقد أكلت قدميّ الصخور

وهوج الرياح تظلّ تدور
معي وتدور
وأجري أنا عبر هذا الخواء
وهذا الخلاء
هباء هباء
أمامي وخلفي وحولي هباء
وأجري وأجري وما في يديْ
سوى الوهم شيْ

* *

تعبت ، تعبت ، أما من نهايه
لدربي الطويل
لأية غايه
أجرّ السنين
ودربي يطول
وما من وصول

دوامة الغبار

عامٌ قريب
كانت حياتي قبله
شبحاً يدبّ على جديب
متعثّراً بالصخر ، بالأشواك
بالقدر الرهيب
حتى رآك
روحي تهلّ على كآبته
فتترعه يداك
فرحاً واشعاعاً غريب

●

عامٌ قصير
سرنا معاً فيه على دربي الوعير
جنباً الى جنب ، وملء عيوننا

دفء الشعور
والعاطفه
وإذا الحياة على صدى
خطواتنا المتآلفه
خضراء تورق في الصخور

●

عام ومرّ
ودجا غبارٌ حولنا
هاجت به ريح القدر
وتلمّستك يدي وفي عينيّ ليلٌ معتكر
وارتاع قلبي
رجعت إليّ يدي ميبّسة الدماء
بثلج رعبي
لا صوت منك ولا أثر

●

ووقفت وحدي
في وحشة التوْهان ، في يتم الغريب
وقفت وحدي
تصطكّ روحي في فراغ الدرب من ذعر وبرد
وعلى فمي

إشراقةٌ ماتت ، وفي قلبي
تنبّؤ ملهمِ
أني سأبقى العمر وحدي

●

لا تبعدِ
وبعثتها من غور يأسي
في الفضاء المربدِ
وبقيت أهتف من قرارة وحشتي :
لا تبعد
أنا خائفة
قلبي الوحيد يحسّ ، يسمع
دمدمات العاصفه
خلف الفراغ الأسود

●

أمسك يدي
سر بي ، غبار الأرض منعقدٌ على دنيا غدي
يعمي خطاي المجفلات على طريقي الموصد
هذا الغبار
دوّامة دارت بها حولي

أعاصير القفار
تلوي بعمري المجهد

●

كيف الهروب
والعاصف الجبار يسفي الدرب وحشي الهبوب
شرس الجناح يسوط أقدامي
على القفر الرهيب
والهاويه
تصغي على البعد القريب
إلى صدى أقداميه
بين التواءات الدروب

●

لا تبعدِ !
وبقيت اصرخ من قرارة وحشتي :
لا تبعدِ !
فتبدّد الريح النداء مع الصدى المتبدّد
وبقيت وحدي
حيرى ، أدور ، أصارع الدوامة الهوجاء
وحدي
عبر الطريق الموصد

هو وهي

هي والمصبــاح والليــل وأحــلام هــواهــا
هــي تــلك الــذرّة الحيــرى الــتي تــاهــت خــطاهــا
في قفــار الـزمن الجبّــار ، في لا منتهــاهــا
ذرّةٌ ضــاعــت فــما تــعــرف في الــكــون اتجــاهــا

●

هــي والمصبــاح ، مصبــاح عـتـيـق نـصـف مــوقــد
شــاحب الضــوء من الجــوع ، عــلى الليــل مـسهَّـد
مدّ في المخدع طرفاً
راعش النظرة مجهدْ
كلما أنّتْ على النافذة الريح تنهّد

●

هي والمصبــاح والليــل رفـيق الحــائــريـن

فيلسوف الزمن الواعي تجاريب القرون
لفها تحت جناحيه برفق وسكون
واحتواها ابنة أشواق وفنّ وشجون

❊

لم تزل غائبة تصغي الى صوت فريد
صوته النفّاذ يسترسل في نبر شديد
ضمّ سرّ الأبد الخافي، حوى لغز الوجود
وطوى الآماد يدعوها لمجهول بعيد :

●

ـ : أنا من يناديكِ هل تسمعيني
أنا من رماني عليك القدر
طويت حياتك نفساً تلوب
وروحاً محيّرة تنتظر
وكنت بقلبك لم تعرفيني
سوى حلم في الضباب اغتمر
تحسينني ظمأً في وجودك
شوقاً إلى مبهمٍ منتظر
وكم هفّ حولك مني عبير
وكم ضمّ حلمك مني صور
وها أنا يا ليلَ ها أنا جئت
كياناً تجسّد ، روحاً حضر
أجيبي ندائي أنا من يريدك
جسماً وروحاً ، خيالاً وشعر

أنـا فـافهميني ، اسمعيني ، أجيبي
حــرارة صــوتي بــصــوت أحــرّ
قــرأتـك يــا ليـلَ شعــراً تفجّــر
ناراً مدوّمة زافره

فــأدركــت أيّــة روح جمــوح
وراء أنــاشــيــدك الهــادره
تحـدّيــتِ مجــتــمــعــاً زائــفــاً
يمــثّــل اكــذوبــة مــاكــره

فـضـيـلـتـه خـدعـة ضـخـمـة
وتــقــواه شــعــوذة فــاجــره

خـرجتِ على الناس يا ليـلَ نفسـاً
كــما هــي عــاريــة ســافــره

فـلم تُلبـسيهـا ثيـاب الـنـفـاق
ولم تخـدعي نفـسـك الـطاهـره

وكنتِ كـما أنتِ، بنت الـطبيعـة
كـنـت حـقـيـقـتـك الـبـاهـره

فــأحــبــبــت صــدقــك يــا لــيــل في شعرك . .
الحــيّ ، في روحــه الــفــائــره

وأقبل يوم رأيتك فيه
يظلّل وجهَك لونُ الألم

بأمواج عينيك تدنو وتبعد
أصداء لحن حزين النغم

فأحسست جذباً غريباً اليك
يشدّ كيانيَ روحاً وجسم
ومرّ بقلبي نداء العناصر
في خطفة عبرت كالحلم

بأن المقادير قد وضعتني
أمامك .

يا ليلَ هذا قسم :

سيهواك قلبي ، سيهواك ما
تنفّس عرق به واضطرم

هوى سوف يرويه جيل لجيل
قصائد حب تحدّى العدم

الا فاعلمي الآن انك لي ، لي
لأنانيتي ، لهواي العَرِم

. . . .

وقفتْ وارتفقت نـافذةً غـرقى بأنفـاس القمر
وعلى أهدابهـا رفات حلمٍ مستمـر

كـامـنٍ يـرسب في أعـمـاقـهـا
جـائـع يقتـات مـن أشـواقهـا

وأطلّت والـدجى المقمـر غـاشٍ صـمتـه
لم يـكـن في قـلبهـا يـنبض إلاّ صـوتـه

كـانت الـدنيـا بعينيهـا نـداءً يتـرامى
فـيـه مـن رقـة انـداء الـسـاء
فـيـه مـن دفء قـلوب الـشـعـراء

وأطـلّت وبـعـيـنـيـهـا مـع الحـلم ظـلال
تتكسّر
لجـواب لاهثٍ يـطفـو عـلى وعي مخـدّر :
خـذني بـعـيـداً ، انـطلق بي عـلى
أجـنـحـة الأشـواق ، خـذني إلى
ركـن مـن الـدنـيـا وراء الـبـعـيـد

خـذني الى ركـنٍ مـن الأرض
لم تـنـطلق في جـوه الـفـضّـيّ
هـذي الـظلال الـسـود مـن حـولي

ركـــن نـــقـــيّ الأفـــق لا تحـــبـــو
للآدميين عليه ظلال

سكانه الطير وانفاسه
النور والسلام والحبّ
ملوّن حرّ كدنيا الخيال

●

خذني الى ركنٍ من الأرض
لم يمشِ فيه شبح البغضِ
لا أعين بسمّها تنضح
فيه ولا ألسنةٌ تجرح
هناك في الصفاء تبني لنا
يد الهوى منزلاً
مثل عشاش الطير ثرّ الغنى
ينهلّ من جدرانه الضوء
والعطر والدفء

خذني بعيداً انطلق بي الى
ركن من الدنيا وراء البعيد

. . . .

وأتاه صوتها النابض بالشوق بنجوى حبه
ينشر الفرحه يلقي نورها في قلبه

وانثنى منفعلاً جذلان مهتزاً بأفراح هواه
ينشد الدنيا على قيثاره لحن الهوى لحن الحياه
ومضى مسترسلاً عبر صحارى
وجبال وفضاء
ضارعاً يسألها في نبرة ملهوفة هذا الرجاء :
: اجلسي ليلى إلى مرآتك الآن وشعري
في يديك
اقرأيه واشعري بي
اشعري يا ليل بالقلب الذي يصرخ
ظمآن إليك
قلب فنان غريب
أشعري بالوهج اللافح يسري في سطوري
من شعوري

فإذا أبصرت لون الورد في خديك مرّ
من حياء وخفر
فاعلمي ان بأعماقك أغلى خمرةٍ
بين خموري
لم ازل أنشدها منذ بعيد
خمرة يسأل عنها ألمي
خمرة يطلبها روحي الظمي
ليل ، يا كرمتي الخضراء ، يا كنزي الوحيد
ليل ، يستحلفك القلب الشريد
بالحنان الثرّ ، بالرحمة فيك

رحمة الأنثى التي في قلبك الخصب الفريد

احفظي خمرتك العذراء حتى نلتقي
احفظيها لي ، فقد أفرغت كأسي
وستبقى أبداً فارغة
في انتظارك
أنا مهما رمت الأقدار بي حائلةً
دون مزارك
فهنا ملء شعوري ملء حسيّ
أملٌ يحيا معي ، تحياه نفسي
أملٌ يهتف بي انك لي
يا أملي

. . . .

وهنا اعتنق الروحان في سكر غريب لغريبه
هي في (جرزيم) تقصيها النوى وهو (بطيبه)
وعلى حلم الفراديس البعيده
خلف اسوار السماء
وهناك
في رؤى حلمهما رفّت غلالات صباح لؤلؤيّ
وبدا عشٌ على تفاحةٍ خلف سياج ذهبيّ
عند ينبوع ضياء
طفقا بالظنّ والوهم يعبّان رحيقه
ويغيبان مع السكرة في دنيا سحيقه

. . . .

- ٢ -

مرّ عامان وما زال الهوى حلماً غريب
يصل اثنين على نأي ، حبيباً بحبيب

المدى أقصاهما جسمين لا يلتقيان
والهوى ضمّهما روحين في كل مكان

●

. وأخيراً جمعت بينهما قوة حبّ لا تلين
قوة أقوى من البعد وجدران السجون
تحطم الأقفال والأبواب ، تلوي بالقيود
تغلب السجان ، تدني نحوها كل بعيد

●

لم تكن لقياهما في الشطّ وهْماً وخيال
لم تكن لقياهما رؤيا على أفق الليال

ها هما الآن على النهر الكبير الخالد
شاعران اعتنقا واتحدا في واحد

وفي غبطة سمّرت مقلتيها
على وجهه الصارم الاسمر

وقال وفي همسه رقّة ـ
الهناء وهف الغرام الطري :

أحقاً سخا باللقاء الزمان
أحقاً هنا نحن جنباً لجنب !

وراح يمرّ يداً تتندّى
على خدّها بافتتان وحبّ

وعانق فيها اشتعال الشباب
وعانق فيها اضطرام الحياه

ونيسان حولهما يتنفّس
في الشطّ عطراً نموماً شذاه

وقد سكنت في المكان الظلال
واضطجعت فوق مهد الضياء

وأغفت دروب الحدائق في الشمس
ناعمة ، وارتخت في انتشاء

وكان هنالك برعمُ زهرٍ
يفتّح قرّت عليه فراشه

ومدّت عليه جناحين تعرو
سكونهما رجفة وارتعاشه

مشاهد حين استراحت عليها
عيون الحبيبين عبر الضياء

بدت لهما صورة لتفتّح
نفسيهما للهوى والهنـــاء

رجعت ترنو الى وجه فتاها الشاعر
كان في الوجه الرقيق الضامر
طائف من ألم حيٍّ ومن حزن بعيد
قنّعته الكبرياء
في تحدٍّ وإباء
وكسته قسوة الصخر العنيد
والجبين العربيّ المتعالي

حفرت كف النضال
فوقه قصة عمرٍ عاصفٍ جهم الظلال

جامح خشن ، جريء كالرياح
دوّمت فيه أعاصير الكفاح

قصة نارية الأحرف شعثاء السطور
يتوارى تحتها ينبوع شعر وشعور

ورأت في شعره الجعد تهاويل غريبه
غابة صامتة ، غامضة الجو كئيبه
لوّحتها الريح والشمس على صحراء (طيبه)

●

رآها تحدّق في وجهه
وقد رسمت مقلتاها سؤال
أحسّ به ، فمضى بانفعال
يفضّ صحائف أيّامه
وينفض عالم أحلامه
ويكشف بين يديها زوايا
حياة متوّجة بالنضال
حياة تعمِّقها التجربه
ويخصبها الفن والموهبه :
هو ـ : حياتيَ يا ليل قصة كدح
طويل أسلحه بالجلد

فلست كمن ولدوا في مهاد ـ
الحرير وفوق أكفّ الرغد
أتيت الحياة فقيراً ورحت
طريداً على نارها أحترق

وأركض خلف رغيفي وقوتي
وفوق جبيني الضنى والعرق

وكان ليَ الفنّ والشعر صوتاً
يجلجل في ثورة لا تلين

على الغاصبين حقوق الفقير
على السارقين جنى الكادحين

وفتحت عيني على أمّة
نمتني وفي عنقها ألف نير

تناضل رغم قيود الحديد
لأجل الحياة لأجل المصير

فكنت ابن جيل حبَا فوق أرض
يخضّبها كل يوم شهيد

ضحايا يعبّ دماها الطغاة

ويروي بها الحاكمون العبيد

وقمت أثور مع الثائرين
لأحطم نير عبوديتي

وارخص تحت عجاج الكفاح
دمائيَ من أجل حريتي

وحاربت يا ليل ، حاربت من أجل
حرية الوطن العربيّ

وهذي جراحي فلسطين تعلم
كيف سقتها بكأس رويّ

سأبقى أكافح صلب الجناح
بوجه الحياة جريء القدم

وان حطمتني الحياة فحسبيَ
أني صمدت فلم أنهزم

حياتيَ قصة جيل شقيٍ
وعى ذاته فهو ما يأتلي

يكافح مثلي لأجل الخلاص

ويرنو إلى عالم أفضل

●

وطغى بينهما صمت عميق مفعمُ
وهي في استغراقها يجتاحها موج شعور أبكمُ
فيه ألوان من الرحمة والعشق وتقديس البطوله
فيه إحساس العباده
والتقت عيناهما في نظرة دامعة جذلى طويله
حين مرّت بحنو راحتاها
فوق جرح كم تمنّت لو يداها
لفتّا في ساحة الحرب ضماده
مرَّ حينٌ ، ثم رفّت بسؤال شفتاها
همسته في حياء :
هي ـ : والنساء ؟ !
هو ـ : عرفت النساء وليمة لهو
أعدّت لإشباع جوع الجسد

كرعت هواهنّ خمراً رخيصاً
وأدمنتهن شراباً فسد

ولكن روحيَ ظلّ يحوم
بعيداً كطير أضاع ربوعه

فما كان يا ليل حبة بُرٍّ

هناك لديهنّ تشبع جوعه

وما زال يقطع أيامه
على ظمأ في هجير الحياه

يهيم يتيماً بقفر سحيق
المجاهل ، ليس يرى منتهاه

إلى أن طلعت على الأفق روحاً
غريباً كغربته الحائره

فكنتِ له الزاد والخمر والنور
والواحة الخصبة الباهرة

ورحت ، وأنت خيال بعيد
وشعر أراك بمرآة نفسي

فجسدتُ روحك في لوحةٍ
ولوّنته بشعوري وحسيّ

سكبت بعينيك حزني وأسقيت
خدّيك من فرحي المفعمِ

وفي شفتيك صببت حنيني

ورّويت لونها من دمي

ستأتي سنون وتمضي سنون
ونطوى مع الأعصر البائده

ووجهك يا ليل باقٍ يرف
مدى الدهر في لوحتي الخالده

لقد كنت أول حب نقيٍ
لقلبي ومطهر ماضٍ ضرير

على عتبات هواك غسلت
خطاياي في ندم مستجير

وما كان يملأ غربة روحي
ويرضي هواي الكبير الطموح

سوى أن تكوني لقلبي وحبي
بكل كيانك جسماً وروح

تُتمّ حياتك لحن حياتي
فقد كنت نغمته الضائعه

وان نحن متنا احتوتنا الدهور

أنشودةً فذةً رائعه

لقد جمع الشعر ما بيننا
ولاقى به كل روح قرينه

وكان الهوى وطناً في حماه ـ
الامين عرفنا الرضى والسكينه

فيا ليل عيشي معي قاسميني
حياتي ، فنحن هنا توأمان

كلانا يلجلج عبر زحام ـ
الوجود وحيداً غريب المكان

❊ ❊ ❊

كان في نبرته صدق وإحساس مليء
عبّ منه قلبها دفئاً ربيعياً مضيء

واستفاضت في حديثٍ عاشق عيناهما
لغة صامتة تفهمها روحاهما

فترة ، ثم طواها في جناحيه وأدناها إليه
واستكانت نفسها في راحة بين يديه

وترامى صوتها في سمعه همساً نديّ النبرات :

هي : ـ أنت تحيا العمر في ملحمة صاخبة أما حياتي . .

هو ـ : حدثيني ليلى فما زال في عمرك شيء
ملفّع تكتمينه

ان في شعرك الجريء ظلالاً
كمنت خلفها شجون دفينه

كم تساءلت كلما حركت قلبي أصداء
شعرك المحزونه

ما الذي لفّ بالكآبة أيامك ما سرّك الذي
تطوينه

حدثيني ليلى . .
هي ـ : حياتيَ يا عباس حلم
مروّع الاشباح

حلم أطبقت عليّ به جدران سجن
داجٍ رهيب النواحي

عشت فيه مخنوقة الروح ظمأى
لندى الفجر ، للشذى ، للنور

الهواء الثقيل يكتم انفاسي وقيدي
يغل دفق شعوري

كلما ضقت بالظلام وبالكبت تلفتّ
مثل طير مكبّل

عل فجر الخلاص يلمح ، لا شيء سوى الليل
ليل سجني المقفل

وإذا انشقّ باب سجني أطلّت
منه عينا وحش رهيب كبير

هو جلاَّدي اللئيم ربيب الحقد

والعنف والأذى والشرور

مستبدّ بالحكم ، يسكره الشرّ
وتعذيب كل روح ضعيفه

كان لي من شذوذه كلّ يوم
محنةٌ سُلّطت عليَّ مخيفه

ولقد كنت انزوي والأسى يطحن

نفسي الطموحة المخذولة

ووراء الجدران تصخب دنيا الانطلاقات
والحياة الجميله

الحياة التي بملء اندفاعات خطاها
تسير نشوى غنيّه

لا تبالي بنا ، تسير ولا تثني خطاها
مأساتنا الفرديه . .

وتعلمت كيف تختلط الثورة والبغض
في دم المظلوم

وبأعماقي التربّص يخفيه هدوئي
في صمته المسموم

أرقب اللحظة التي كم تطلعت إليها
في شوقي المكبوح

لحظة العتق والفرار إلى آفاق حرّيتي
ودنيا طموحي

هو - : وعرفتِ الهوى بسجنك ؟
هي : لمْ لا

ولقد كان رحمة لحياتي
أيّ سجنٍ لا يقحم الحب يا عبّاس
أبواب سوره المغلقات

كان لي الحب مهرباً أحتمي فيه
إليه أفرّ من مأساتي

كان دنيا في أفقها الرحب أسترجع حريتي
أحقّق ذاتي

يا لقلبي الموتور كم رنّحته
نشوةُ الانتقام من جلّادي

وأنا في مشاعر الحب غرقى
وهو خلف الأبواب بالمرصاد

أبوسع السجون خنق الأحاسيس
وقتل الحياة في الأعماق ؟

من يصد الشلّال عن سيره الكاسح
عن اندفاعه الدفاق ؟

هو ـ : عبثاً . .

هي ـ : وانطلقت أودع شعري
خلجاتي الحرّى ونبض شعوري

وأغنّي الحياة أشواق روحي
من وراء الأغلال من تحت نيري

أتحدى السجان ، أسخر بالعرف
بما شادت التقاليد حولي

من جدار ضخم مضت أغنياتي
تتخطاه في تحدٍّ مثلي

كم فتاة رأت بشعري انتفاضات
رؤاها الحبيسة المكتومه

كان شعري مرآة كل فتاة
وأد الظلمُ روحها المحرومه

هو ـ : سوف لا تعرف المخاوف والآلام درباً
إلى حياتك ليلى

سوف تنسينها ، ستنزاح عن عمرك
تلك الأشباح ظلاً فظلاً

فيرفّ الهناء حولك في عشيّ
وتهفو روح الهوى والحنان

وتغنّين للصفاء ، لنور الفجر
للحبّ ، للرضى ، للأمان

وسنمضي معاً ، ضياؤك يهدي
خطواتي الى طريق صعودي
وحناني يسقيك من نبعه الثرّ كحبّي

هي ـ : عباس

هو ـ : كلّ وجودي
سوف ألقيه في يديك ، حياتي ومصيري

هي ـ : عباس حسبك حسبي

هو ـ : ليلى ماذا أرى بعينيك ، دمع ؟
فيمَ تبكين

هي ـ : لست أدري ، بقلبي
ندمٌ حارق أحس به يأكل قلبي
يُمِرّ طعم هنائي

يا حبيبي تراك تغفر لي حباً بريئاً

ثوى رفاتاً ورائي

هو ـ : ليل لا تحزني ، ألم تغفري لي

لن تكوني يا ليل أسمح منّي

أمس متنا فيه ومات ونحن اليوم

نحيا بعثاً جديد اللون

حبنا الحبّ ، كل حبّ سواه

كان وهماً يطوف في قلبينا

نحن كنّا من قبل نبحث عنّا

في سوانا يا ليل حتى التقينا

اضحكي ليلى ، اضحكي لي .

وأهوتْ

شفتاه على ندى جفنيها
في هوى تمسحان آخر ظلّ
مدّه أمسُها على مقلتيها

أعطنا حباً

الاهــداء

« إلى الهاربين من القلق والضياع »

فــدوى

عام ١٩٥٧

- ١ -

انتهينا منه ، شيّعناه ، لم ناسف عليه
وحمدنا ظلّه حين توارى
دون رجعه
لم نصعّد زفرةً خلف خطاه
لم نُرِق بين يديهِ
دمعةً ، أو بعض دمعه

●

بعد أن جرّعنا من كأسه المرّ الحقود
بعد أن أوسعنا لؤماً وغدراً
وجحود
غاب عنّا وجهه الممقوت ، لا عاد لنا

كان شرّيراً ، أمات الشّعرَ فينا
والمنى

●

كان شرّيراً ، وكانت
عينه تنضح قسْوَه
كرع اللّذة من آلامنا
وأتى قتلاً وتمزيقاً على أحلامنا
وعلى أشلائنا نقّل خطوه

●

عصفت هبّاته الهوج بأشواق رؤانا
بعثرت آمالنا عبر الدروب المغلقه
أوصدت باب الغد المأمول في وجه منانا
وثنت خطواتنا المنطلقه

●

انتهى ، ما كان إلاّ نزواتٍ وجنونا
كان ارهاقاً وتعذيباً وهُونا
وانتهينا منه ، شيّعناه ، لم نأسف عليهْ
لم نرقرق دمعةً واحدةً بين يديهْ

آخر ديسمبر ١٩٥٧

صلاة الى العام الجديد

- ٢ -

في يدينا لك أشواق جديده
في مآقينا تسابيح ، وألحان فريده
سوف نزجيها قرابين غناءٍ في يديك
يا مطلًّا أملاً عذْب الورودِ
يا غنيّاً بالأماني والوعودِ
ما الذي تحمله من أجلنا ؟
ماذا لديك !

●

أعطِنا حباً ، فبالحب كنوز الخير فينا
تتفجَّرْ
وأغانينا ستخضرّ على الحبّ وتزهر

وستنهلّ عطاءً
وثراءً
وخصوبه

●

أعطِنا حباً فنبني العالمَ المنهارَ فينا
من جديد
ونعيد
فرحةَ الخِصْبِ لدنيانا الجديبه

●

أعطِنا أجنحةً نفتحْ بها أفق الصعودِ
ننطلق من كهفنا المحصور من عزلة ـ
جدران الحديدِ

أعطِنا نوراً يشقُّ الظلمات المدلهمّهْ
وعلى دفْـقِ سناه
ندفع الخطو الى ذروة قمّـهْ
نجتني منها انتصارات الحياه

أول يناير ١٩٥٨

أغنية البجعة

« يشتد غناء البجعة اذا جرحت ، ومن هنا أخذت الاسم لهذه القصيدة الجريحة . . . »

كان وهْماً نحن أعطيناه شكلاً
وحياه
ثم روّيناه لوناً
وعبير
وعشقناه ، عشقنا وَهْمنا الغالي الغرير
وحصرنا الشوق في دنيا رؤاه

●

كان وهْماً عاش فينا
بعضَ لحظات قصيره
فـمـنـحـنـاه شـعـوراً وخيالاً

ووهبناه ضياءً وظلالا
ومنىً تزهو وأحلاماً كثيره

●

في الليالي الممطرات الدفء شِدْنا حولَهُ
معبداً أفعمه خِصْبُ الهوى شعراً وفنّاً
وعلى أجنحة النشوة طوّفنا بِهِ
وتعبّدْنا ، لدى محرابه
وتلونا ، كم تلونا
سور الحبّ لديه ، كم عزفنا
أغنيات البهجة الكبرى لَهُ

●

فتْرةً ، ثم تلاشى ذات ليله
حينما هبّتْ رياحْ
ذات عصفٍ هائجٍ ، ذات اجتياح
وتلاشى ، ما تبقّى منه إلا
بعض ذكرى مُثْقَلَهْ
بالجراح

●

بعض ذكرى منه هيّأنا لها نعشاً : -
وقبراً
ودفنّاها بصمتٍ
ونضحناها بعبره
وتركنا عندها آخر زهره
عبقتْ عَبْر جواء الموت شِعْراً

نسيان

لقيتك أمسِ ، ولكنّ عينيّ
أنكرتاك ، فلم تعرفاك

ورحت أسائل قلبيَ عنكَ
وهل مرَّ حقاً عليه هواك

* *

تلمّستُ جدرانه علّ فيها
بقايا ظلالٍ ، بقايا صُوَر

فما نبضتْ من غرامك ذكرى
هناك ، ولا لاح منه أثر

* *

وحين بسطتَ يديك إليّ

تـصـافحـني ، كنتَ أيّ غـريب

ورحـتُ أمـدّ إلـيـك أصـابـع
مـات الـشعـور بهـا والـلهـيـب

وحـين تـعـثّر اسـمـك فيـ
شـفـتيّ وأرسلتُـهُ في صـعـوبـه
بـدا بـاهتـاً فـارغـاً ، لا جمـال
يلوّنـه ، لا صدىً ، لا عـذوبـه

* *

أحقـاً حببتـكَ يـومـاً؟ وكيف ؟
أم كـنـت طـيـفـاً بـحـلم عـبـر

وَهَـبْ كنتَ طيفـاً تـعشـقْتُـهُ
فكيف تـلاشى الهـوى وانـدثـر
أما منْ بقايا ؟
أما منْ أثر ؟

* *

تـذكّرتُ . كنتُ رفعتـك يـومـاً
الى قممي الشـامخـات المـضيئـه

وقـد ضـاع وجهـك بـين زحـام ِ ـ
الـوجـوه بـأفق حيـاتي المـليئـه

الى المغرد السجين

« هدية الى الصديق
الشاعر كمال ناصر
في محنته »

شـــدوك يـــأتينـــا حبيب الصـــدى
محلّقـــاً رغم انـغـــلاق الـــرحـــاب
يـا طائـري السجين فـاصـدح لنـا
من خلف جدران الدجى والعذاب

غنّ ، فقـضبـــان الحـــديـــد الـتي
تســـدّ في وجهـك رحب الفضـــاء
لن تحجب الغنـــاء عن ســمعنـــا
يا طائري .
غنّ ، فدرب الـرجاء
مـــا زال يمتـــد مشـــعّ الـضـيـــاء
رغم انـطبـاق الليـــل من حـولنـــا

* *

ارجعني شدوك يا طائري
الى زمان قد طواه الزمان
اذ انت طلْق الخطو، طلقُ الجناح
أيّام كانت ظلّة الياسمين
تحضننا، وأنت تشدو لنا
شعر المنى والزهو والعنفوان
فتقرب النجوم من أرضنا
تصغي الى اللحن ونصغي،
وكان
ملء اغانيك اخضرارُ المروج
ونضرة السفح، وبوح الأريج
وملئها كان هديرُ الرياح
وكان فيها من شموخ الجبال
في وطني،
وعزّةٌ لا تنال
إلّا مع النّصر وفوْز الكفاح

**

يا طائري السجين اصدح لنا
رغم هوان القيد رغم الظلام
فالأفق ما زال غنيّ المنى
ينتظر الشمس وراء القتام
المجد للنور، فلا تبتئسْ

والـنصر لـلحـريـة الـرّائـعـه
وغـدنـا مـوطـن أحـلامـنـا
فـلا تقـل أحـلامنـا ضـائعـه

* *

يـا طائـري ، هناك درب الـرجـاء
هـنـاك يمـتـدّ مـشـعّ الـضـيـاء
رغم انـطبـاق الليـل من حـولنـا

يناير ١٩٥٨

قصيدة الصديق كمال ناصر

من الأعماق

« الى صاحبة قصيدة »
« الى المغرد السجين »

لئن جاء شـدوي حبيب الصـــدى
يـوافيـك رغم انغـلاق الـرحـاب
فــذاك لأني نـشــرت جـنــاحــي
يعــانق في جــانحيــك العــذاب
ويجـمعـني فيـك ســوء المصــير
ومــا ضمّنـا في الأذى والمصــاب
كـما تحتـويني بــك الـذكــريــات
وطيب الأمـاني ، وبيض الـرغـاب

●

أتـــاني كتــابــك يــا أخت روحي

فصافحتُ روحك بين الكتاب

وهشّتْ جراحي له واستفاقتْ
خيالات أمسي تخطّ الجواب

بلى انني ذاكر، ذاكرٌ
عشايا الإخاء، ولهو الصحاب

تظللنا ظلّة الياسمين
جناحان من لذّةٍ واكتئاب

ونسمر حتى يجنّ الحديث
على حلُمٍ هاجع في السراب

رؤى الموت تنساب من حولنا
تصيح بنا في ربيع الشباب

فنأسى ونضحك من أمرنا
وبين المآقي دموع الدعاب

بلى، انني ذاكرٌ، ذاكرٌ
وقد أمرع الزهو فينا وطاب

وشعرك أشهى من المستحيل

يـطاول في المجـد شمّ الهضـاب

طليقٌ كـأنت عـلى كـل ثـغـرٍ
تـدلّـين بـالسحـر بـين الكعابْ

لشعـرك وقـع السّنـا في بـلادي
يهـدهـدهـا بـالمنى والـرغـاب

فتصحـو عـلى دمـدمـات الكفـاح
وتخفق بـين الـقنـا والحـراب !!

●

أنـا مـثـلما شئـتـني أن أكـون
وشـاءت لي الحـادثـات الصعـاب

كـبـير عـلى الـذلّ لا أرتـضيـه
ولي مـوطىء خـالـد في السحـاب

اعـانـق في ربـوتيـه الـنجـوم
وأختـال بـين الـذُرى والقبـاب

أطـلّ عـلى الكـون أحيـا النضـال
وابقى بـه العمـر غضّ الإهـاب

ومن أرضعتـه النجـوم الـدراري
سـرى في سـماء العـلى كـالشهـاب

سفحتُ دمي فـاستفاقت جـراحي
تـلوّن صـدر الـذرى بالخضاب

واحببت داري فلذَّ لـقـلبـي
بلوغ المنى ، واقـتحـام الـعبـاب

أتـوب ؟ معـاذ العـلى ، أيّ يـوم
مضى شـاعـر لـلمـعـالي وتـاب

أنـا مـثـلما شئـتـني أن أكـون
تـقبِّلني الشـمس رغم الـضبـاب

ويحـمـلني الـنـور في كـل درب
فأطوي المغاني ، وأطوي الشعـاب

وحـيـداً تـواكـبـني غـايـتي
وتـصـلبـني شـهـوتي لـلغـلاب

وأظـمـأ والـكـأس في راحـتي
تـراقص فيهـا الهـوى والشـراب

وأغْــرى ومــلء شبــابي الحيــاة
تمــور ، ومــلء إهــابي الشبــاب

أريــد الحيــاة لشعبـي الجـريـح
لتكبــر فيــه الأمــاني الـعــذاب

فمن حـقــه أن يعـيش الــوجــودَ
ويبنيــه حرّاً عــزيــز الــرحــاب

ولــيس لــغــير الإلــه ادّعــاءٌ
عـليــه لينــزل فيــه الـعقــاب

وأنـــت إذا مــا أتــاك كــتــابي
وصــافحتني في ثنــايــا الـكتــاب

ولامستِ بــين السطور دمــوعــاً
تنــاثــر بــين القــوافي الغضــاب

بــربـك لا تجــزعي ، فــالأمــاني
لهــا دمعــة في العــلا والــطلاب

وإن تـعتبي فــالـقلوب الـكبــار
يـلذّ لهــا في الحنــين الـعتــاب

غـداً ينجلي الليـل عن روضنـا
مهيض الجنـاح حسير الحجـاب

غـداً يـنفض الـشعـب أوهـامـه
ولـلشعـب ظفـر رهـيـب ونـاب

مـلايينـه أقسـمـت لا تـنـام
وفي دربهـا مـوطـىء لـلذئـاب

تحنّ الى الثـأر عبـر الـعـذاب
وتحصي الثـواني ليـوم الحسـاب

●

لئن جاء شدوي حبيب الصدى
يـوافيـك رغم انغـلاق الـرحـاب

فـلا بـد من عـودتي لـلحيـاة
ولا بـد لي في الـعـلى من إيـاب

اذا هتف الشعب يـومـاً بـروحي
أطلّت لـه من حنايـا التـراب . . !

القصيدة الأولى

« . . . وسألها : اتحبينني ؟
ورنت اليه ولم تجب »

لا، لا تـسـلني، لـن أبـوح بـه
سـيـظلّ حـبـك سرّ أغـواري

أعـطيـه مـن ذاتي، وامـنـحـه
مـا عـشت عـاطـفتي وإيـثـاري

أسـقيـه من عـطري، أوسّـده
صـدري ، أنـاغيـه بـأشعـاري

* *

لهـواك كـل مـواسمي امتـلأت
وسـخـت بـفـيض جـنىً وأزهـار

لهـواك آفـاقـي مـرصّـعـةٌ
يـزهو السّنـا في صـدرهـا العـاري

لهـواك هـذا الـليـل أسـهـره
نشـوى ، أبيح الليـل أسـراري

أمضي مـع الـذكـرى فتحـملني
بـجـنـاحـهـا لـلدّرب ، لـلدار

واضـمّ أجـفـاني عـلى حـلم
مـتـوهـج الأنفـاس ، مـعـطار

* *

هـا أنت ، في عينيك عـاصفـة
تجـتـاحـني ، وهـبـوب إعـصـار

هـا أنـت بـحـرٌ راح يـأخـذني
في مـوجـتـيـه أخْـذَ جـبّـار
ها أنت ، ها أنا ،
قصةٌ بدأتْ
مـكـتـويـةٌ في سِـفْـر أقـداري
. . . .

لا ، لا تـسـلني، لـن أبـوح بـه
سـيـظلّ حـبـك سرّ أسـراري

يونيو ١٩٥٨

اليه بعيداً

غبتَ؟ ولـو غبتَ، فـما زال في
دمـي عبـيرٌ مـنـك يـرويـني

يُخـصـبـني ، يمـلأ كـوني غِـنى
يمـنحـني أجمـل مـا في الـدّنى

الـشـعـرَ، والحـلمَ، ودفءَ المنى

*

غبتَ فـأيـامـي رؤىً وانـتـظار
حـلوٌ عـلى الـرجـاء يـطويـني

وحـين يُؤوي الليـلُ أهـلَ الهوى
أحـضن أشـواقـي وأغـفـو عـلى
ذكرى توافيني

ذكـرى هنيـهـاتٍ مـلاءٍ قصـارْ
أحمـلهـا في سرِّ تـكـويـني

تعود لي ، تعود لي في غدٍ
وترجع الدرب تناديني

فأصحب الشمس إلى موعدي
وفي دمي يقظةٌ

يبعثها الحبّ فتعطيني
تذوّق الحياة ، حِسّ الجمال

الوهجُ الضاحك فوق التلال
الخُضرة الريّا بحضن الجبال

روائحُ الأرض ، ارتعاشاتها
نكهتُها ، ألوانها، كلّ ما
في الدرب من جمال
ملوّن الظلال

يعود لي ، يعود لي في غدٍ
إذ ترجع الدّرب تناديني

سبتمبر ١٩٥٨

اسطورة الوفاء

وتسألُ : أين الوفاءْ ؟
أما من وفاءْ ؟!
وأضحك في وجهك المتجهّم
اسأل مثلك :
أين الوفاء ؟
وماذا عن الأوفياء
وأين هواك القديم ،
وأين النساء . .
مئاتُ النساء اللّواتي حَبَبْتْ
وكلّ امرأة
تظنك ملك يديها
وتحسب حبّك وقفا عليها
تظنّ غرامك أبقى من الشمس
أرسخَ من راسيات الجبال
وتأبى تصدِّق ان الوفاء
يظلّ خرافه

يظلّ خيالاً ووهْماً
وإسماً لغير مسمّى
وشيئاً محال .

* *

نريد من الآخرين الوفاء
نصفّدهم نحن ، نربطهم بالرجاءْ
بحبل سرابٍ كذوب
ببرقٍ خلوب

ونمضي لنشرب كأساً جديد
ونمضي لنطْعَمَ لوناً جديد
لنحيا غراماً جديداً
لنعبد وجهاً جديد

ونرجع نسأل :

أين الوفاء ؟؟

* *

نريد من الآخرين البقاءَ
على عاطفَهْ
ذَوَتْ وتلاشت
بأعماقنا واستحالت

إلى صورةٍ زائفه
أنانيةٌ يا رفيقي تعشّش فينا
تُسَيّرُ رغباتنا في الخفاء
وتحجبها بنقاب كثيفٍ
نسمّيه نحن ،

وفـــاء !!

* *

بلى يا رفيقي
بلى ، قد يُطِلّ
هنالك ظلّ
لبعض رفاتْ

رفات غرام تلاشى ومات
يُطلّ ونجهل كيف يطلّ

فنوقد شمعه
لديه ونحضن ذكراه فتره

ونرجع من بعدُ نُؤويه قبره
وندفنه من جديد

وما في المحاجر دمعه

ولا في الجوانح لوعه

ونمضي نلبي النداءَ القويّ
نداء الحياه

وتدفعنا الريح في كلّ صوب
وكلّ اتجاه

وننسى القديمَ
ونحيا الجديدَ

ونرجع نسألُ :
أين الوفاء ؟!
أما من وفاء ؟؟!

اكتوبر ١٩٥٨

يزورنا

كان وعد بزيارة،
وإذا بالبحر الميت يصخب،
وإذا بقوس قزح يعانق
الأفق امامنا.

قال، ودرب البحر تمضي بنا
يزورنا

يزورنا في الجمعة المقبلة..
الله! هذا الوعد ما أجمله!
واختلجتْ عَبْرَ المدى اعماقْ
راعشةً بلمسات الفرح
وامتدّ قوس قُزَحْ
يلوّن الآفاق
واصطخب الموج على الساحل

اذ قال لي

يزورنا

●●

يزورنا

ولـفّـني دفءٌ ورفّـت مُـنى
خضراء كـالمـروج في قـلبـي

يا ربة الحبِّ

مـدّي عـلى الـدرب بسـاطـاً حـريـر

وجدولاً من عبير

يحـمـل من أهـوى إلى دارنـا

●●

يزورنا!

يـا شـجـر الـنـارنـج في دارنـا
أزهـر وعـطر ظـلك الأخضر

وأمرعِ

وافرح معي

فـفـرحـتي من الـسـماء أكـبر

●●

يـزورنـا في الجـمـعـة المـقـبـلهْ

وددت لــو أفــرش عــيــنيَّ لــهْ

وددت، كــم وددت لــو في يــدي
مــلكــة الــضــيــاء، لــو في يــدي
أشــيــد من نــجــومــهــا سُــلّماً
لدارنــا
أشــيــده من أجــلــه حــيــنــما
يزورنا

●●

وددتُ، كــم وددتُ، لــكــنّــما
هذي أنا

مــا في يــدي مــن أجــله الاّ
قصيدةٌ جذلى

فبراير ١٩٥٩

يوم الثلوج

ما زال في نفسي يوم الثلوج
أغنيّة بيضاء

عميقة الأصداء

أعيشها أحْيا ارتعاشاتها

أملك لحظاتها

الله، ما أحلاه يوم الثلوج
حين انطلقنا في مدى الدرب
نعبره جنباً إلى جنبِ
طيفين كنّا وانهمار الثلوج
يمسح عبر الدرب آثارنا

يطمر أسرارنا

وكنت لي يا فتنتي الكبرى
قصيدة كبرى

تـنـبض فـي أعـماقـي الخـافـيـهْ
وتـوقـظ المـشـاعـر الـغـافـيـهْ
الـله، مـا أغـلاه يـوم الـثـلوج

●

ويـومـهـا يـا فـتـنـتي، يـومـهـا
لم نـقـل الـكـثـير، لـكـنّـما
كـان لـنـا كـل انـفـعـال الحـيـاه
وكـانـت الحـيـاة تـبـدو لـنـا
مليئة، مشتهاه

تمنحنا أعطيات

تغمرنا بالهبات

الـله، مـا أسـخـاه يـوم الـثـلوج

●

ويـومـهـا، أحـسـسـتُـني يـومـهـا
أعـانـق الحـيـاة فـي مجـدهـا
وجـدتـنـي أبـلـغ ذرواتهـا
رأيـتـنـي أمـلـك ثـرواتهـا
وكـان حَـسْـبـي يـومـهـا حَـسْـبـي

أن رحتُ أحيا منتهى حبّي

. . . .

الله لو يرجع لي مرة
في عمري المقبل يوم الثلوج

٢٧ فبراير ١٩٥٩

تلك القصيدة

« ألا ليتني يا هواي الحبيب
عرفتك من قبل تلك القصيدة »

وتحـضـن ديـوان شـعـري يـداك
وتـقـرأ لي مـن قـصـيـدة حبٍّ
كـتـبـتُ سـخـافـاتهـا في سـواك
ومـا كـان حـبًّا، ولـكـنّـهُ
حمـاقـة شـيءٍ تـوهّمـتُـهُ
وحـين انـجـلى الـوهْـمُ أبـغـضـتُـهُ
وأبـغـضـتُ تـلـك الـقـصـيـدة

●

وأنـت تـظلّ تـؤكـد لي أن
أجمـل شـعـري تـلـك الـقـصـيـدة
فألعن نفسي

وألعن طيشي القديم

وغلطةَ امسِ

وألعن تلك القصيدة..
وأمضي أُتفِّهُ أبياتها
وأكشف زَيْفَ انفعالاتِها
وألوانها الباهتات البليده

ولكن سدى.

وتظلُّ تعيدُ

وتقرأ لي أنت تلك القصيده
وفي منتهى حنقي يا حبيبي
وفَوْرةِ غيظي أهبُّ اليك
وأسعى لديوان شعري

فأنزعه من يديك

أهمّ بتمزيق تلك القصيدة
أودّ لو أن القصيدة تمسي
هباءً ذَرَتْهُ اكفّ الرياح
أودّ لو أن القصيدة شيءٌ
يموت ويُطْمَرُ في قاع رمس

وتضحك من حنقي يا حبيبي

وثورة نفسي

وتمضي بمكرٍ لذيذٍ بريءٍ
تؤكد لي أن أجمل شعري
وألطف شعريَ تلك القصيدة

●

وترنو اليّ، وأرنو إليك
وفي ندمي، ندمي وانخذالي
أروح أُغمغم بين يديك:
الا ليتني يا هوايَ الحبيب
عرفتك من قبل تلك القصيدة

مارس ١٩٥٩

لا مفـر

« لا أؤمن بجبرية تأتينا من الخارج وإنما الجـبرية تكمن في داخـل الذات هي جزء لا ينفصـل عن النفس. ومن هنا مأساة وجودنا الانساني ».

حبال حماقاتيَهْ

وأخطائيَ الماضيه

تطلّ تلف على كتفيّهْ

وتمضي تحزّ وتقسو عليّه

فكيف الخلاص، وأين المفرْ

● ●

لو أنّي رجعت صغيره

لحوّلْتُ مجرى حياتي

لغيّرتُ خطّ اتجاهي

وحرّرتُ ذاتي

وما كنتُ أسلك نفس الدروب

دروبي الوعيره

لو انّي رجعتُ، رجعتُ صغيره

● ●

ولكن، ترى لو رجعتُ صغيره

بخبرة اخطائيه

بخبرة تجربتي الماضيه

أأملك تغيير مجرى حياتي

وتحريرَ ذاتي؟

أكنت أبدّل حقاً مصيري

وأملك تسيير خطواتيه؟

● ●

محالٌ، محال

لو اني رجعتُ صغيره

لو اني رجعتُ وملء يديّه

تجارب عمري وخبراتيه

وما لقّنتني الحياة الكبيره

وما علّمتني السّنون الكثيره

لعدتُ برغمي لأخطائيه

ونفس حماقاتيه

لكنتُ أواجه نفس المصير

ونفسَ الضياع

وذات الحبال تروح تلفّ على كتفيّهْ

وتمضي تحزُّ وتقسو عليّهْ
وما من خلاصٍ، وما من مفّر

●●

هناك وراء الوراء، بأعماق ذاتي
هنالك يرسب شيءُ خفيٌّ
يظلّ خفيًا ولا شكلَ لَهْ
يظلّ قويّاً ولا لون لَهْ
يوجّه سيري، يخطّ دروبي
ويرفع بين يديّ صليبي
ويحدو خطاي الى الجلجله!

مارس ١٩٥٩

اسمك

وكلّما غنّيْتُ اشعاري

وشفتْ النفوس واغرورقتْ

من رقّة الوجدِ

عيون سمّاري

تسألني عنك رفيقاتي

عن اسمك الغالي الذي اخفي

وراء أبياتي

●●

اسمك؟

يا تنهيدةَ الوردِ

تعبق في نداوة الحرفِ

اسمك؟

يا طلّة فجر على

تعثُّري في عتمة الدرب

يا نَغَماً اصحو وأغفو على

رنينه المحبّبِ العذب..

●●

أقول

لا اقول،

لي وحدي

اسمك لي،

يا كلمة ما تني

تجاور اسم الله في قلبي

نيسان ١٩٥٩

عد من هناك

اتـــراك تـذكـــرهـــا، وبينكـــما شـــواســـع من بـــلادٍ
من بحور

اتراك، والدنيا هناك

دوّامة، تبقى على صخب تدور

حمـقـــاء، عَجْـــلى، تخـنـق الانـســـان في الانـســـان
تتركه شبح

وتـــزيّف الإحســـاس، حـتى الحبُّ يـفقـد طـعمـه
حتى الفرح

اتراك تذكرها هناك

انسانة منحت هواك

أغـــلى هبـــات الحب؛ الـــروحَ المضيئـــة والـشعـــور

●●

اتــراكَ تـذكــرهـا؟ فــما زالت هنا روحــاً تُــطيفْ
بــالــدار، بــالبستــان، بــالجــو الــرّبيعيّ اللطيف
بالمقعد الحاني الوثير
بمكانك الغالي الأثير
تحيــا عـلى الــذكــرى، عــلى لحــظاتهــا النشــوى معك
يــوم احتــوتهــا الــدارُ قلبــاً خــافقــاً لتــودعــك

●●

يــا حــبّــهــا، اتــراكَ تــذكــرهــا؟ هــنــا هــي ما تزال
حسّ انــتــظارٍ، عــدَّ أيــامٍ، نــداءً صــامــتــاً تحت الليالْ
تحنــو عــلى شبــاكــهــا الــنــارنــجــة الخضراء ـ تحمل منك ذكرى
ذكــرى يــظلُّ عــبــيرهــا يــهــمــي، يــرفُّ ـ هوىً وشعرا
يدعوك، يهتف: عُدْ لَها
يا طَفْلَها

عُــدْ مــن هــنــاك، مــن الــبــعــيــد ـ
لــصــدرهــا الحــاني الــظلال

مايو ١٩٥٩

الكلمة والتجربة

الحبّ، يا نعُومةَ الكِلْمَهْ
يا سحرها، ويا جمال الجمال
من قبل أن تحرقنا التجربه
اذا مضى يلفظُها الآخرون
رفَتْ على صحرائنا نسمَه
وأغْدَقَتْ في بالنا نعمه

وانكشفت للخيال

مرابعٌ سحريةٌ مخصبه
ينعمُ في غبطتها العاشقون

●

نسمعها نَغْمَهْ

تنساب في لينٍ، حريرِيّهْ

فترعش الخضرة فوق التلال

ويستفيق الجمال

ويستحيل الكون أُغنيّة

●

وفي الليالي الموحشات الطوال
نلمحها نجمه

تشعّ في الأفق الخفيّ البعيد
تومىء في صمتٍ الى عالمٍ

ضاحٍ جديد

تحلو المنى فيه، وتسخو الوعود
ويزهرُ الحلمُ، ويزهو الوجود

●

وذات يوم تقبل التجربه
غنيةً، معطاء

بنظرة تطرق أبوابنا
تطرقها بنظرة حلوه
تومض من عينين معبودتين

وهاجتين

تطرقها بضحكة طائره
ساخنة، بنكتة بارعه
ذكية، بلفتة من جبين
غضٍ، فتيٍّ، زنبقيَّ الرواء
فنفتح الأذرع في نشوه
نعانق التجربة الحلوه
نحقّقُ الحلم الذي أوغلت
رؤاه في أعماقنا

●

يوم، وتعرى الكلمة الناعمه
من ظلها، من سحرها الباني
يومٌ، ويبدو وجهها الثاني
عبر مسافات جليديّه
خلف متاهات ضبابيه
وجه كئيب الروح، وجه حزين
مرت عليه لفحات الظنون
فأذبلتْ زهْوته الباسمه
وأطفأت فيه شعاع اليقين
وجهٌ شقيٌ، في التفاتاته
كلّ أسى الدنيا وثقلِ السنين

يوم، وتنهار سماواتنا
وتنتهي الدنيا التي أمرعت
واينعت فيها خيالاتنا
يوم، ونرتد حيارى الخطى
نسأل عن أشواقنا الرائعه
نبحث عن أشيائنا الضائعه
أين مضتْ؟ كيف استحالت هَبا؟
أهكذا نفقدُ أحلامنا
أهكذا لا شيء يبقى لنا؟

●

بلى، بلى؛ لا شيء يبقى لنا
لا نجم، لا نغْمهْ
لا ظلّ، لا نسمهْ
ترفُّ في صحرائنا المجدبه
بلى، بلى؛ لا شيء..
لكنّما

يا تعْسنا ، يا فقر أعمارنا
إذا انطوى العيش ولم تحترق
أرواحنا في لهبِ التجربه

يوليو ١٩٥٩

بعد عشرين عاما

غـداً، في لـيـالي الـشـتـاء الـطوال
الـكـئـيـبـة، عـبْرَ ازدحـام الـسـنـين

وقـد يـبس الـزنـبـق الأبـيض الـغضّ
وارفضّ بـين غـضـون الجـبـين

غـداً، إذ يجـفُّ الـرحـيـق الـشـهـيُّ
ويـذوي الـربـيـع، ويـفـنى الـعـبـير

وتـشـقـل هـذي الـعـيـون الـغـوالي
ويـذبـل هـذا الـشـبـاب الـنّـضـير

●

غـداً ، حـين تنسـاك دربُ الـغـرام
وقـد حسرَ الـدهـرُ ظـلّكَ عـنهـا

فـتـنـكـرُ وجـهـكَ حـين يـلوح

وتـنـكـر وقـعَ خـطاك عـليهـا
وتمسي لـديها غـريـبـاً كـأنْ لمْ
تـكـن منـك يـومـاً، ولا كـنـتَ منهـا

وتـرجـع أنـت ومـا في يـديـك
سوى لـفـتـاتِ الحـنـين إلـيـهـا

غـداً، حـين يـركض نهر الـسـنـين
بـعـيـداً بـعـيـداً ومـا مـن رجـوع

لأمـواهـه وهـي تجـري وتجـري
وتـنـصـبُّ في بـحـر هـذا الـوجـود

فـيـلقـفُـهـا ذرّةً، ذرّةً
وتـفـنـى بـأحـضـانـه وتـضـيـع

وأنـت تحـدق عـنـد المـصـبِّ
وتـأسى عـلى ذاهـبٍ لا يـعـود

●

هـنـالـك سـوف تـعـيـدك لـلأمسِ
مـهـما نـأى لـفـتـة الـذكـريـات

وتـلقـى فـتىً أسـكـرَتْـه الحـيـاةُ
فـلـوّن بـالـطـيـش أحـلامـهـا

هـنـاك سـيـمـثـل في نـاظـريـك
الـكـلـيـلـيْن ظـلٌّ لـطـيْـفِ فـتـاةِ

وتبسم أنت، وفي نهدةٍ
تقول: سقى الله أيامها!

●

وتأخذ ديوان شعر قديم
لشاعرةٍ غيّبتها القبور

وتقرأ أبياته فتشمُّ
عبير شبابك بين السطور

ستلقى شبابك في كل سطرٍ
نديّ الحواشي، طريّاً، غرير

وفي كل حرفٍ تعود الحياة
لأشياء كنتَ بها تزدهي

هنالك تعلم أنّ ربيعك
باق بشعري فما ينتهي

آب / أغسطس ١٩٥٩

ذاك المساء

ذاك المساء

والشارع الممدود تسحب فوقه شمسُ ـ
الخريف

حُزَماً بقايا من ضياء

والصمت يحتضنُ المكان سوى رفيف
أشجاره، وخطىً لبعض العابرين
ساروا هناك على الرصيف

ساروا بلا هدفٍ بلا قصدٍ ـ

حيارى تائهينْ

لم أدرِ فيم وقفتُ؛ فيم تسمّرتْ

قدمي على ذاك الرصيف

لم أدرِ ماذا شدَّني عند الجدار

هل كنتُ أبحث في ضياعي عن وجودي؟

هل كنتُ في قلق الحياه
ذاك المساء

أسعى بأعماقي إلى شيء بعيدٍ

أسعى إليه، أودّ لو ألقاه لكن ـ
لا أراه؟

●

كان الفراغ يحطُّ في عينيَّ ثِقلَهْ

وتفاهة الأشياء تُلقي

ظلّها الخاوي بنفسي

وتلفُّ أيامي البطيئات المملة

فحكاية الحب التي أنهيتها

شيّعتُها

ودفنتُها

من أمسِ أمس

ها نحن قد مرت علينا

عشرون يوماً فارغاً مرت علينا

عشرون يوماً ما التقينا

ووقفتُ:

«ماذا لو يمر الآن بي؟

«أنا كيف ألقاه لو التقت العيون؟

«لا، لن أمد يدي إليه لن ـ

يحركني فرح

ذاك الجنون

«ما عاد مثل الأمس يُبدعُ لي الفرح

«سأرد عن عينيه وجهي

«لو يمر الآن بي

«سأظل أرنو للفراغ

«كأنه ما مر بي

«لا، لن أبالي لو يمرُّ

وبقيت في ظل الجدار

لم أدرِ فيم بقيت في ظل الجدار

قدمي مصفّدة وطرفي تائه لا يستقر

●

هو! وانتفضْتُ، وحاصرتْ عيناي

منعطف الطريق

وقطعتَ مفترق الدروبِ ورحت تدنو

من مكاني

هي خطوةٌ أو خطوتانِ

ووقفتَ في ظل الجدار معي هناك على ـ

الرصيف

لم أدرِ ماذا قلتَ، كيف تعانقت منّا اليدان

ببساطةٍ، بسهولةٍ، وتسمرتْ

عينايَ في الوجه الذي أدْمنْتُهُ

في واقعي المحتوم، في قَدَري الذي قاومتُهُ

عشرين يوماً ضائعًا قاومتُهُ

ورفضتُهُ...

٢٤ أغسطس ١٩٥٩

وقد حدثتني ذات ليلة

هــتــفــتَ مــن الجــانــب الآخــر
وكنتُ بعيده

اهـــيـــم وراء شـــواطـــىء ذاتي
اهـــيـم بـــعـــيـــداً ولـــيـس مـعـــي

ســوى وحشــة الليــل في مخــدعـي

وفي الــدار حــولي فــراغ الصحــارى

وصمتُ القفار

وكنتُ وحيده

اعـــيـش حـــيـــاتي بـــغـــير انـــتـــظار
بغير انفعال مثار

وكـنـت طـــويـــت كـتـــاب الحـــنـــين

وشوق السنين

وأخمدت ناري

ورنَّ هـتـافُـك عَـبْرَ المسـافـات

يطرق باب انطوائي

يـفـجّـر نـبـع الحـيـاة بـأرضي

ويلمس عُمْقَ سمائي

فيا للنداوة

نـداوة صـوتـك في مـسـمـعـي

ويا للطراوة

طـراوة كـلماتـك الـغـالـيـات

تغلّفها بالدعابه

تلوّنها بـالعتـاب، بمعنى الصبـابـه

ومـا زلت أصغي ومـع كـل كلمـه

تفتّح ورده

بقلبي وتبزغ نجمه

ويا لانبعاثي

ويا لانخطافي

وراء حدود المكان

وراء حدود الزمان

أطــير وأعــلو وصــوتــك وحــدَه

معي في دمائي

يرقرق جدول دفءٍ

يمور بحيرة ضوءٍ

يـعيـد نـسيـج الحيـاة جـديـدًا
يــرفّ ويــرعش في كــل شيء

●

ومــرَّت دقــائــقـنــا وانــتـهــيـنــا

وما زلت أصغي

واطبق صمتُ

وما زلتُ اصغي

بفرحٍ يغنّي

كأنّــي

اضــمُّ إليَّ كــنــوز الــبــحــار
كــأني أُلمــلم كــلِ الــشــمــوس
وأقــطف كــلَّ الــدراري

ومــا زلــت أصــغــي وأحــلم أني

أطير إليك وأعلو

ودربي عبير وظلُّ

ووطءُ حريرٍ يرفُّ

وضحكة شمسٍ تهلُّ

غداً نلتقي

ووسَّدتُ خدِّي ذراع الرضى
ونمتُ على حلم الزنبقِ..

سبتمبر ١٩٥٩

هزيمة

حكايتنا لم تكن غير ظلّ

سريع الزوال

تفيّأه قلبي المتشرّد في يوم صيفٍ

وأغفى هنالك يحلم، يحضن في -

حلمه ألف طيفٍ

فيهمي النّدى حوله والشّذى والجمال

وها هو عاد، ولا ظلّ يحنو عليه

ولا طيف من حلمه في يديه

ومات الندى حوله والشذى والجمال

وانتَ، تبالي؟!

ولكن لماذا؟ لماذا تبالي؟

أنرجعُ؟

كلّا فما عاد يعذب ذاك

الجنون

وكيف نعود وهذا الجدار

يسدّ علينا طريق الرجوع

جدار أصمّ بغير عيون

تدور به عاصفات الظنون

تعال إليهِ

وخلّ أصابعك البارده

تمرُّ عليه

لتلمس قسوة أحجاره

لتعرف أيّ جدار رفعناه ـ

نحن، وشدناه دون طريق الرجوع

ولو أنت كفّرتَ، أو أنا كفّرتُ ـ

بين الأسى والدموع

ولو فَتَحتْ راحة العفو كُوّه

وقمنا نطلّ على الدرب دربِ ـ

الرجوع

فماذا سنبصرُ؟ أعماق هُوّه
بغير قرار
مضت تتثاءب خلف الجدار
تمجّ الفراغ، تمجّ الدوار

●

سأمضي بروحي المشرّد
بعيداً سأمضي وأبعَد
وما زال في الروح يُنْزَفُ جُرحُ
وما زال يرسب في الجرح مِلحُ
وهذي المراره
بقلبي ترسو؛ بأعماق قلبي
تحدّثني عن هزيمة حبي
وتحكي انكساره

١٩٦٠

الإله الذي مات

ذات يوم رائع الصّحوة جئنا
للإله الطفل تحدونا أماني وأماني
نحن جئناه لنطوي عنده سِفر الذنوب
لنصلّي ونتوب
وبأيدينا له كفّارة الشعر
وقربان الأغاني

●

غير أنّا

كان في أعماقنا خوفٌ جهلنا كنهه
كان خوف ينزوي في عتمة النفس ـ
ويخفي وجهه

عـن مصبِّ الضــوء؛ لـكـنّــا تجـاهـلنــا

واغمضنا العيونا

وتناسيناه فينا

وأتينا

●

وأوينا

للجنــاح السَّمْـح . . فــارتــدَّت خــطانــا

فـزعـاً؛ كـان مكـان الـدفـء ثلج وصقيـع

ورجعنا فدنونا

ووقفنا عنده في ذعرنا

نخنق الغصّات في أعماقنا

نسرق الضحكات من أحزاننا

ونداري خوفنا

ونواري شجونا

ومضينا في أسىً نحنو عليه

ونغنيه أغانينا عسانا

نوقظ الدفء الذي أصبح ثلجاً ـ

وصقيع

عبثاً كانت أغانينا سدىً ـ

ضحكاتنا بين يديه

●

قبل عام، قبل شهر كان يسقينا

كؤوس

من رحيق الخلد؛ كان بالأمس القريب

يخلق الأقمار فينـــا والشموس

ويعاطينا كنوزاً وكنوز

من رؤى الإبداع والخلق وأمجاد ـ

الخلود

●

كان طفلاً رائعاً . كان إله

مات فينا؛ آه لو نقدر نعطيه ـ

الحيـــاه

من جديد

١٩٦٠

رجوع الى البحر

إنّا سنمضي يا جزيرة حلمنا

لا تمسكينا بعدُ، يكفينا بأرضك ما لقينا

ألقاً سراباً لقينا

وخيوط ضوء واهياتٍ غرّرتنا

لما دعتنا

ورمت بنا في القفر، في العبث المريع ـ

وضيّعتنا

●●

لما رأينا ظلّك الرطب الظليل

يُومي ويدعو خطونا التّعِب الكليل

قلنا وصلنا واسترحنا

ولِسوف ندخلها كراماً امنين
وهنا سنلقي عبئنا
وهنا سينسى روحنا المكدود ـ

أحزان السنين

قلنا، وقلنا؛
وعلى رفيف مروجك الخضراء ضاحَكَنا الرجاء
الله ما أحلى الرجاء
للتائهين على الطريق
للمدلجين بلا رفيق
قلنا، وقلنا
لكن وهِمْنا، يا سذاجة ما وهِمْنا
لما أتينا، ثم ألقينا رواسينا بأرضك ـ

حالمين

●●

جئنا نلملم ما تبعثر من خطى أعمارنا
ونشقّ أتلامَ الهوى لبذارنا

ولقد مضينا نزرع الأشواق والحبّ ـ

المنضّر والحنين

لكن علمنا بعد حين

أنا زرعنا زَرْعَنا في الملح ، في الأرض ـ

البوار

أنا ضللنا حين ألقينا البذار

في قلب أرضٍ لا تُغِلُّ

كان الجفاف نصيبنا ولغيرنا خصبٌ وظلّ

●●

لا تمسكينا يا جزيرة حلمنا

إنًا سنمضي عنك، لن نبقى هنا

نعطيك من أشواقنا عبثاً ومن ـ

أعمارنا

فيضي وأعطي الآخرين

من خصبك المغداق؛ أعطي لِلْسّوى ـ

ظلًّا وماء

فلقد عزَفنا عنك، أفرغنا القلوب ـ

من الرجاء

●●

إنّا سنمضي عن شواطئك الملوّنة الضحوك

سنعود نُسلم للرياح شراعنا

ونظلّ نحمل تيهنا وضياعنا

يا تيهنا وضياعنا

في الصاخب الهدّار، في هذا الخضمّ بلا قرار

سنصارع الموج الكبير

وهناك نعطي عمرنا

للصاخب الهدّار نعطي عمرنا

وكفاحَنا

وهناك سوف نواجه التيه المحتّم ـ

والمصيرَ

ونحن نحضن كِبْرنَا

وجراحَنا

ابريل ١٩٦٠

غيـران

غيران يا زنبقُ

غـيران يـا كـنـز أمـانـيـنـا
إذن لـمـن صـغـنـا أغـانـيـنـا
لمـن مـنـحـنـا خـير مـا فـيـنـا
يـا غـيّـنـا الحـبـيـب يـا زنـبـقُ
انـت شربـت الـغَـمْـرَ مـن حـبـنـا
وانـت أمـرعـت عـلى خـصـبـنـا

ونحن هل نجحدُ

يـا بـلـسـماً مـر عـلى جـرحـنـا
ويـا نـدىً رطّـبَ أيـامـنـا
وشِـعـرنـا الـغـالـي وأحـلامـنـا

●

الله يا كوب الشّذى والرحيق

وبيننا، كم بيننا أشياء

ندفنها في صمت أعماقنا

نحضنها في دفء أشواقنا

أشياء ما أحلى وما أغلى

نرخصها نُرْخِصُ ما كانا

وما طوينا في خفايانا؟

من قال يا زنبقٌ

●

ظلمت؛ من قال حبنا سواك

من قال بعناك وعفنا شذاك

وانت دنيانا التي نعشق

يا حبنا الأخير يا زنبقُ

١٩٦٠

القصيدة الأخيرة

لا تسل عن بارقٍ رفّ على أيامنا
بعضَ حينٍ؛ لا تسل واطوِ السؤال

لا تقل إنَّ الملال

لم يلفّعنا وإنَّ اليأس لم يلق علينا
ظلّه القاتم، لم يُبقِ لدينا
قبساً يطفو على أحلامنا

●●

الهوى كان ملاذاً وهروب

من ضياعي وضياعك

كان لاستقرار نفْسٍ لقيت نفساً وروحٍ

عانقت روحا؛ لإرساء قلوب

عند برٍّ آمنٍ يمنحها دفء الحياة
والهوى كان ليعطينا الرضى والبسمات
ولينسينا جراحات الليالي الموحشات

لا ليرمينا على صحراء تيهٍ
وفراغٍ وموات
الهوى كان لنبني ولنعطي
خير ما فينا
لا ليفنينا
ويحيل النور والخصب ظلاماً ورماد
في أغانينا

●●

انتهينا يا رفيقي
حبنا كان استغاثات غريق بغريقِ
لم تكن تملك لي شيئاً ولا كان لديّ
لك شيء.
وتلاشى صوتنا
في اصطخاب الموج،في غور بحار الظلمات
عبثاً كنا نريد الحبّ أن يمنحنا خيط الحياة

●●

انت تدري . لا تسل عن حبنا
نحن حاولنا ولكنّافشلنا
أسفاً، ماذا غنمنا
غير غصّات أسانا وجراح الأغنيات؟

يوليو ١٩٦٠

امام الباب المغلق

الإهــداء

الى روح شقيقي نمر

فدوى

أردنية فلسطينية في انكلترا

مهداة الى :

A. Gascoigne

- ١ -

ـ : طقسٌ كئيب
وسماؤنا أبداً ضبابيّه
من أين؟ إسبانيةٌ ؟
ـ : كلاً

أنا مِنْ. . . من الاردن
ـ : عفواً من الاردنّ؟ لا أفهمْ
ـ : أنا من روابي القدسْ
وطن السّنى والشمسْ

ـ : يا، يا، عرفتُ، اذن يهوديّهْ . .
يا طعنةً أهوت على كبدي
صمّاء وحشيّهْ

●●●

ـ ٢ ـ

تسأل عن سحابه؟
مرَّت على جبيني
وظلّلتْ عينيً بالكآبة
وأنت يا جار الرضى من فتّح الجراحْ؟
ذكرتنـــي
اني من الأرض التي تمزّقتْ
أني من القوم الّذين
من الجذور اقتُلِعوا، من الجذور
وأصبحوا على مدارج الرياح
مبعثرين ها هنا وها هنا ـ
لا ينتمون
الى وطن ! ! .
حقيقة فيها نغالط النفوس
ندَّعي
أنا كباقي الآخرين
قومٌ لنا وطن . . .

هيهات! . كيف تعلمُ؟
هنا الضَّباب والدخان في بلادكم
يلفلف الأشياءَ. . يطمس الضّياء. .
فلا ترى العيونُ غير ما
يُراد للعيون أن تراه. .

اوكسفورد ـ انكلترا

رؤيا هنــري

مستلهمة من لوحة «هنري» للفنان الاميركي وليم فولكنر

- ١ -

يا هذه العيون
مرآة أيّ عالم تراك؟ أيّ مشعلٍ
يضيء في قرارك؟
مدّي لنا خيوط ضوئك الفريد
ننسجْ لنا من الخيوط سلّماً -
يُفضي إلى
رحاب هذا المرفأ الأمين
نحن الحيارى التائهون
نحن اليتامى الخائفون
تقوّضتْ أركان أرضنا ولوَّثتْ
براءةَ الأرضِ الوحول، لا نقاءْ

لا حبَّ، لا صفاءْ
يعمر قلبَ أرضنا، يا هذه العيون

●●●

أمْ أي نبع حب
يدفق تحت هذه العيون
نحن العِطاشُ جفَّ فينا النّسْغُ ـ
ماتت الجذور
تربتنا العقيم لا تغلُ، لا تهبْ
أتى عليها الملحُ، تحت الملح مات ـ
كلُّ خصبْ
لو قطرة من نبعك الحنون
لو قطرة تعيد خفقة الحياة ـ
في البذور

●●●

أم أي رؤيا في قرار هذه العيون
رؤياك عالمٌ معَافى الروحِ ـ
مثلُ طفلْ ٠
لم يُرخِ فوقه التشوُّشُ المقيت ـ
فضلَ ظلْ
رؤياك عالمٌ صفتْ
آفاقه من الغيوم
وغسلتْ أعماقَهُ

بضوئها النجوم
انتصر الإنسانُ فيه حطّم السدود
ودمر الحواجز الصمّاء والحدود

- ٢ -

كدوحةٍ راسخةٍ بعيدة الجذور
تستشرف الافق
وقف في وجه التشوّش الغبيَّ -
لفَّ عالماً نزقْ
يغطّ في الضَّباب
يحوم فيه طائر الخراب
محملاً بالرّعب ، بالرَّدى الكريه
كدوحةٍ راسخةٍ بعيدة الجذور
اطللت فوق عالم مشوّشٍ نزق
مرتعدٍ إنسانُه بالخوف ، بالقلق
النور في أغواره اختنقْ
وفرحُ الأعماقِ مات فيه
لكنما رؤياكَ في عينيك لا تغيض
لا تنهزِمْ . . .
لا شيءَ يسحقُ الْحلُمْ
رؤياك نورٌ خالدٌ يفيضُ لا يغيض :
النّصرُ للإنسان ، للجلَدْ
النّصر للإنسان ، للجَلَدْ

قصائد الى نمر

«. . . وأضحى كل ما كان مشاعاً مشتركاً بيننا مثار ألم شديد لنفسي. لقد كانت عيناي تبحثان عنه في كل مكان، ولكن شيئاً لم يكن ليستطيع أن يهديني إلى طريقه، فأصبحت أبغض سائر الأشياء لأنها لم تعد تستطيع أن ترشدني اليه، ولأن شيئاً منها لم يعد يستطيع أن يقول لي: «تمهل قليلاً فانه سيعود اليك» وحينما كنت أقول لنفسي - بحق - : «الا فلتضعي رجاءك في الله» لم تكن لتستطيع الانصات اليَّ او الاستجابة لي. . ».

اعترافات القديس اوغسطين
الكتاب الرابع

مرثاة الى نمر

وارتجفت مثلوجةً أصابعي على
وريقة البريدْ
هم يكذبون
هم يكذبون
بل أنت تحلمين، تحلمين
استيقظي، حلم ثقيل لا يطاق
وحدَّقت عيناي في الأشياء ـ
وامتدت يدي
تلامس الخوان والكتاب والأوراق
إستيقظي، حلم ثقيل لا يطاق
وحدَّقتْ عيناي في وريقة البريد ـ
من جديد
وأطبقت مثلوجةً أصابعي على ـ
وريقة البريد
يا نمر، لا يا نمر، لا يا نمر

●●●

يا نمر ، يا حبيب اختك الكسيرة الجناح
يا نمر يا جرحاً جديداً غار في ـ
قلبي المغشّى بالجراح
أهكذا بلا وداع يا حبيبنا ويا
أميرنا الجميلْ
لا قبلة على طراوة الخدين والجبين
لا نظرة أخيرة نحملها زاداً لنا
في وحشة الفراق
يا نمر، يا حبيبنا ويا أميرنا لو انّه
فراق أعوام حملنا ثقله
لكنه فراق عمرْ
لكنه فراق عمرْ

●●●

وهمتُ في الدروب
غريبة في بلدٍ غريب
احمل ثُكلاً لا تطيقه الجبال
أواه يا جنون هذه الحياة والأقدار
بغير حكمة يموت
بغير حكمة يموت
يا موت يا غشوم، يا غدّار
تخطفهم أحبتي واخواتي

أحبتي واخوتي زهر الرياض ـ
لؤلؤ المحار
أحبتي واخوتي الشموس والأقمار
تخطفهم في عزّ عنفوانهم
في روعة انطلاقهم الى القمم
يا موت يا مجنون يا أعمى العيون ـ
يا أصمْ
يا قاصماً ظهري الضعيف لي لديك ـ
الف ثار، ألف ثار
وأنت يا من قيل عنه إنه هناك
حانٍ لطيف بالعباد
حانٍ لطيف بالعباد؟ أين أنت؟
لا أراك
دعني أراك كي أقول إنه هناك

● ● ●

حزينة أنا، حزينة تفجّري
يا نبعة الدموع
يا فرج المكروب يا سخيّة العطاء
تفجري من كهفك السحيق، كهف الحزن ـ
والظلام والأسى الوجيع
يا نبعةً بملح مائها
قد جُبلتْ أرض الشجا والموت والشقاء

● ● ●

إلــى أمـــي

يا أمِّ عائد اليك إبنك الحبيب
تزفّه عرائس البحار في طراوة ـ
الصباح
تزفّه مشغوفة بكنزها الثمين
لؤلؤة ما ضمَّ قلبُ البحر يوما ـ
مثلها بين اللآل
لؤلؤة تعزُّ في الرجال
اعطيتِها يوماً بلادي ؛ كم وكم
أعطيت يا أمي بلادي من لآل
أراك من هناك تفتحين
للعائد الحبيب صدرك الرحيب
أرى محياك الضحوك مشرقاً ـ
ببهجة اللقاء
وفرحة الحبيب بالحبيب
فلتنعمي ، أما الدموع والجراح
فهي لنا، خلّي لنا الدموع والجراح
وجهشة النديب :

وافجيعتاه!

اكسفورد ـ انكلترا

في ليلة ماطرة

لماذا يغلّف قلبي الأسى ـ
في ليالي المطر
لماذا اذا عصفت في الشجر
رياح الشتاء ألّمتْ طيوف ـ
الأحبة بي من وراء الحفر
أأرواحهم في الرياح ترود الديارْ؟
وتُنْشَرُ دنيا
طواها الزوال، وتهمي ذِكَرْ
وتهمي ذِكَرْ
وتهمي ذِكرْ

● ● ●

أحباي تحت الرياح وتحت المطر
وأُصغي الى وقع أقدامهم في الممر

وتعبر ضحكاتهم من رواق الظلام ـ
إليَّ وتحيا بعينيَّ منهم صور
أقبل هذا الجبين وأمسحُ ذاك الشعر
وألمسُ كُمَّ قميصٍ دفيءٍ
أشمُّ رباط عنق
وألمح أعينهم بالأمانيِّ تبرقُ ـ
توغل خلف الافق
وأسمع تلك القلوب الطموحة ـ
تنبض بالمنتظر
بما خططوا لغدٍ لن يجيءَ، يا ـ
قسوة الموت، مال الردى
بما خططوه، ومال القدر

●●●

وتسفي الشجرْ
رياحُ الشتاء، ويهمي مطر
ويهمي مطر
ويهمي مطر

جسر اللقيا

«للأموات أرض، وللأحياء أرض»
«ولا يصل بينهما الا الحب»
ثورنتون رايلدر

قالوا ما زالت تحضنهمْ
شجناً يتعتّق في صمت
ترفض موتَهُمُ، تحياهمْ
صوراً، ذكرى
أطيافاً ترِدُ دماءَ القلب ـ
تعبٌّ من القلب حياةً ومن العينين
في زمن مجنون لا يُبكى
أو يُذكر فيه الميتْ
أكثر من يومٍ أو يومين

●●●

أنا اختٌ، أنا لي قلب الأخت
هل تُلقي اختٌ اخوتها
في ظلمة قبر النسيان؟
أتواري أختٌ إخوتها
في أبشع قبرٍ، أقسى موت؟

●●●

يا شجن القلب
يا شجن القلب تعتّقُه الأيام ـ
ويروى منه الحب
يا جسر اللقيا لا تبرحْ
أبداً لا تبرحْ هذا القلب

لمــاذا

أحاول من غور يأسي وحزني
أفلسف موتك، أضفي عليه
ظلالاً ومعنى.
أقول لقلبي :
رويدك، كانت حياة بألف حياه
وان عبرت في سراها كخطف الحلم
حياة امتلاء، حياة احتدام وعنفْ
وكالنّجم أهوتْ هُويّاً
بأي احتدامٍ وعنفْ
حياةٌ تناسق فيها النّغمْ
مع الموت؛ أيّ ختامٍ
للحنٍ مثير

●●●

أقول لقلبي : لقد عاش يهوى

عناق الحياة على المرتقى
وتخلبه الشمس عشقاً فيمضي
يشق اليها دروبَ الذُّرى
أكان يطيق احتمال دبيب المساء؟
فيلقي المصير بنار خَبَتْ
وروحٍ ذوتْ في هشيم السنين؟
على المرتقى عانق الموت، ما بين -
أهداب صبح مبين

●●●

أقول لقلبي اكتمالٌ هو الموت -
تتويج عمرٍ، وفيضُ امتلاء
هو الآن جزء من الكون حرٌ
يدور مع الفلك الدائرِ
تفلّت من لمسات السنين -
من الزمن الغادر
أقول. . .
ولكن قلبي في غمرات أساه -
العميق الصموت
يعود فيقرع جدران صدري
يسائل في حيرة في قنوط:
لماذا يموت؟
لماذا يموت؟

حصار

- ١ -

في الليل حين تفلت الاحزان من -
إسارها

وحين وجهُنا الأصيل يرفع القناع
تضمّه أحزاننا الى قرارها
تُمِر كفّها على العيون تحصدُ -
النعاس في العيون
فيستبين العالم المصدع الأركان في -
أعماقنا

قفراً كئيب
تُمِرُّ كفّها على الجبين
حيث يد القضاء سطّرت -

مقدورنا الكبير وهي تعبثُ
وليس من مجير
وليس من مجير

●●●

أواه يا قلباً يكابد الجحيم والقدرْ
ولا مفرْ
يا مركباً مهشَّماً ممزَّق الشراع
أضاع في اشتباكه مع الرياح مرفأه
أواه يا معركة الأعماق كل أمسيه
عن وجهنا الأصيل ترفع القناع
وتفلت الأحزان من إسارها
ألا يدٌ تمتد للمكبل الغريق
تطلقه من شبك الأقدار ـ
من حصارها؟

لقاء كل ليلة

- ٢ -

أحبابنا خلف الحياة والزمان

الليل ميعاد لنا

كل مساء ها هنا يضمّنا لقاء

لكن لقاؤنا حزين

لكن لقاؤنا مهين

تظلّ فيع ضحكة القضاء حولنا

تهدر في شماتة وفي جنون

تغوص في أعماقنا كخنجر

يغوص غائراً الى القرار

بلا مبالاة يغوص غائراً ـ
الى القرار

●●●

أحبابنا يا موحشين بالغياب

أيامنا

أحبابنا، والباب بيننا أصمّ

بالموت موصد وبالعدم

نوازع الأشواق كل ليلة تردُّكمْ

الى عيوننا

أحبابنا

بالحبِّ نلقاكم وبالألم

والجرح ليس يخطىء الميعاد ـ
كلَّ ليلة هنا

يضمّنا لقاء

نحبُّه، وان يكن حزين

نحبه، وان يكن مهين

قصيدة من سلمى

ماذا أقول لها، تحيا على رمقي
أفراحها لم تعش إلّا على الحرقِ
الموت راودها دهراً وغافلها
واقتصّ آثارها في آخر الافق
أين المفر، قبور لا قرار لها
تقفو خطاك مسير الدرب فارتفقي
راحت وما كتبت حرفاً لصاحبةٍ
غابت وما تعبت من غربة السفنِ
ناديت مركبها الغادي فما عرفت
صوتي، وواجهت مسراها فلم ترني
تبغي انفلاتاً من الامس الذي ألفتْ
ترجو اختراق حجاب الشمس والزمن
تسعى وتبحث في المجهول عن قبسٍ
حيٍّ وعن ملتقى غضٍ ومؤتمن

غيبي وراء حدود النجم هاربة
ولا تقولي ردىً في شاطىء الوطن

لا ، ما رأيت لهيباً فاجعاً شرساً
فيه ولا سمعتْ أصداءه أذني

●●●

الموت سِرك ، من أعماق وحشته
أنت اغترفت جنون الحلم والشغف
غنّي على ثغرك المشتاق فاندلعت
أسرار قلبك ذاك العاشق الترفِ
يا ثروة الحلمِ
غنى عن العدم
غني على عدمي
أنت ارتويت فعاطينا سلافَته
يا ربة الهبتين الحب والألم

سلمى الخضراء الجيوسي

امام الباب المغلق

«مهداة الى الصديقة سلمى الخضراء الجيوسي»

مشيئة الملك

الفأس في الرأس بذا قضى الملك
فلا تجدّفوا
هو الذي قضى ولن يصيبكم
الاّ الذي قضاه
وكل شيء دبرته حكمة الملك
فلا تجدفوا
الخير منه وحده
والشر منه وحده
وهذه مشيئة الملك
فاستمسكوا بالصبر والايمان ـ
واحمدوا
فلا سواه، لا سواه

على مكاره الزمان والحياه
يُعنى له ويُسجدُ. . .

أنت تغيرت

يا ملك الدنيا والناس
فسّر لي معنى أفعالك
كنت حبيبي، ملكي الأوحد
لا ألزم الاَّ أعتابكَ
لا غير رحابك لي معبد
كنت حبيبي في قلبي
أحضن وجهك كل مساء
فاذا رفَّ على عينيَّ جناح الصبحْ
الفيتك تملأ في قلبي تجويف القلب
تغمره بالدهشة، بالفرحْ
لكن أنت تغيّرتْ
لكن أنت تغيّرتْ
فاهتزَّت أعمدة المعبد
وانهارت قبب الأجراس

●●●

مات الملك

هوى، هوى عرش الملك
ومات في أنقاضه الملك

ليسقط الملك
ليسقط الملك

●●●

بعد التخلي

هملاً لا زاد ولا مأوى
لا مزقة صوف تدفع عني الرجفة في ـ
هذا الليل
وحدي في فلوات الليل
مرتعدٌ قلبي بالخوف
أبداً مرتعدٌ بالخوف
أبداً تحت تحكُّمِ جسرٍ يتكسر
أو رحمة سقف ينهار
أبداً أرضي تهتزُّ، تميد،
تدور بلا محور
من ينقذني من هذا الخوف
من ينقذني من هذا الخوف؟

●●●

العــودة

عارية القلب رجعت اليكْ
عارية القلب اتيتك يا

متعالي، يا نائي الدار
يا غائب، يا أبديّ الصمت
عتبي لو تسمعني عتب ـ
المنكسر المنسحق القلب
لِمَ تفصلني دوماً عنك
وتردّ يدي الممدودة نحوك في ـ
ضعفي، في قلة حولي
لِمَ ترفع من دوني الاسوار
وتقيم من الظلمات جداراً فوق جدار
فوق جدار
وتظلّ بعيداً أنتْ
تتعالى، تتحصّن بالصمتْ

●●●

أيروعك صوتي الواهي أم
يخجلك ندائي لك
وأنا أرفع بين يديَّ
جراحي وضراعاتي لك
أيروعك صوتي بعد صمودي
تحت توالي ضرباتِك
وهُوِيِّ سياطك فوق جراحي
جرحاً جرحْ
فتصمُّ السمع، وتنأى تنأى

ترفع من دوني الأسوار
وتقيم من الظلمات جداراً فوق جدارٍ
فوق جدار

●●●

بالحب سألتك حبي لك
أيام غراس العمر غضير لم يُلفح ـ
بسموم رياحك، لم يتيبسَ بالإعصار
أيام غراس العمر طريٌّ
ورويّ بكؤوس النور
يربو، يهتز، يُساقط من
حولي رُطباً
بالحب سألتك حبي ذاك الساذج ـ
حبي ذاك النّضرْ
أيام يقيني مصباحٌ
دريٌّ يتوهج في الصدر
لا أسأل، لا أتساءل، لا
تطعن حبي سكّين الشك
هل تذكره ذيّاك الحبَّ؟ معافىً كانْ
ونقياً كان
طفليّاً لم يتلوث لم
يتعكر بوحول الاكدار
لميسحقه ما خطّتْ لي

كفك في لوح الأقدار
بالحب، بذاك الحب سألتك أرجع لي
حبّي، أرجع لي قلبي الطفلْ
وأضيء مصباحي المطفأ في
صدري، يا مطفىء مصباحي
يا مطفىء مصباحي أنتْ
بصواعق برقك ورعودك
أشعْلهُ، ارفعهُ، قرّبْ لي
وجهك من دائرة النور
فغياب حضورك يحبسني
في العتمة، في شرك الديجور

●●●

لو تسمع يا أبديَّ الصمتْ
عارية القلب أتيتْ
اخبط في الليل الغاشي في
وحل الأكدار
لو تغسل عريي بالأمطار
لو تؤويني وتدثرني
لو تجعل لي من نور حضورك
مأوى يحميني ودثار

●●●

الطرقات الأخيرة

هلاَّ تفتح لي هذا الباب
وهنتْ كفّي وأنا أطرق، أطرق ـ
بابك

أنا جئت رحابك أستجدي
بعض سكينه
وطمأنينه
لكنَّ رحابك مغلقةٌ
في وجهي، غارقة في الصمت
يا ربَّ البيت
مفتوحاً كان الباب هنا
والمنزل كان ملاذ الموقر بالأحزان
مفتوحاً كان الباب هنا والزينونه
خضراء، تسامت فارعة
تحتضن البيت
والزيت يضيء بلا نارِ
يهدي في الليل خطى الساري
يعطي المسحوق بثقل الأرض طمأنينه
ورضىً يغمره وسكينه
هل تسمعُني يا ربَّ البيت
أنا بعد ضياعي في الفلوات ـ
بعيداً عنك أعود اليك
لكنَّ رحابك مغلقةً

في وجهي، غارقة في الصمتْ
لكنَّ رحابك كاسية
بتراب الموت
ان كنت هنا فافتح لي بابك لا ـ
تحجب وجهك عني
وانظر يتمي وضياعي بين ـ
خرائب عالمي المنهار
وعلى كتفي أحزان الأرضِ ـ
وأهوال القدر الجبار

●●●

لا شيء هنا

عبثاً، لا رجع صدى لا صوت
عودي. لا شيء هنا غير الوحشة ـ
والصمتِ وظلّ الموت

تاريخ كلمة

الى الصديق « ي »

- ١ -

تُحبني؟
صديقيّ المقرب الأثير
صداقة حميمة تشدني اليك من -
سنين
ودّك ذاك الهادىء الحنون كم أحبه
أحبه يظلّ نسمة رخيّة العبور
تندى على روحي المبعثر الكئيب كلما
تعثرتْ خطاي في مفاوز الدروب

●●●

تحبني؟ تاريخها عندي قديم
قبلك من سنين، من سنين
نشدتُها، بحثتُ عنها في طفولتي
نشدتها اذ كنت طفلة حزينة ـ

مع الصغار عطشى الى محبة الكبار
وكنت أسمع النساء حول موقد ـ
الشتاء
يروين قصة الأمير اذ أحبَّ ـ
بنْتَ جاره الفقير
أحبّها؟ . . . وترعش الحروف في
كيانيَ الصغير
اذن هناك حب؟
هناك من يُحبُّ، من تُحَب!
وكان قلبيَ الحزين، قلبيَ الصغيرُ ـ
ينطوي على جفافِهِ، على ظماه
ويسأل الحياه
عن دفقة من نبع حب
وكانت الحياة
بخيلةً، بخيلةً، أواه ما
أقسى تعطش الصغار حين ينضب ـ
الحنو في الكبار، حين لا
يُسقى الصغار قطرةً من نبع حب

●●●

وحين فتّحت براعمي وأمرع الصبا
وضمّخ الجواء بالعبير
عرفتها في شعر « عروة » الحزين
وعشتها في شعر « قيس » في ـ

رؤى « جميل »

كم هزني تدفّق الشعور في قلوبهم
كم عشت حبّهم، حنينهم، عذابهم
كم قال لي قلبي الحزين:
« ما أسعد الاحباب رغم ما يكابدون
« كم يغتني الانسان حين يلتقي
« هناك من يحبه، كم يغتني »
ولم يكن هناك من يحبني

●●●

وعاد من غربته أخي الكبير عاد ـ
ابراهيم؛ كان قلبه الرحيم، خيّراً كبيراً
وفيض حبه غزير
ولفني أخي وضمّني الى جناحه
هنا استقيت الحبَّ وارتويت
هنا استردتْ ذاتيَ التي تحطمت

بأيدي الآخرين

بناءَها. هنا اكتشفتُ من أنا

عرفت معنى أن أكون

● ● ●

ومات من أحبني
مات أخي الذي أحبني ولم يكن
هناك من أحبني سواه

● ● ●

ومرّت الأيام يا صديقي
جديبة، مطمورة بالثلج، بالأسى
وقلبيَ الوحيد ينطوي على ـ
جفافه، على ظماه
وعاد قلبيَ الوحيد يسأل الحياه
عن دفقة من نبع حب
عن دفء قلب
وراحت الحياه
تعطي، فقد أحبني الكثير
أحبّني الكثير غير أنني
بقيتُ عطشى دونما ارتواء
كأنما كان الذي بلغته سراب
سمعتها كثير
وخلتني اعيشها، وكنت إنّما
أعيش وَهْمها الكبير

ولم أزل اطوّف الآفاق خلفها
أغوص في البحور
أبحث في الأعماق، في الوجوه ـ

في العيون

وكنت في يأسي أمدُّ خلفها اليدين
أود لو بلغتها، لمستها
حقيقةً، شيئاً يُمسُّ صدقهُ
بالراحتين
كانت سراباً في سراب
كانت بلا لون بلا مذاق
الحب عند الآخرين جف وانحصر
معناه في صدر وساق
الحبُّ كان حبَّ صدر وحب ساق
حبٌ بلا دفء، بلا روح، بلا

حنان

سمعتها كثير
وعفتُ زيفها الكبير
كانت مطلاً لي على متاهةٍ ، على
تفاهة، على مراراتٍ أُخر
كانت قناعاً يستر الصقيع ـ
والخواء في البشر

●●●

لا لوم يا صديقي
انسان هذا العصر قاحل فقير
تآكلت جذوره، تسطّحت أبعاده
سدىً نريد الحب أن ينمو ولا ـ
أعماق، لا جذور

●●●

تحبني؟
لا، رُدَّها،
دع لي صديقي ودَّك الكبير
أعبُّ من حنوّه في دربيَ الطويل
وأحتمي بظلّه الأمين كلما
تعبتُ، كلما هربت من جفاف
دربيَ الطويل
دع لي صديقي ودَّك الكبير

مكابرة

أهذا أنت؟ من أيّ الكهوف ـ
بزغتَ يا وجهاً طمرناهُ
وألقيناه في الغيهب، في أعماق

ماضينا

ورحنا نشرب النسيان في صمتٍ
وفي صمت نعبُّ مرارة التسليم
والإذعان للأقدار يوم هوى
بنا البنيان واندحرت أمانينا

●●●

أما كنّا تشاغلنا
عن التذكار والأشواق!
وفوق كآبة الأعماق أسدلنا

ستار الرفض والكبرِ
وقلنا للعيون الطائشات السودِ ـ
قلنا: يا أعزَّ عيون
صحونا، نحن بعد اليوم لن نسكر
فردّي الكأس عنّا يا
أعزَّ عيون
ورحنا نخنق الإحساس نلجمهُ
بهذا القلب، نلجم رعشة ـ

الإحساس والشعر

وكانت أجمل الأشعار ما زالت
بهذا القلب ترعش فيه لكنّا وأدناها
وقلنا لن
نريق سدىً أغانينا
ولن نسقي غرور الزنبق النشوانَ ـ
مهما رفَّ، لن نسقيه ـ
حتى غابة العطرِ خنقنا نفحها فينا
وفوق كآبة الأعماق أسدلنا
ستار الرفض والكبرِ

●●●

شُغلنا عنك وانفتحتْ
لنا الآفاق تدعونا

تُجدُّ لنا منىً أخرى
وتزرع حولنا الأفياء تمطرنا
بألف رجاء
وقلنا: يا خلاص الروح
أخيراً قد تعافينا
فلا تحنان، لا أشواق، لا ذكرى
تنادينا

● ● ●

فمن أيِّ الكهوف بزغتَ ـ
يا وجهاً عبدناه
زماناً، ثم في أعماق ماضينا طمرناه
أما كنّا ذهلنا عنك حتى قيل ـ
لم نعرف هواك؟ فأي ينبوعٍ
من التحنان والذكرى
من التهيام والذكرى
تفجّر بغتةً فينا

● ● ●

نكابر، ندَّعي أنا
تعافينا.

نكابر، يا ضلال الكبر، يأبى أن
يُقرَّ الكبْرُ أنَّك في قراراتنا
نداء قاهر كالموت، كالأقدار ـ

يأبى أن

يقرَّ الكبْرُ أنَّك لهفةٌ أبديةٌ ـ
فينا

قصائد الى ج .هـ .

ولا شيء يبقى

معاً نحن هذا المساء وتطويك

عني غداً

ضراوة هذي الحياه
ستقصيك عني بحارٌ
وهيهات بعدُ أراك
سأجهل دوماً إلى أين أفضى
مسيرك، أيَّ اتجاه
أخذتَ، وأيُّ مصيرٍ خفيٍّ
حثثتَ، إليه خطاكَ
ستمضي، وسارق كل جميل -

وغالٍ لدينا

سيسرق هذي الهناءة منا
ويُفرغ منها يدينا

غداً مع وجه الصباح ستمضي كطيفْ
كظل غمام لطيفٍ عبر
سريع الخطى في ظهيرة صيفْ
وعطرك ـ عطر له فوحان الحياة

بقلبي

ورائحة الأرض غبَّ عطاء المطر
ونفح الشجر ـ
سأفقده حين تمضي غداً
ولا شيء يبقى
ككلِّ جميل وغالٍ لدينا
يضيع، يضيع ولا شيء يبقى

عند مفترق الطرق

لا تأسَ، لا يحزنك أنَّ دربنا
أضاعنا قبل الوصول
أشواقنا وامنياتناالتي
لم ينته المطاف
بنا الى تحقيقها تظلّ ألف مرة
أحلى وأروعُ
والقبلة التي تنهّدت على شفاهنا
يوماً ولم تزل
مشوقةً تنتظر القطاف
تظل الف مرةٍ
أشهى وأمتعُ
والكلمة الخرساء خلف صمتنا
نشدها الى قلوبنا ولا نقولها
تبقى تشعّ في عيوننا بلا انتهاء
كنجمة عظيمة البهاء

لا تأس ان ظلّتْ على طريقنا
أشواقنا براعماً دفينه
لم تتفتحْ تحت لمسة الضياء
دعها على انتظارها المليءْ
تهفو وتشرئب للسنى ولا يجيء
أزهارنا اذا تفتحتْ تموت
ونحن في رمادها نموت ـ

ننتهي....

أكره يا رفيق
أكره برد الموت والسكينه

●●●

لا تأس، لا تحزن
فلست يا رفيق
آسيةً، ولا أنا حزينه

في العباب

تلاشت الوجوه حولنا
وغابت الأشياء ذلك المساء
إلاّ الوميض الأزرق المشع في
عينيك والنداءْ
في الأزرق المشعِّ مبحرٌ
وراءه قلبي سفينةً
يشوقها العباب
وشدَّنا اليه ذلك العباب
بحر بلا شواطىءٍ
يمد، لا يُحدّ
ولا يُردّ
يقص فيه الموج قصة الحياة ـ

والأبد

اذ تُخْتصَرْ

بنظرة، فتغرق الأرض مع -
اندفاع المدّ والرياح والمطر

●●●

في ذلك المساء
استيقظتْ حديقتي وخلّعت

سياجها

أصابعُ الرياح
واهتز تحت رقصة الرياح والمطر
العشبُ في حديقتي
والزهرُ والثمر
وغابت الوجوه والأشياء

ذلك المساء

إلاّ الوميض الأزرق المشعُّ -

في عينيك والنداء

في الأزرق المشعّ مبحر وراءه
قلبي سفينةً يشوقهاالعباب

لحظة

- ١ -

منيتي صمتا، هدوءاً لا تقل لي

كان أو سوف يكون

لا تحدثني عن الأمس ولا -

تذهب لغد

هذه اللحظة عندي

ما لها قبلٌ وبعد

لم يعد للزمن المحدود عندي

أي معنى

قد تلاشى الأمس أصداءً

وظلاً

والغد المجهول يمتد بعيداً

ليس يُجلى

ربما كان سوى ما رسمتْ

يد أحلامي وأحلامك فيه

ربما كان سوى ما نرتجيه

هذه اللحظة، لا شيء سواها

زهرة قد فتّحتْ بين يدينا

لا ثمارٌ، لا جذور

زهرةٌ آنيةُ الروعة فلنمسك

بها قبل العبور

يا حبيبي

بوركت لحظتنا

- ٢ -

ما علينا
ان تكن مرَّتْ كظلّ الطير خطفا
فهي ذخرٌ لرؤانا
عالم من عالم أشهى وأغنى
من دنانا
هي عمرٌ

●●●

أترانا
نذرع الأيام، نمشي مثقلين
نطأ العوسج نعيا
بالذي نحمل من عبء السنين

أترى من أجل هذا نحن نحيا؟
ما الذي ننتظرُ؟
ما الذي نحيا له؟
نحن قد يملؤنا وهْمٌ نسمّيه ـ
الطموح
نكدح العمرَ ونشقى فيه كي ـ
نرقى الذُّرى
نجري ونسعى
لنفوق الآخرين
ثم ماذا؟
الخلود؟
لا تحدثني عن المهزلة الكبرى ـ
عن الكذبة، دعها
لمجانين الخلود.

●●●

أم ترى نحيا ليلقى المتعبون
عندنا الفيءَ، ليروى الظامئون
من عطاء البئر، بئر الخير والايثار
فينا

ثم يمضون، ويمضي كل شيء
غير أحجار عقوق وجحود
رسبتْ في قاع بئر الخير والإيثار

فينا

●●●

أم ترى نحيا لكي تجرحنا
كلمات الآخرين؟
ولكي تطعننا في الظهر في غفلتنا
الصداقات التي تفجعنا
والتي ننفض منها الكف نرتدُّ على ـ

أعقابنا من بعدها خاسرين

●●●

أم ترانا
نذرع العمر نشق الدرب من

اجل الوصول

نحو قبرٍ
نحن ندري
أنه كل المصير!

●●●

منيتي، إن لم نكن نحيا لهذي اللحظات النادرات

هذه الواحات في صحرائنا
فيم نلقانا اذن نحيا الحياه؟
ما الذي ننتظرُ؟
ما علينا
ان تكنْ مرَّت كظلّ الطير خطفا
فهي عمرُ

تذييل لقصيدة « رؤيا هنري »

«هنري» صورة شخصية Portrait من أعمال الفنان الأمريكي المعاصر وليم فولكنر (١٨٩٦ ـ   ) من ولاية كاليفورنيا. تظهر أعماله النفاذة الحادة اهتماماً شديداً بجميع الأنماط البشرية؛ فهو يتوغل في أعماق روح الانسان يقاسمه فرحه وألمه، يسجّل الحنان والشجن والفكاهة والصدمة في لوحة واحدة تخرج مزيجاً من كل المشاعر التي عرفها الإنسان.

الليل والفرسان

كلمات من الضفة الغربية

مدينتي الحزينة

« يوم الاحتلال الصهيوني »

١

يوم رأينا الموت والخيانة
تراجع المدُّ
وأُغلقت نوافذُ السماءْ
وأمسكتْ أنفاسها المدينه
يوم اندحار الموج، يوم أسلمتْ
بشاعة القيعانِ للضياءِ وجهَها
ترمّد الرجاءْ
واختنقتْ بغصَّة البلاءْ
مدينتي الحزينه

● ● ●

اختفت الأطفال والأغاني
لا ظلَّ، لا صدى
والحزن في مدينتي يدبُّ عارياً
مخضَّب الخطى
والصمتُ في مدينتي،
الصمتُ كالجبال رابضٌ،
كالليل غامضٌ، الصمت فاجعٌ ـ
محمَّلٌ
بوطأة الموت وبالهزيمه
أواه يا مدينتي الصامتة الحزينه
أهكذا في موسم القطافْ
تحترق الغلال والثّمار؟
أوّاه يا نهاية المطاف!

الطاعون

٢

يوم فشا الطاعونُ في مدينتي

خرجتُ للعراءْ

مفتوحةَ الصَّدر الى السماءْ

أهتفُ من قرارة الأحزان بالرياحْ:

هبي وسوقي نحونا السحاب يا رياح

وأنزلي الأمطارْ

تطهّر الهواءَ في مدينتي

وتغسلِ البيوتَ والجبالَ والأشجارْ

هبِّي وسوقي نحونا السّحاب يا رياح

ولتنزل الأمطارْ!

ولتنزل الأمطارْ!

ولتنزل الأمطارْ!

الى صديق غريب

٣

صديقي الغريب
لو انَّ طريقي اليك كأمسِ
لو ان الأفاعيِ الهوالك ليستْ
تعربد في كلِّ دربِ
وتحفر قبراً لأهلي وشعبي
وتزرعٍ موتاً ونارْ
لو انَّ الهزيمة لا تمطر الآن ـ

أرضَ بلادي

حجارةَ خزْيٍ وعار
ولو أنَّ قلبي الذي تعرفُ
كما كان بالأمس لا ترعفُ

دماه على خنجر الإنكسار
ولو أنّني يا صديقي كأمسِ

أدلُّ بقومي وداري وعزّي
لكنتُ إلى جنبك الآن عند ـ

شواطىءِ حبّك أُرسي

سفينة عمري
لكُنّا كفرخيْ حمامْ. . .

الطوفان والشجرة

٤

في الأسابيع الأولى التي تلت أيام الحرب، كانت الصحف والإذاعات الأجنبية المعادية تتحدث بتشف وشماتة عن حرب حزيران وكأنما نهاية الأمة العربية كانت منوطة بتلك النكسة.

من هنا كانت قصيدة « الطوفان والشجرة »

يوم الإعصار الشيطانيُّ طغى وامتدّ
يوم الطوفان الأسودْ
لفظْتهُ سواحلُ همجيّه
للأرض الطيِّبة الخضراءْ
هتفوا، ومضت عبر الأجواء الغربيه
تتصادى بالبشرى الأنباء:
هوت الشجره!
والجذع الطّودْ تحطّم، لم تُبقِ
الأنواء
باقيةً تحياها الشجره!

● ● ●

هوت الشجره؟
عفو جداولنا الحمراءْ
عفو جذورٍ مرتويه
بنبيذٍ سفحته الأشلاءْ
عفو جذورٍ عربيّه
توغل كصخور الأعماق
وتمدُّ بعيداً في الأعماق

● ● ●

ستقوم الشجره
ستقوم الشجرة والأغصان ـ
ستنمو في الشمس وتخضرّ
وستورقُ ضحكاتُ الشجره
في وجه الشّمسْ
وسيأتي الطيرْ
لا بد سيأتي الطيرُ
سيأتي الطيرُ
سيأتي الطيرْ

حي ابدا

٥

يا وطني الحبيب لا، مهما تدرْ
عليك في متـاهة الظُّلمْ
طاحونة العذاب والألمْ

لن يستطيعوا يا حبيبنا
أن يفقأوا عينيك، لنْ
ليقتلوا الأحلام والأملْ

وليصلبوا حرية البناء والعملْ
ليسرقوا الضحكات من أطفالنا
ليهدموا، ليحرقوا، فمن شقائنا

من حزننا الكبير، من لزوجة ـ
الدماء في جدراننا
من اختلاج الموت والحياه

ستُبعثُ الحياة فيك من جديد
يا جرحنا العميق أنت يا عذابنا
يا حبّنا الوحيد

رسالة الى طفلين في الضفة الشرقية

« إلى كرمة وعمر »

يا كرمتي أودّ لو أطير
على جناح الشوق لو أطير
لكنَّ توقي يا صغيرتي مقيّد أسير. . .
يُعجزني يا كرمتي العبور
فالنهر يقطع الطريق بيننا
وهمْ هنا يرابطون
كلعنةٍ سوداء هم هنا يرابطون
قد نسفوا الجسور
وحرموني منك يا صغيرتي
وحرَّموا العبور

● ● ●

الموتُ رابضٌ على النهر
الموتُ رابضٌ لكل من عبر[١]

• • •

يا كرم يا غزالتي
العسل الصَّافي المضيءُ في العيونْ
يوحشني كثير
والخُصَلُ الشقراء مثلُ القمح، مثلُ -
موسم الحصاد في حقولنا
توحشني، توحشني كثير
أود لو أطير يا غزالتي
عبر المدى، أودُّ لو أطير

• • •

يغرقني في لُجِّهِ الحنين
وبالحنين والذكرْ
أفزع يا صغيرتي الى الشّريطْ
ويملأ المكان صوتك الصغيرْ:
(خذوني الى بيسان
إلى ضيعتي الشِّتائيه)

الله يا بيسان!
كانت لنا أرضٌ هناك،

(١) كتبت هذه القصيدة في الشهور الأولى من الاحتلال الصهيوني ، أيام كانت الجسور بين الضفتين ما تزال منسوفة، والعبور محظوراً. وخلال هذه الأشهر كان يسقط كل يوم برصاص العدو عشرات الضحايا ممن كانوا يحاولون عبور النهر سباحة.

بيارةٌ، حقول قمحٍ ترتمي مدَّ البصر
تعطي أبي خيرَاتِها
القمحَ والثّمرْ
كان أبي يحبُّها، يحبُّها،
كان يقول: لن أبيعها حتى ولو
أُعطيتُ ملأها ذهبْ
... واغتصب الأرضَ التّترا!
ومات جدُّكِ الحزين يا صغيرتي
مات أبي من حزنه
كانت جذوره تغوص في قرار أرضِه
هناك، في بيسان

● ● ●

ويستمرُّ يلعب الشريط
يدور كالزَّمنْ
حكايةٌ طفليةٌ هنا،
وزقزقات ضحكٍ هناك
ونكتةٌ ذكيةٌ يرسلها عمر
يُتعبني الحنينُ يا عمر
لوجهك القمر
هل ذاكرٌ أيام كنت تطلُعُ الجبل
تحمل لي إضمامةً من زهرَ الجبل
قرنَ الغزال، والشقائقَ الحمراء والزرقاءْ

والحبقَ البريِّ والشّمرْ
هدية الربيع في بلادنا لنا
هديّة المطر

وأعبر النّهرْ
وجسريَ الخيال يا أحبّتي
وجسريَ الذكرْ
لو قدروا لقتلوا حتى الخيال
لسفكوا حتى دماء الحب والحنين ـ
والذكرْ
واحضن الطفوله
أبوس غرّة الصّباح في وجوهكم
أبوس أعينَ العسلْ
ثم يردُّني الى المكان واقعي المهين
وفي ضلوعي الشوك والصبّار
وفي فمي مرارة اليقين

● ● ●

أحبّتي الصغار خلف النهر يا أحبّتي
عندي أقاصيص لكم كثيره
غير حكايا سندباد البحرِ،
غير قصة الجنيّ والصياد
وقمر الزمان والأميره

عندي أقاصيص هنا جديده
أخاف لو أروي لكم أحداثها
أطفىء في عالمكم ضياءه
أخافُ أنْ أروّع الطفوله
أهزّ في جزيرة البراءه
رواسي الأمان والسكينه
أخشى على دنياكُم الصغيره
من قصص السجين والسّجان
من قصص النازيّ والنازيّه
في أرضنا، فإنها رهيبه
يشيب يا أحبتي لهولها الولدان

● ● ●

لا تسألوا متى وكيف تنتهي
حكاية الشتات والضَّياعْ
لن تفهموا اليوم الجوابْ
وحين تكبرون يا أحبّتي
تنبيكمو الأيام
ويومها ستحملون العبءَ مثلنا
وتأخذون الدور مثلنا
في قصة الكفاحْ
طويلة قصّتنا، طويلة
حكاية الكفاح
ويومها يا كنزنا المنذور

ستعرفون
متى وأين يلتقي المشتَّتُونْ
وكيف تنتهي حكاية الشتاتِ
والضياعْ

الى السيد المسيح في عيده

. . . ولكن أولئك الكرامين قالوا فيما بينهم : هذا هو الوارث .
هلمّوا نقتله فيكون لنا الميراث . فأخذوه وقتلوه وأخرجوه من الكرم .

اصحاح ١٢ . مرقس

يا سيد، يا مجد الأكوان
فيِ عيدك تُصْلَبُ هذا العام
أفراحُ القدسْ
صمتت في عيدك يا سيّدُ كلُّ
الأجراس
من ألفيْ عامٍ لم تَصمتْ
في عيدك إلّا هذا العامْ
فقباب الأجراس حدادٌ
وسوادٌ ملتفٌّ بسواد

● ● ●

القدس على درب الآلامْ
تُجلد تحت صليب المحنة ـ
تُنزفُ تحت يد الجلّاد
والعالم قلبٌ منغلقٌ
دون المأساه
هذا اللامكترث الجامد يا سيدْ
انطفأت فيه عين الشمس فضلً ـ
وتاه
لم يرفع في المحنة شمعه
لم يذرف حتى دمعه تغسل في القدس الأحزان

● ● ●

قتل الكرّامون الوارثَ يا سيّدُ ـ
واغتصبوا الكرم
وخُطاةُ العالم ريّش فيهم طيرُ ـ
الإثم
وانطلق يدنّس طهر القدسْ
شيطانياً ملعوناً، يمقته حتى الشيطان

● ● ●

يا سيد يا مجد القدس

من بئر الأحزان، من الهوَّةِ، من -

قاع الليلْ

من قلب الويلْ
يرتفع اليك أنين القدس
رحماك أجزْ يا سيد عنها هذي الكأس!

من صور المقاومة

« في الثلاثين من أيلول ـ سبتمبر ـ سنة ١٩٦٧ اندلعت واحدة من أشد معارك المقاومة في روابي (طوباس) ـ محافظة نابلس ـ وقد استشهد فيها الفدائي مازن أبو غزاله استشهاداً بطولياً رائعاً. فبعد مقاومة عنيدة استمرت ثلاثة أيام نفدت الذخيرة وأصبح مازن وجهاً لوجه مع العدو بعد أن تمكن من تغطية انسحاب رفاقه. وأخذ من وسطه قنبلتين فجّرهما بين يديه. وتمزَّق، ومزَّق معه عدداً من جنود العدوّ المحيطين به.

وقد وجدت في مفكرة مازن كلمات متوترة، صادقة، كان قد كتبها بتاريخ ١٥ حزيران شهر الحزن! والذهول. من هذه الكلمات: « يا أهلي، يا شعبي، يا رب، ماذا أكتب ولمن اكتب. . . أرجو ألا أكتب إلا رسالة نصر ». وفي صفحة أخرى:

« زغرد يا رصاص واخرس يا قلم ».

الفدائي والأرض

(١)

أجلس كي أكتبَ، ماذا أكتبُ؟
ما جدوى القول؟

يا أهلي، يا بلدي، يا شعبي
ما أحقر أن أجلس كي أكتب
في هذا اليوم

هل أحمي أهلي بالكلمه؟
هل أُنقذ بلدي بالكلمه؟

كل الكلمات اليوم
ملحٌ لا يورق أو يزهرْ
في هذا الليل...

(٢)

في بهرة الذُّهول والضياع
أضاء قنديل إلهيٌّ حنايا قلبِهِ
وشعَّ في العينين وهجُ جمرتيْنْ
وأطبق المفكّرهْ
وهبَّ، مازن، الفتى الشُّجاعْ
يحمل عبءَ حبِّهِ
وكلِّ همٍّ أرضهِ وشعبِهِ
وكلِّ أشتاتِ المنى المبعثره!!

● ● ●

ـ : ماضٍ أنا أمّاه
ماضٍ مع الرفاق
لموعدي
راضٍ عن المصير
أحمله كصخرةٍ مشدودةٍ بعنقي
فمنٍ هنا منطلقي
وكلُّ ما لديَّ، كلُّ النبض
والحبِّ والإيثار والعباده
أبذله لأجلها، للأرض
مهراً، فما أعزُّ منك يا
أماه إلَّا الأرضْ
ـ : يا ولدي!

يا كبدي!
ـ : أماه موكب الفرح
لم يأت بعدْ
لكنّه لا بدَّ أن يجيءْ
يحدو خطاه المجدْ
ـ : يا ولدي!
يا . . . .
ـ : لا تحزني إذا سقطت قبل ـ
موعد الوصول
فدربنا طويلة شقيّه
ودون موعد الوصول ترتمي على المدى
سواحل الليل الجهنميه
نعبرها على مشاعل الدماءْ
لِكن يجيء بعدنا الفرح
لا بدَّ من مجيئه هذا الفرح
فيتساوى الأخذ والعطاء
ـ : يا ولدي
اذهبْ!
وحوّطته أمه بسورتيْ قرآنْ
اذهبْ!
وعوَّذْتَهُ باسم الله والفرقانْ
كان مازن الفتى الأمير سيد الفرسان
كان مجدها وكبرياءَها وكان
عطاءَها الكبير للأوطان

● ● ●

في خيمة الليلِ
وفي رحابة العراء
قامت تصلّي
ورفعتْ إلى السماء وجهها
وكانت السماءْ
تطفح بالنجوم والألغاز

. . . .

يا يومٍ أسلمته للحياه
عجينةً صغيرةً مطيّبه
بكل ما في أرضنا من طيب
يا يوم ألقمته ثديها الخصيب
وعانقت نشوتها
واكتشفتْ معنى وجودها
في درَّة الحليبْ

. . . .

(يا ولدي
يا كبدي
من أجل هذا اليوم
من أجله ولدتُكْ
من أجله أرضعتُكْ
من أجله منحتُكْ
دمي وكلَّ النبضْ
وكلَّ ما يمكن أن تمنحه أمومه
يا ولدي، يا غرسةً كريمه

اقتُلَعَتْ من أرضها الكريمه
اذهب، فما أعزّ منك يا
بنيٍّ الّاً الأرض

●●●

(٣)

« طوباس » وراء الربوات
آذان تتوتّرُ في الظلمات
وعيون هاجر منها النومْ
الريح وراء حدود الصّمتْ
تندلعُ، تدمدم في الربواتْ
تلهث خلف النَّفَس الضائعِ
تركض في دائرة الموتِ!

. . . .

يا ألف هلا بالموت!
واحترق النجم الهاوي ومرقْ
عبر الربوات
برقاً مشتعل الصوت
زارعاً الإشعاع الحيّ على ـ
الربوات
في أرضٍ لن يقهرها الموت!
أبداً لن يقهرها الموتْ.

لن ابكي

« إلى شعراء المقاومة في الأرض المحتلة منذ عشرين عاماً. .
هدية لقاء في حيفا » ١٩٦٨/٣/٤

على أبواب يافا يا أحبائي
وفي فوضى حطام الدور.
بين الردمِ والشوكِ
وقفتُ وقلتُ للعينين: يا عينين
قفا نبكِ
على أطلالِ من رحلوا وفاتوها
تنادي من بناها الدار
وتنعي من بناها الدار
وأنَّ القلبُ منسحقاً
وقال القلب: ما فعلتْ؟
بكِ الأيام يا دارُ؟
وأين القاطنون هنا

وهل جاءتك بعد النأي، هل
جاءتك أخبارُ؟
هنا كانوا
هنا حلموا
هنا رسموا
مشاريع الغدِ الآتي
فأين الحلم والآتي وأين همو
وأين همو؟
ولم ينطق حطام الدار
ولمن ينطق هناك سوى غيابهمو
وصمتِ الصَّمتِ، والهجران

●●●

وكان هناك جمعُ البوم والأشباح
غريب الوجه واليد واللسان وكان
يحوّم في حواشيها
يمدُّ أصوله فيها
وكان الآمر الناهي
وكان.. وكان..
وغصَّ القلب بالأحزان

●●●

أحبائي
مسحتُ عن الجفون ضبابة الدمعِ -
الرماديهْ

لألقاكم وفي عينيَّ نور الحب والإيمان
بكم، بالأرض، بالإنسان
فواخجلي لو اني جئت القاكم ـ
وجفني راعشٌ مبلول
وقلبي يائسٌ مخذول
وها أنا يا أحبائي هنا معكم
لأقبس منكمو جمره
لآخذ يا مصابيح الدجى من ـ

زيتكم قطره

لمصباحي ؛
وها أنا يـا أحبائي
إلى يدكم أمد يدي
وعند رؤوسكم ألقي هنا رأسي
وأرفع جبهتي معكم إلى الشمسِ
وها أنتم كصخر جبالنا قوَّه
كزهر بلادنا الحلوة
فكيف الجرح يسحقني؟
وكيف اليأس يسحقني؟
وكيف أمامكم أبكي؟
يميناً، بعد هذا اليوم لن أبكي!

* * *

أحبائي حصان الشعب جاوزَ ـ

كبوة الأمسِ

وهبَّ الشهـمُ منتفضاً وراء النهرْ

أصيخوا، ها حصان الشعبِ ـ
يصهلُ واثق النّهمه
ويفلت من حصار النحس والعتمه
ويعدو نحو مرفئه على الشمسِ
وتلك مواكب الفرسان ملتمّه
تباركه وتفديه
ومن ذوبِ العقيق ومنْ
دمِ المرجان تسقيهِ
ومن أشلائها علفاً
وفيرِ الفيض تعطيهِ
وتهتف بالحصان الحرّ: عدواً يا ـ

حصان الشعبْ

فأنت الرمز والبيرق
ونحن وراءك الفيلق
ولن يرتدَّ فينا المدُّ والغليان ـ

والغضبُ

ولن ينداح في الميدان
فوق جباهنا التعبُ
ولن نرتاح، لن نرتاح
حتى نـطرد الأشباح
والغربان والظلمه

●●●

أحبائي مصابيحَ الدجى، يا اخوتي

في الجرحْ...

ويا سرًّ الخميرة يا بذار القمحْ
يموت هنا ليعطينا
ويعطينا
ويعطينا
على طُرُقاتكم أمضي
وها أنا بين اعينكم
الملمها وامسحها دموع الامس
وأزرع مثلكم قدميَّ في وطني
وفي أرضي
وأزرع مثلكم عينيَّ
في درب السّنى والشمسْ

من الشاعر محمود درويش
يوميات جرح فلسطيني

« رباعيات مهداة الى فدوى طوقان »

« محمود درويش »

(١)

نحن في حل من التذكار فالكرمل فينا
وعلى أهدابنا عشب الجليل
لا تقولي : ليتنا نركض كالنهر اليها
لا تقولي
نحن في لحم بلادي، وهي فينا

(٢)

لم نكن قبل حزيران كأفراخ الحمام

ولذا لم يتفتّتْ حبنا بين السلاسل
نحن يا أختاه من عشرين عام
نحن لا نكتب أشعاراً ولكنّا نقاتل!

(٣)

ذلك الظل الذي يسقط في عينيك
شيطانٌ إله
جاء من شهر حزيران لكي يعصب ـ
بالشمس الجباه
انه لون شهيدٍ
انه طعم صلاةً
انه يقتل أو يحيي، وفي الحالين: آه!

(٤)

أول الليل على عينيك كان
في فؤادي قطرة من آخر الليل الطويل
والذي يجمعنا الساعة في هذا المكان
شارع العودة.. من عصر الذبول!

(٥)

صوتك الليلة سكينٌ وجرحٌ وضمادُ
ونعاسٌ جاء من صمت الضحايا
أين أهلي؟ خرجوا من خيمة المنفى وعادوا

مرةً أخرى سبايا

(٦)

كلمات الحب لم تصدأ ولكن الحبيب
واقع في الأسر - يا حبي الذي حمّلني
شرفات خلعتها الريح . . أعتاب بيوت وذنوب
لم يسع قلبي سوى عينيك في يوم من الأيام
والآن اغتنى بالوطن! . .

(٧)

وعرفنا ما الذي يجعل صوت القبّره
خنجراً يلمع في وجه الغزاه
وعرفنا ما الذي يجعل صمت المقبره
مهرجانًا وبساتين حياه!

(٨)

عندما كنتِ تغنّين رأيت الشرفات
تهجر الجدران والساحة ترتدّ الى
خصر الجبل
لم نكن نسمع موسيقى ولا نبصر لون الكلمات
كان في الغرفة مليون بطل!

(٩)

في دمي من وجهه صيفٌ ونبضٌ مستعار
عدت خجلان الى البيت، فقد خرّ على -
جرحي شهيدا

كان مأوى ليلة الميلاد كان الانتظار
وأنا أقطف من ذكراه عيدا

(١٠)

الندى والنار عيناه، اذا ازددت ـ

اقتراباً منه.. غنّى

وتبخّرت على ساعده لحظة صمت وصلاه
آه سمّيه كما شئتِ شهيدا
إنّه أجمل منّا
غادر الكوخ فتىً ثم أتى حين أتى
وجه إله!

(١١)

هذه الأرض التي تمتصّ جلد الشهداء
تعدُ الصيفَ بقمحٍ وكواكب
فاعبديها نحن في أحشائها ملحٌ وماء
وعلى أحضانها جرحٌ.. يحارب

(١٢)

دمعتي في الحلقِ يا أختُ، وفي عينيّ ـ

نار

وتحررتُ من الشكوى على باب الخليفه
كل من ماتوا، ومن سوف يموتون على ـ

باب النهار

عانقوني، صنعوا منّي قذيفه!

(١٣)

منزل الأحباب مهجور، ويافا
تُرجمتْ حتى النُخاع
والتي تبحث عني لم تجد مني سوى جبهتها!
اتركي لي كل هذا الموت يا اخت، اتركي -
هذا الضياع
فأنا اضفره نجماً على نكبتها؟!

(١٤)

آه يا جرحي المكابر
وطني ليس حقيبه
وأنا لست مسافر
انني العاشق والأرض حبيبه!

(١٥)

واذا استرسلت في الذكرى نما
في جبهتي عشب الندم
وتحسّرتُ على شيء بعيد
واذا استسلمت للشوق
تبنّيتُ أساطير العبيد
وأنا آثرتُ أن أجعلَ من صوتي حصاةً
ومن الصخر نغم!

(١٦)

جبهتي لا تحمل الظلَّ وظلّي لا أراه
وأنا أبصق في الجرح الذي لا
يشعل الليل جباه
خبئي الدمعةَ للعيد فلن نبكي ـ

سوى من فرحٍ
ولنسمِّ الموت في الساحة عرساً . .

وحياه!

(١٧)

وترعرعت على الجرح وما قلت لأمي
ما الذي يجعلها في الليل خيمه
أنا ما ضيعتُ ينبوعي وعنواني واسمي
ولذا أبصرت في أسمالها مليون نجمه!

(١٨)

رايتي سوداء، والميناء تابوت، وظهري

قنطره

يا خريفَ العمرِ المنهار فينا
يا ربيع العالم المولود فينا
زهرتي حمراء والميناء مفتوح، وقلبي

شجره

(١٩)

لغتي صوت خرير الماء في نهر الزوابع
ومرايا الشمس والحنطة في ساحةِ حرب
ربما أخطأت في التعبير احياناً
ولكن كنت ـ لا أخجل ـ رائع
عندما استبدلت بالقاموس قلبي !

(٢٠)

كان لا بد من الأعداء كي نعرف أنّا
توأمان
كان لا بد من الريح لكي نسكن
جذع السنديان
ولو أن السيد المصلوب لم يكبر على
عرش الصليب
ظلَّ طفلاً ضائع الجرح . . جبان

(٢١)

لكِ عندي كلمه
لم أقلها بعد ، فالظل على الشرفة يحتلْ
القمر
وبلادي ملحمه
كنت فيها عازفاً ، صرتُ وتر !

(٢٢)

عالِمُ الآثار مشغول بتحليل الحجاره
إنه يبحث عن عينيه في ردم الأساطير
لكي يثبت أني
عابر في الدرب لا عينان لي لا حرف في
سفر الحضاره!
وأنا أزرع أشجاري على مهلي وعن
حبّي أغني

(٢٣)

غيمة الصيف التي يحملها ظهر الهزيمه
علّقت نسلَ السلاطين على حبل السراب
وأنا المقتولُ والمولودُ في ليل الجريمه
ها أنا ازددت التصاقاً بالتراب

(٢٤)

آن لي أن أبدل اللفظة بالفعل وآن
ليَ أن أثبت حبي للثرى والقبره
فالعصا تفترس القيثار في هذا
الزمان
وأنا أصغر في المرآة، مُذ لاحت
لعيني شجره!

من صور الاحتلال الصهيوني
اهات امام شباك التصاريح

عند جسر اللنبي

وقفتي بالجسر أستجدي العبورْ
آه، أستجدي العبورْ
اختناقي، نَفَسي المقطوعُ محمولٌ على
وهج الظهيره

سبعُ ساعاتِ انتظارْ
ما الذي قصَّ جناح الوقت،
من كسّح أقدام الظهيره؟
يجلد القيظ جبيني
عرقي يسقط ملْحاً في جفوني
آه، آلاف العيون
علّقتها اللّهفة الحرَّى مرايا ألمٍ

فوق شباك التصاريح، عناوين
انتظارٍ واصطبار
آه نستجدي العبور
ويدوّي صوت جنديٍّ هجينِ
لطمةً تهوي على وجه الزحام:
(عرب، فوضى، كلاب
ارجعوا، لا تقربوا الحاجز، عودوا يا كلاب)
ويد تصفق شباك التصاريح -
تسدّ الدرب في وجه الزحام
آه، إنسانيتي تنزف، قلبي
يقطر المرَّ، دمي سمٌّ ونار
(عرب، فوضى، كلاب..)!
آه، وامعتصماه!
آه يا ثار العشيره
كل ما املكه اليوم انتظار..
ما الذي قصَّ جناح الوقت،
من كسّح اقدام الظهيره؟
يجلد القيظ جبيني
عرقي يسقط ملحاً في جفوني
آه جرحي!
مرَّغ الجلّاد جرحي في الرغام

●●●

ليت للبرّاق عيناً..

آه يا ذلَّ الإسار!
حنظلاً صرت، مذاقي قاتلٌ
حقدي رهيب، موغلٌ حتى القرار
صخرةٌ قلبي وكبريتٌ وفوَّارةُ نار
ألف « هند » تحت جلدي
جوع حقدي
فاغرٌ فاه، سوى أكبادهم لا
يُشبعُ الجوعَ الذي استوطن جلدي
آه يا حقدي الرهيبَ المستثار
قتلوا الحب بأعماقي، احالوا
في عروقي الدَّم غسليناً وقار!!

الى الوجه الذي ضاع في التيه

إلى . . . J

- ١ -

آه، لا تملأ بطاقاتك لي
بشذى الذكرى وباقات الهوى
بين قلبي ورفاه الحبِّ صحراءُ -
حبالُ القيظ فيها تلتوي -
تلتف من حولي أفاعي
تخنق الزهر تفحُّ السمَّ فيه
واللّظى
لا تقل لي اذكريني
لا تقل لي
عتّمتْ ذاكرة الحبّ وغامت

صور الأحلام، والحبُّ شبحُ
ضائع يقصيه ليل التيه عن ـ
عيني وقلبي.
نحرَ الليل القمر
يا رفيقي نحرَ الليل القمر
انت لو حدَّقت في مرآة قلبي
لم تجد فيها مقر
لسوى الوجه الذي هشّمه الليلُ ـ
يغطِّي كلَّ قلبي
وجهها الحلو المشوَّه
آه ما أغلاهُ حلواً ومشوَّه
يا عذاباً يتنامى
يتنامى كل يومٍ
يا جراحاً تتأوَّه!

- ٢ -

كيف دارت هذه الدنيا بنا؟
كيف كنّا؟
حبّنا كان وليداً. هل نما
وسط الهول وفي قلب الخطر؟
وطني كانت تغطيه مياه الليل، كان
قلبه الصامت في ليل الهزيمه
ذاهلاً أسيان؛ كان الدم في ـ
الجدران باقات ورود

كنت أهذي :
افتحي صدرك يا أرض الجدودِ
افتحي صدر الأمومه
واحضنيها فالقرابين غوالي
القرابين غوالي

كان وحش الغاب يحسو الخمر في
حان الجريمه
ورياحُ الشؤم تعوي
في الجهات الأربعَ
يومها كان معي
يومها ما كنت في الهول أعي
(ام تُرى كنت أعي؟) أنَّ الغدا
سوف يقصيه وأنّا
بعده لن نتلاقى أبداً
ولقد نبسم أحياناً لكيما
نخدع الحزن فلا نبكي، وأهذي:
« آه يا حبي الغريب
آه يا حبي لماذا؟
وطني أصبح بابًا لسقر؟
ولماذا شجر التفاح صار اليومَ ـ زقوماً ، لماذا
لم يعد ضوْءُ القمر
مستحماً لبساتين الزهر ؟

كان قومي يزرعون الأرضَ يحيونَ ـ
يحبُّون الحياه
يأكلون الخبز والزيت بحبٍّ وفرحْ
كانت الأثمار والأزهار في كل الفصول
تفرش الأرض بأقواس قزح
أتُرى ترجع . . تعطي من هداياها الفصول
لبلادي ولقومي؟
أترى ترجع تعطي؟ »
كنت أهذي، أتهاوى كذبيحه
وأرى الهوَّة تدعوني ولكنَّ التصاقي ـ
بذراعه
كان يحميني، فأرتدُّ لأحيا
ولأقوى

. . . .

الأَسى يهطل، ليل القدس صمتٌ
وقتام
حظروا التجوال، لا تَطرق في
قلب المدينه
غير دقّاتِ النّعال الدمويُّه
تحتها تنكمش القدس كعذراء سبيّه
وعلى السأحةَ طائر
خرق السهم جبينه
وعلى الأرض دخانٌ وحطام

شرفة المبنى، وطيفان يطلّان على ـ
ليل المدينه
كان في الركن حقيبه
وثياب وادّكاراتٌ من الأرض الحبيبه
كانت الزرقةُ في عينيه تمتدّ ـ
بحيراتٍ حزينه
والأسى يطفح من شطآنها ملحاً
وماء
كانت القدس هواه، حبّه الصّوفيّ كانت
ويقينه
وأنا أهذي وأهذي:
« آه يا حبي لماذا
هجر الله بلادي؟ ولماذا
حبس النور، تخلّى عن بلادي
لبحار الظلمات؟!»
وأرى العالم تنّيناً خرافيّاً
على باب بلادي
وأنادي: يا حبيبي
من يفك اللّغز من يكشفُ
سرَّ الكلمات؟»

- ٣ -

آه: عشرون قمر

مرَّ عشرون قمر
وحياتي تستمر
وغيابك
كحياتي يستمرُّ
ومعي ذاكرةٌ واحدةٌ: وجه بلادي
وجهها الحلو يغطِّي كل قلبي

. . . .

وحياتي تستمرُّ
وتلفُّ الريح أيامي على الدرب العصيّ
مع شعبي، ويلاقينا على حافاتِهِ ـ
صخرٌ وأشواكٌ وصَلْبُ
وحياتي مع شعبي تستمرُّ
ووراء النهر غابات الرماحِ السمرِ ـ
تهتز وتربو
وهدير العاصفه
يكشف اللغز ويعطي العالمَ التنّينَ ـ
سرَّ الكلمات
وهبوبٌ ودويْ
ولهيبٌ وشرر
يلفح السّارين في الدرب العصيْ
والأضاحي زُمرٌ إثر زُمرْ
في عناقٍ واحدٍ تهوي وموت أخويْ
ويظل الليل ـ ما طال ـ يلد
أنجماً تقفو خطاها في الدروبِ ـ

السود أنجم
ويلادي كوز رمّانٍ يفور الدمُ -
فيه ويغمغم
وحياتي تستمرُّ
وحياتي تستمرْ.

حمزه

(١)

كان حمزه
واحداً من بلدتي كالآخرين
طيّباً يأكل خبزه
بيد الكدح كقومي البسطاء الطيبين

●●●

قال لي حين التقينا ذات يوم
وأنا اخبط في تيه الهزيمه:
اصمدي، لا تضعفي ياابنة عمي
هذه الأرض التي تحصدها ـ
نار الجريمه

والتي تنكمش اليوم بحزنٍ وسكوت
هذه الأرض سيبقى
قلبهاالمغدور حياً لا يموت

● ● ●

هذه الأرض امرأة
في الأخاديد وفي الأرحام ـ
سر الخصبِ واحد
قوَّةُ السرِّ التي تُنبتُ نخلاً ـ
وسنابل
تُنبتُ الشعب المقاتل

● ● ●

دارت الأيام لم التق فيها ـ
بابن عمّي
غير أنّي كنتُ أدري
أنَّ بطن الأرض تعلو وتميد
بمخاضٍ وبميلادٍ جـديد

(٢)

كانت الخمسة والستُّون عام

صخرةً صمّاءَ تستوطن ظهره
حين ألقى حاكمُ البلدة أمره:
« انسفوا الدار وشدّوا
إبنه في غرفة التعذيب!» ألقى
حاكم البلدة أمره
ثم قام
يتغنّى بمعاني الحبِّ والأمنِ ـ
وإحلال السلام!

● ● ●

طوّق الجندُ حواشي الدار ـ
والأفعى تلوَّتْ
وأتمّت ببراعه
اكتمال الدائره
وتعالت طرقاتٌ آمره:
« اتركوا الدار »! وجادوا بعطاء
ساعةٍ أو بعض ساعه

● ● ●

فتّح الشرفات حمزه
تحت عين الجند للشمس وكبّر
ثم نادى:
« يا فلسطين اطمئني

أنا والدار وأولادي قرابين خلاصك
نحن من أجلك نحيا ونموت »
وسرت في عصب البلدة هزَّه
حينما ردَّ الصدى صرخة حمزه
وطوى الدارَ خشوعُ وسكوت

●●●

ساعةً، وارتفعت ثم هوت
غرفُ الدار الشهيده
وانحنى فيها ركام الحجرات
يحضنُ الاحلام والدفء الذي كان ـ
ويطوي
في ثناياه حصاد العمر، ذكرى
سنوات
عمرت بالكدح، بالأصرار؛ بالدمعِ ـ
بضحكات سعيده

أمس أبصرتُ ابنَ عمي في الطريق
يدفَعُ الخطو على الدرب بعزمٍ ويقين!
لم يزل حمزه مرفوعَ الجبين

خمس أغنيات للفدائيين

---

(١)

مخاض

الريحُ تنقلُ اللّقاح
وأرضنا تهزها في الليل -
رعشةُ المخاض
ويُقنع الجلاَّد نفسهُ
بقصة العجز، بقصة الحطامِ -
والأنقاض

●●●

يا غدنا .. الفتيَّ خبِّر الجلاَّد
كيف تكون رعشةُ الميلاد
خبِّره كيف يولد الأقاحْ
من ألم الأرض، وكيف يُبعث الصباح
من وردة الدّماء في الجراح

كيف تولد الاغنية:

(٢)

نأخذ اغنياتنا
من قلبك المعذب المصهور
وتحت غمرة القتام والديجور
نعجنها بالنور والبخور
والحبّ والنذور
ننفخ فيها قوَّة الإنسان ـ
والصخور
ثم نردّها لقلبك النقيِّ ـ
قلبك البلّور
يا شعبنا المكافحَ الصبور!

حين تنهمر الانباء السيئة

- ٣ -

الريح تجدل الدخان في الأغوار
وفي دروب الليل والإعصار
تنهمر الصخور والأحجار
سوداءَ بالرماد
سوداءَ بالدخان
فلتنهمر كما تشاء هذه الصخور
ولتنهمر كما تشاء هذه الأحجار
فالنهر ماضٍ ، راكضٌ الى مصبّهِ
وخلف منحنى الدروب، في -
رحابة المدى
ينتظر النهار
من أجلنا ينتظر النهار

عاشق موته

- ٤ -

تخطفني الرؤيا مع ابتسامة الصباح
أراه طائري يطير
يهجرني قبل الأوان
يفلت من يديَّ في -
دوّامة الرياح
يدافع الرياح ثم يهوي
من مشارف الكفاح

● ● ●

وتفتح الصخور ساعديها
جدوليْ حرير
تلقف طائري الذي يطير
يهجرني قبل الأوان

وتستردُّ إبنها الأوطانُ، تستردُّهُ
لقلبها الحيِّ العتيق

●●●

يا شجر المرجان عرَّشتْ غصونه
على جوانب الطريق
أعشق موتي في مواسم الفداءِ والعطاء
أعشق موتي تحت ظلّك المضرَّج الغريق

كفاني أظل بحضنها

- ٥ -

كفاني أموت على أرضها
وأُدفنَ فيها
وتحت ثراها أذوب وأفنى
وأبعثُ عشباً على أرضها
وأبعثُ زهره
تعبثُ بها كف طفلٍ نمتْهُ بلادي
كفاني أظل بحضن بلادي
تراباً
وعشباً
وزهره

حرية شعب

نشيـــد :

حريتي!
حريتي!
حريتي!

صوتٌ أردده بملء فم الغضبِ
تحت الرصاص وفي اللهبِ
وأظلُّ رغم القيد أعدو خلفها
وأظلُّ رغم الليل أقفو خطوها
وأظلُّ محمولاً على مدّ الغضب
وأنا أناضل داعياً حريتي!
حريتي!
حريتي!

ويردد النهر المقدس والجسور

حريتي!

والضفتان تردّدان: حريتي!
ومعابر الريح الغضوب
والرعد والإعصار والأمطار في وطني
تردّدها معي:
حريتي! حريتي! حريتي!

●●●

سأظل أحفر اسمها وأنا أناضل
في الأرض في الجدران في الأبواب في شُرَف المنازل
في هيكل العذراء في المحراب في طرق المزارع
في كل مرتفعٍ ومنحدر ومنعطف وشارع
في السجن في زنزانة التعذيب في عود المشانق
رغم السلاسل رغم نسف الدور رغم لظى الحرائق
سأظل أحفر اسمها حتى أراه
يمتد في وطني ويكبر
ويظل يكبر
ويظل يكبر
حتى يغطي كل شبر في ثراه
حتى أرى الحرية الحمراء تفتح كل باب
والليل يهرب والضياء يَدكُّ أعمدة الضباب
حريتي!
حريتي!
ويردد النهر المقدس والجسور:

حريتي!
والضفتان ترددان: حريتي!
ومعابر الريح الغضوب
والرعد والإعصار والأمطار في وطني
تُرددها معي:
حريتي حريتي حريتي

حكاية لأطفالنا

« عن السادس من اكتوبر »

مهداة الى « فارس »

وجهٌ على الرمال
وعنقٌ تحزُّ فيه عقدةُ الحبال
هامته مشروخةٌ ودمُه مداد
تشربه حروف مرثاة رهيبة السواد
ظلّتْ على شفاه أمه تسيل
ظلت تسيل
ظلت تسيل
ستة اعوامٍ طِوَال

●●●

وجاء عام الفيل
ممتطياً مسافه
تقطعها الفصول بين الموت والحياه
تفجّر الصوت العظيم بالرعود والبروق
حاملاً النبوءة
مجتثاً الخرافه
وانطلق المجندل المسحوق، نظرةٌ على الطريق
ونظرةٌ على السماء الرحبة المضيئة
وغطَّ في القناه
مغتسلاً متمماً وُضوءَه
وقامت الصلاه!
وقامت الصلاة !

اكتوبر ١٩٧٣

ذهب الذين نحبهم

الى ارواح شهدائنا الاحرار في الغارة الاسرائيلية الغادرة في بيروت.. كمال ناصر، محمد يوسف النجار وكمال عدوان.

نسراً فنسراً غالهم وحشُ الظلام
سرق السموَّ من الأعالي.. آه يا وطني
عليك من الدم الغالي سلام
من اجلك انفرطت عقود دمائهم
حبّاتِ مرجانٍ، كنوزَ لآلىءٍ،
ذهب الذين نُحبهم..
لا صوت للأحزان، انظر،
اورقت صمتاً على شفتيَّ احزاني
وأطبقت الحروف شفاهها
تتساقط الكلمات صرعى مثلهم
جثثاً مشوَّهةً، تُرى ماذا اقول لهم

ومن عيني ومن قلبي تسيلُ دماؤهم؟
ذهب الذين نُحبُهُم
رحلوا وما ألقتْ مراسيها مراكبهم ولا
مسحتْ حدود المرفأ النائي عيون الراحلين
أوّاه يا وطني الحزين
كم ذا شربتَ وكم شربنا
في مهرجانات الأسى والموت كاسات العصير المرّ
لا انتَ ارتويتَ ولا ارتوينا
إنا سنبقى ظامئين
عند الينابيع الحزينة سوف نبقى
ظامئين
حتى قيامتهم مع ا لفجر الذي حضنوه رؤيا لا تموت ولا يذوب لها
حنين

جريمة قتل في يوم ليس كالايام

(الى روح الطالبة الشهيدة منتهى حوراني)

ويوم امتطى صهوةَ العالم الصعب يحمل غصناً بيدْ
ويحمل سيفاً بيدْ
ويوم الحبيبة في الأسر هبّتْ عليها الرياح
محملةً باللقاح
جرت منتهى
تُعلّقَ اقمار افراحها في السماء الكبيره
وتعلن انّ المطاف القديم انتهى
وتعلن انًّ المطاف الجديد ابتدا

(بغرفتها امها المتعبه
تلملم اوراقها المدرسيه :

حذار العدى يا بنيه

فعين العدو تصيب)

وما كذب القلب، كان عدو الحياة يطاردها في المسيره

وينشب في عنقها مخلبه

●●●

تفتّحَ مريولها في الصباح

شقائق حمراً وباقات ورد

وعادت الى الكتب المدرسية كل سطور الكفاح التي حذفوها

وعادت الى الصفحات خريطة امس التي طمسوها

ورفرف مريولها رايةً في صفوف المدارس، رفرف وامتدَّ ـ

ظلّل في الضّفة المشرئبه

شوارعها المغضبة

واشجارها المثقلات، ورفرف مريولها في النوافذ ـ

فوق سطوح المنازل فوق رفوف الدكاكين ـ

ظلّل في الضفة المشرئبه

مساجدها والكنائس، ظلّلها قبةً تلو قبّه

●●●

وما قتلوا منتهى وما صلبوها

ولكنّها صعدت منتهى

تعلّق اقمار افراحها في السماء الكبيره

وتعلن انَّ المطاف القديم انتهى

وتعلن انَّ المطاف الجديد ابتدا

انشودة الصيرورة

- ١ -

(١٩٦٧)

منهم من كانوا اطفالاً
ما كبروا بعد
افراخ زغاليل صغيره ترقد في المهد
ما زالت بالعين المبهوره
ترنو وتحدق في الاشياء
في قمر يسطع، في شعله
في رش رذاذ تنعفه نافورة ماء
في قط يربص.. في عصفور ينفض اجنحةً مبتلّة
يتلفت، يجفل، يخطف ظله

ويطير الى ذروة نخله!

●●●

منهم من كانوا صبيه
تحترف الشيطنة وتلهو بالالعاب الناريه
تطلق في الريح الغريبه
سرب الطيارات الزرق الحمر الخضر القُزحيه
تتأبط كل شقاوتها في الارصفة وفي الساحات
تتشاكس تقفز تصفر تركض تحت عقود الدور الرطبه
تتراشق بالنكت العفويه
بقشور الفستق والضحكات
تتبارز بالاغصان الصلبه
تشهرها سيفاً او حربه
تتقمص شخصيات كفاح اسطوريه
عنترة العبد الباحث عن حريته في درب الموت
عز الدين القسّام الرابض في الاحراش الجبليه
عبد القادر في « القسطل »
يحيا ويمارس عشق الارض

●●●

منهم من كانوا مُضَغاً بعد
ترقد في الارحام اجنّه

●●●

وجه حزيران أربد
زخ المطر الاسود
وهناك على اطراف الافق هوت وتعلقت اللعنه
حين جراد القحط اندلق سيولا من خوذات الجند
الارض تميد تميد وتسقط يبلعها طوفان الحلكه
يعبر نهرالزمن عليها بالخطوات المرتبكه
يتعثر، يرجع او يتجمد
كان النهر وراء الافق حصاناً يعدو
تشتد على شطيه « الحركه »!

- ٣ -

(١٩٧٦)

كبروا في غاب الليل الموحش، في ظل الصبار المر
كبروا أكثر من سنوات العمر
كبروا التحموا في كلمة حب سريه
حملوا احرفها انجيلا، قرآنا يُتلى بالهمس!
كبروا مع شجر الحناء وحين التثموا بالكوفيه
صاروا زهرة عباد الشمس

●●●

كبروا اكثر من سنوات العمر
صاروا الشجر الضارب في الاعماق الصاعد نحو الضوء
- الواقف في الريح الهوجاء
صاروا الصوت الرافض صاروا
جدلية هدم وبناء

صاروا الغضب المشتعل على اطراف الافق المسدود
يكتسح صفوف مدارسهم
يجتاح شوارع وحواري
يتمركز في قلب « الدوار »
وعلى الدبابات الجهمة يطلق رشاش الاحجار!
ويخلخل بالرفض العاري مشنقة الفجر
يقتحم الليل وطوفانه
كبروا كبروا اكثر من سنوات العمر
صاروا العابد والمعبود
صاروا « سمحان » « عفانه »
صاروا « احمد » « لينا » « محمود »

* * *

حين تلقتهم في شغف احشاء الارض
كبروا. صاروا الاسطوره
كبروا كبروا صاروا الجسر
كبروا كبروا كبروا كبروا
صاروا اكبر من كل الشِعر!

على قمة الدنيا وحيدا

« أنا مذنب، ولكن من يجرؤ ان
يحكم عليَّ في عالم بلا قضاة »

« كاليغولا »

البير كامو

حين تتمّ دورة الفصول ترجعه مواسم الأمطار
يطلعه آذار
في عربات الزهر والنوار

« نبوءة العرّافة »

في المدينة الهرمة

(رحلة التداعي في هذه القصيدة تجري بين شارع اوكسفورد في لندن وسوق العطارين في نابلس. الرحلة تبدأ عند اشارة الضوء الأحمر وتنتهي عند اشارة الضوء الأخضر).

وتلقفني في المدينة هذي الشوارع
والأرصفة
مع الناس، يجرفني مدَّها البشريُّ،
اموج مع الموج فيها، على السطح أبقى
بغير تماس
ويكتسحُ المدُّ هذي الشوارع والأرصفة
وجوهٌ وجوهٌ وجوهٌ وجوهٌ، تموج ـ
على السطح، يقطن فيها اليباس، وتبقى
بغير تماس.
هنا الاقتراب بغير اقتراب

هنا اللّاحضور حضورٌ، ولا شيء الّا
حضور الغياب

ويحمرُّ ضوء الإشارة والمدُّ يرتدّ.
تعود الخفافيش للذاكره
ونصف مزنجرة تعبر السوق، أَفسح
فيه مكاناً لتعبر، إنيِّ تعلّمت
ألّا أعرقل خطَّ المرور...
وعن ظهر قلب حفظت دروس
نظامِ المرور...
هنا كان سوق النخاسة، باعوا هنا
والديَّ وأهلي[1]
فقد جاء وقتٌ سمعنا الذي منع
الرقَّ والبيع نادى على الحر: مَنْ
يشتري![2]

(١) « هنا كان سوق النخاسة، باعوا هنا والدي وأهلي » إشارة الى المساومة التي جرت في لندن بين الانكليز وزعماء الصهيونية على فلسطين، حيث ظفر هؤلاء الزعماء بوعد بلفور وحيث خلق الانتداب البريطاني في فلسطين كل الظروف المناسبة التي أدت فيها بعد الى قيام اسرائيل.

(٢) هذا المعنى مقتبس من قول شقيقي المرحوم ابراهيم طوقان في قصيدته (الثلاثاء الحمراء).

(وسمعت من منع الرقيق وبيعه   نادى على الأحرار: يا من يشتري)

وهذي أنا اليوم جزء من الصفقةِ
الرابحه
أمارس حمل الخطيئة؛ معصيتي أنني
غرسة اطلعتها جبال فلسطين. . مَنْ
مات أمس استراح؛
(اشك لعل بقاياهمو في
القبور تئنُّ وتلعنني حين أفسح في
السوق درباً لتعبر نصفُ مزنجرةٍ
ثم امضي بغير اكتراث)
رسالة عائشة تستريح على مكتبي[1]
ونابلس ذاهلة والحياة كليله

يبادلني خاتم السجن صمتاً فصيحاً (يقول
لها حارس السجن إنَّ الشجر
تساقط والغابة اليوم لا تشتعل
ولكنَّ عائشة ما تزال تصرُّ على القول
إن الشجر
كثيفٌ ومنتصبٌ كالقلاع، وتحلم
بالغابة التي تركتها توَّج بنيرانها
قبل خمس سنين
وتسمع في الحلم زمجرة الريح بين المعابر.

---

(١) « رسالة عائشة تستريح على مكتبي » هي عائشة أحمد عودة سجينة فلسطينية محكوم عليها بالسجن مدى الحياة. وكانت قد بعثت الي برسالة من السجن المركزي في نابلس تفيض بالثقة والقوة الروحية. وهي التي أهديت اليها مقطوعة (أغنية صغيرة لليأس).

تقول لسجّانها: لا أصدق، كيف
اصدّق من جاء من صُلْبهم؟
تظلُّون يا حارسي أنبياءَ الكذب[1]
وتقبع في ظلمة السجن تحلم
يظلّها الشجر المنتصب
وتُفرحها غابةٌ في البعيد تصلصل فيها سيوف اللهب
فيها سيوف اللهب
وتحلم عائشة ثم تحلم. . .)

* * *

ويخضرُّ ضوء الإشارة، يجرفني المدُّ،
تهرب ذاكرتي، والخفافيش تهوي الى
قاعِ بئر عميقه
يُغير ظلٍّ طريقَه
يتابع ظلّي، يوازيه، يمتد جسرٌ:
ـ لعلكِ مثلي غريبه؟
وتنفصل القطرتان عن المدِّ ثم تغيبان
بين زوايا حديقه
. . . .

---

(١) « تظلون يا حارسي أنبياء الكذب ».
جاء في التوراة: قال لي الرب يتنبأ الأنبياء باسمي. لم أرسلهم ولا أمرتهم ولا كلمتهم بالرؤى الكاذبة ومكر القلب يتنبأون.

أرميا ـ ١٤

ها أنا على الذين يتنبأون باحلام كاذبة.

أرميا ـ ٢٣

ـ تحبين أُوزبورن؟[1]
ـ ومن لا يحبّه؟
ـ عجائز انكلترا المحبطون وضباطها
الآفلون مع الشمس « غرب السويس »
ـ ترى من سيزرعها شجرة الغد
لهذا البلد؟
ـ شباب الهيبيز. .
ـ لاذعُ انت لاذع
ويجتازنا سيلهم وهو يجرف تربة لندن
ونسمع صوت انهياراتها
على وقع دقّات « بج بن »

ـ هنالك في العطفة الجانبية حانوت خمر
وفي النُّزْل ذوقٌ وتدفئة مركزيه. .
ـ سدىً ما تحاول
(وتعبر سيدة لندنيه
تبث وتشكو إلى كلبها وخْزَ
عرق النسا والتهاب المفاصل)

(١) « تحبين أوزبون » من أبرز كتاب المسرح المعاصر في انكلترا وهو صاحب الصرخة الغاضبة (لعنة الله عليك يا انكلترا). وفي مسرحيته الأخيرة (غرب السويس) يرسم أوزبورن صورة رمزية للامبراطورية التي انهارت وغربت عنها الشمس؛ والسويس هنا هي الحد الذي فصل انكلترا عن حضارة مضت، بينما هي الآن عاجزة عن اللحاق بحضارة آتية.

ـ سدى ما تحاول
ـ ألست ابنة العصر؟
ـ كبرتُ عن الطيش صيّرني الحزن
بنتَ مئات السنين،
سدىً ما تحاول.
وارفع عن كتفيَّ ذراعيه أفلتُ خارج
طوق التواصل.
ـ تحاصرني وحدتي
ـ كلنا في حصار التوحُّد
وحيدون نحن، نمارس لعبة هذي الحياةِ ـ
وحيدين، نحزن نألم نشقى وحيدين
نموت وحيدين؛
وحيداً تظل ولو حضنتك مئات النساء

. . . .

وتلقفنا في المدينة هذي الشوارع ـ
والأرصفة
مع الناس، يجرفنا مدُّها البشريُّ
نموج مع الموج فيها،
نظل على السطح فيها،
بغير تماس.

. . . .
. . . .

كوابيس الليل والنهار

« مهداة الى صديقتي روزماري شرورو »

- ١ -

في شارعنا يمشي الأموات
يتوارون بظلّ الحائط اشباحاً -
وهياكل جوفاً غير خفافٍ غير ثِقال
يا أختي غطّي موتانا
واخجلي اختي عاريةٌ
والجارة عاريةٌ والجار
وأنا لا يسترني ثوبٌ
لا يستر أهل الحي دثار

عاريةٌ حتى الأشجار
الدوّامات الوحشية
حصدت حتى ريش الأطيار
طرقات الجند على بابي
وتهرول اختي مذعورة:
الجند الجند!
غيبي اختبئي في أيّ مكان..
ويحي! وأدور على نفسي
أتسلق نافذتي الشرقيه
موصدة نافذتي الشرقيه..
أتسلّق نافذتي الغربيه
موصدة نافذتي الغربيه..
الجند الجند.. أظلّ أدورُ أدورُ أدور
عنترة العبسيُّ ينادي من خلف السور:
- يا عبل تزوجك الغرباء وإني العاشق!
- لا ترفع صوتك يا عنتر ويلي ويلي!
- أنا ابن العمّ وعرق العين:
(يا ويلي عنتر مختبىء في أجفاني)
- يسمعك الجند. يراك الجند.
- يا عبل دعيني أطعم من
زيتون العينين دعيني
لا تقصيني عن زيتونك لا تقصيني
- طرقات الجند على بابي ويلي ويلي!
- يا عبلة يا سيدة الحزن خذي زهرة قلبي

الحمراء
صونيها أيتها العذراء
ـ الجند على بابي ويلاه!
ـ حتى الله تخلّى عني حتى الله
ـ خبىءْ رأسك!
خبىء صوتك!
ـ وبنو عبسٍ طعنوا ظهري
في ليلة غدر ظلماء

Open the Door!
Ouvre la Porte

افتخْ إتْ هاديليت !
إفتخْ باب !

ـ وبكل لغات الأرض على بابي يتلاطم
صوت الجند
ـ يا عبلة اني . . .
ـ يا ويلي !

. . . .
. . . .

اصحو من أحلام الكبت
أحسو القهوة عليّ أُوقظ هذي

الرأس المخمورة
أوغل في أبعاد الصمت
أتعمّقُ احزاني المطموره
فاضلٍّ الدرب
يا رب لماذا يا رب ؟
ويردُّ الصمت

* * *

في صحف القدس اليومية أرمي عينيّ
أقرأ خبراً كالأخبار :

« بيت لحم - فوجىء المزارعون في خربة بيت سكاريا بمجموعة من الجرافات خرجت من مستعمرة كفار عصيون وشرعت في قلع المزروعات في أراضي تلك البلدة »

اقرأ شكوى مرفوعه
لوزير الحرب:

« ابراهيم عطاالله من بيت سكاريا شمال كفار عصيون - قضاء بيت لحم .
الموضوع : مصادرة أراض زراعية تخصني .

أحيطكم علماً بأن الأرض التي أملكها والتي تقع في بيت سكاريا، وهي مصدر رزقي ورزق ٢١ شخصاً أعيلهم من فلاحتها، قد تم الاستيلاء عليها ليلة أمس الأول حيث قامت الجرافات بازالة المحصول الذي عرقت من أجله طيلة عام كامل .

أناشدكم باسم أطفالي الـذين سيموتـون جوعـاً أن تتخذوا اللازم لإعادة الأرض التي لن أقبل عنها بديلاً او تعويضاً ».

ذات الأخبار. .
لا شيء جديد
لا شيء جديد في الأخبار
يغشاني الغثيان المرّ
يا دودةَ علقٍ في قلبي تغزو قلبي
وتظلُّ تمصُّ دماءَ القلب!
ما هذا ما هذا يا رب؟
ويردُّ الصمت.

●●●

افتح مذياعي وأطوّف في جنبات المعموره
الوحشُ الأسطوري الأعمى يأكل نفسه:
الموتُ يحوّم في بلفاست

رأسٌ كالزهرة ذهبيّه
قطفتها قنبلة زمنيّه.

الحزن اليوميّ يلقّح أرض فيتنام
فترعرع بسماد النابالم
في كل مكان طيرُ الموت

ينشب مخلبه المعقوف يغلغله
في اللحم الحيّ
قبلات الموت هدايا رعب
تُنثر عبر بريد العالم ـ
مَنْ رصف العالم بالرعب؟
من سقف العالم بالرعب؟
يا رب لماذا مات الحب؟

ينكسر الصمت
يعوي حيوانٌ في غابه
وتلعلع في طيات السحب الرعديه
ضحكاتُ الرب!

نبوءة العرافة

- ١ -

حين بلغت عامي العشرين
قالت لي العرَّافة الدهريه:
« تنبئني عنك الرياح في هبوبها »
« تقول
« تعويذة الشر المحيق ههنا »
« ببيتك المهلهل المشطور »
« معقودةً تظلُّ لا تزول »
« حتى يجيء الفارس المكرس المنذور »

« تنبئني الرياح في هبوبها »
« عن فارس يجيء »
« لا واهناً ولا بطيءْ »
« تقول لي يجيء من طريق »
« تشقها من أجله الرعود
والبروق »
ـ : هلاَّ سألتِ لي الرياح يا
عرَّافة الرياح
متى يجيء الفارس المنذور؟
ـ : « حين يصير الرفض »
« محرقةً وجلجله »
« تلفظه أحشاء هذي الأرض »
« من جسمها بضعه »
« لكنها الرياح في هبوبها »
« تقول حاذري »
« اخوتك السبعه »
« تقول حاذري »
« اخوتك السبعه »

●●●

تحت شقوق سقفي المصدوع
وقفت عند الشرفة المخلّعه
أحلم بالتكوين
أنتظر الآتي

اصغي لنبض البذرة الدفين
يخض رحم الأرض
يرضع قلب السنبلة
يا كيمياء الموت والحياه
متى يصير الرفض
محرقةً وجلجله؟!

....
....

- ٢ -

كانت خطاه حين جاء جرساً
يقرع في أقبية الظلام
والريح كانت حين جاء فرساً
تركض تحته وتنفض الحطام
أردفني وراءه وقال يا حبيبتي
حبك يحمي ظهريَ العريان
التصقي بي، لا تخافي الليل والذؤبان
فالحب لا يخاف

● ● ●

يوم امتطيناها ظهور الخيل
راحت أغانينا
تومض مثل الخنجر العريان

على ضفاف الليل

على ضفاف الليل
تسامقت أشجارنا وأطلعتْ
الزهر والأثمار والنجوم
وكلما نجمٌ هوى
في موسم الإعصار والسموم
انتفضت أشجارنا وأطلعتْ
سواه افواجاً من النجوم

يوم امتطيناها ظهور الخيل
تجوهرت جباهنا في الشمس
تعصبت بالعنفوان
صرنا الرؤى تلمُّها الأجفان
صرنا زهرَ
على شفاه السهلْ
والغور والنهرَ
واصبحت هدب الصغار
راياتنا
حين تفتحت عيونهم على
وميض أغنياتنا

(صوت داخلي) :

« لكنهاالرياح في هبوبها »
« تقول حاذري »
« اخوتك السبعه »
« تقول حاذري »
« اخوتك السبعه »
« تقول حاذري »
« اخوتك السبعه »

لو انّا نطامن من صوتنا
ونكبح هذا الهياج
ولو نتوارى ونمشي رويداً رويداً
وراء السياج
فلي اخوةٌ يا حبيبي غُيُر
لو انَّ القمر
يعود إلى كهفه في الجبال ويرخي السُّتُر
أخاف الضياء يشي يا حبيبي بنا
فإن كلاب الطراد على دربنا
تُجن اذا برقت في الظلام نصال القمر
ـ حبك يحمي ظهريَ العريان
التصقي بي، لا يكون الحب يا حبيبتي جبان

(صوت داخلي) :

« لكنها الرياح في هبوبها »
« تقول حاذري »
« اخوتك السبعه »
« تقول حاذري »
« اخوتك السبعه »
« تقول حاذري »
« اخوتك السبعه »

- ٣ -

قابيل الأحمر منتصبٌ في كل مكان
قابيل يدقُّ على الأبواب
على الشرفات
على الجدران
يتسلّق يقفز يزحف ثعباناً ويفحُّ
بألف لسان
قابيلُ يعربد في الساحات
يلفُّ يدور مع الإعصار، يسدُّ ـ
مسالك
ويشرّع ابواباً لمهالك
يحمل في كفّيه غَسولَ الدمِّ ـ
توابيت النيران
قابيلُ إلهُ مجنون يحرق روما

والموت كبيرٍ يتنامى
صفصافة بلُّلورٍ أحمر
يسقيها القابع في « المخفر »
فتمدُّ تمدُّ تمدُّ
تمدُّ وتنتشر الأغصان
وعلى الآفاق
على الطرقات
على العتبات
على الحيطان
أوراق اللّهب ترقّصها ريح الشيطان
الموتُ كبيرٌ يتنامى في كل مكان
الموت وقابيل الأحمر في كل مكان

. . . .

مددتُ نحوهم يديْ
ناديت في حزني وفي نحيبي
يا اخوتي لا تقتلوا حبيبي
لا تقطفوا العنق الفتيّ
سألتكم بالحب، بالقربى سألتكم وبالحنان،
يا اخوتي لا تقتلوه
لا تقتلوه
لا تقـ. . . .

- ٤ -

حين استراح الموت
وعرَّشتْ حولي غصون الصمت
حنوت فوقه أنوء بالأسى
أمسح صدره المهشم الضلوع
أمسحه بالحب والأحزان والدموع
لململتها اشلاءه المتبّله
بالدم والدخان والحصى
لململت ليل غابة الشعر
والشفة التي تمزَّقت كما الزهر
وماستيْ عينيه
(واهاً كانت العينان تثقبان
غابة الظلام، كانتا
مستودع الرؤيا وموطن
الحلم)
لململته شلواً فشلواً
باقةً من الزهر
أسلمتها الى الرياح
وقلت يا رياح
هذي شظاياه ابذريها
في السفوح والقنن
وفي السهول، في ثنايا الغور
في مسارب النهر

خذيه وانثريه عبر كل ساحة الوطن

ـ ٥ ـ

يشدني ايلول
الى شقوق بيتيَ المهلهل المشطور
ولم تزل عرّافة الرياح
تطرق بابي الحزين كلما تنفّس الصباح
تقول لي :
« حين تتم دورة الفصول »
« ترجعه مواسم الأمطار »
« يطلعه آذار »
« في عربات الزهر والنوّار »

مرثية الفارس

« الى جمال عبد الناصر »

- ١ -

ايلول

مهرجان الموت في الذروة، عمّانُ ـ
استحالت فيه تابوتاً وقبرا
والطواغيت سكارى منتشون
بالذي فاض به بحر الجنون
فشِباك الصيد ملأى
الف مذبوح وألفان وآلاف ـ
ألا هل من مزيد؟
هات يا بحر الجنون
شهوة الموت تلظّت هات والمائدةُ ـ

امتدت وخمر الدمٍ تحييهم وهذا اليوم ـ
عيد
هات من صيدك يا بحر بهذا اليوم عيدً
أيٌّ عيد!

ـ ٢ ـ

الفادي

في احتدام الدم والنار وطغيان الجنون
بسط الفادي نبيٌّ الحبٍّ كفّيه علينا
وافتدانا
آه ما أغلى الفداء!
واشترانا
آه ما أغلى الثمن!
وعلى وخز مسامير الألم
وعلى حزّ سكاكين العياء
أسند الرأس وأرخى
هدب جفنيه ونام
وبعينيه رؤى الحب وأحلام السلام

●●●

آه ما آن له أن يترجل
والتوَت فوق أساها الفرس الثكلى
وتاهت مقلتاها

في الخضمِّ الآدميِّ الهادر المسحوق ـ
من يفدي فتاها
من يفكُّ الفارس الغالي المكبل
من إسار الموت، من يرجعه ـ
العاشق المدنف للصهوة للساحة
من يرجعه؟
والتوَتْ فوق أساها الفرس الثكلى
وعرَّتْ حزنها آهاً فآها
من يفكّ الفارس الغالي المكبل
آه ما آن له أن يترجل

●●●

قالت الريح: سيأتي
موته الميلاد لا بدَّ سيأتي
في يديه الشمس، ذات الشمس، في
مقلتيه الوجد، ذات الوجد والعشق
المغنيِّ
من جراح الأرض يأتي
من سنين القحط يأتي
من رماد الموت يأتي
موته الميلاد لا بدَّ سيأتي!

على قمة الدنيا وحيدا

« في قصته (ما تبقى لكم) عبر غسان كنفاني عن احساس الفلسطيني بالوحدة والغربة في معركة المصير فقال: أورثني يقيني بوحدتي المطلقة مزيداً من رغبتي في الدفاع عن حياتي دفاعًا وحشياً » .

الى الشهيد وائل زعيتر

كانت رسالته وضع الحقيقة الفلسطينية امام عيون العالم المضلل واللامكترث.

- ١ -

« عنك هناك وعنا هنا . . »

حين جاء النبأ الريّان من دمِّك غطانا الخجل
حين قالوا: كانت الغربة والداء له زاداً وماء
نحن غطانا الخجل
حين قالوا: كان يعطينا على جوعٍ، تململنا
وغطانا الخجل
وبقينا في العراء
دون ستر أو غطاء
من يغطي عرينا من

يسبل الستر علينا يا بطل؟!

- ٢ -

حينما الليل الذي أغمض عين الشمس -
أمسى في خطر
حينما مستنقع الأكذوبة النكراء أمسى -
في خطر
حينما الوجه الذي
قنّعت تشويهه الأصباغ أمسى في
خطر
حينما الدنيا الهلوك
وقفت ضدَّك واستعصيت انت
وتأبّيت على العالم أنت
اقبلوا في معطف الليل وداروا
في الظلام
دورةً غدّارة واقتنصوك

●●●

وجهك الغائب يلقانا على صدر الجريده
وعلى نظرة عينيك البعيده
نحن نمضي ونسافر
ونلاقيك، نلاقيك على

قمة الدنيا وحيداً يا بعيداً، يا
قريباً، يا الذي نحويه فينا في الخلايا،
في مسام الجلد، في نبض الشرايين التي
وتّرها الحزن المكابر
يا بعيداً، يا قريباً، نم على الصدر الذي
يفتحه « عيبال » من اجلك أسند
رأسك الشامخة اليوم الى « القبة »
فالصخرة في القدس احتوتك الآن
حين الموت أعطاك الحياة
أنت يا
موقظ الدنيا التي
عفّنتْ لبّاً وقشراً
عطبت لحماً وعظماً، أنت يا
باعث الهزة في الدنيا الموات
أنت يا ملقى بلا اهلٍ بلا ارضٍ على
أرصفة الغربة ملقىً نازفاً تحضن
في الصدر بساتين الوطن
وسماوات الوطن
والسهول الحالمات
بالأخاديد وبالمحراث والأمطار، يا من
حزنه كان بأرض التيه والتشريد خبزاً
نبع ماءٍ، قمراً يسطع في ليل الشتات
أنت يا من قلت « لا » للموت والتيه
وللوجه الذي عشرين عاماً ظلَّ مسروق الهويّة

أنت يا شمس القضيه
نم هنا في الوطن الحاني فانت الآن فيه
يا بعيداً وقريباً
يا فلسطيني أنت!
أيها الرافض للموت هزمت ا لموت حين
اليوم متّ.

عن الحزن المعتق

(مهداة الى سميح القاسم)

. . . وعند اشتعال المساء بنيران -
شمسك قمتُ، تسلّقت جدران كهفي،
حاولت أقطف وهجاً فأمطر حزني.
وعند انهيار هباتك قلت لأرضي: تبارك
هذا الربيع تلقيْ هبات يديه، فأزهر
حزني.
وقام التعارض سدّاً كما الموت، حال
التعارض دون اندماج العناصر -
شمسك ظلّت قصيّه
وأرضي ظلّت عصيّه
وعند انهيارات جسر التواصل حاولت

حاولت حاولت لكن
ولم يبق مني على راحتيك سوى غيمةٍ
عابره
تجمّد فيها الشرار
وغاب حضوري، رحلت بعيداً وغصت
بعيداً، الى القاع غصت أنادم حزني
أعاقره في غيابه جبٍّ بغير قرار

●●●

ـ : لماذا؟
لماذا؟
لماذا؟
ـ : رجوتك لا تخترق قشرتي بالسؤال
لتلمس حزني
رجوتك حزني أعزّ وأقدس من أن يقال!

اليهم وراء القضبان

« الى بناتنا وابنائنا الذين التهمتهم السجون في اسرائيل وفي كل مكان ».

١ ـ الأغنية الوصية

وشرَّعتْ جهنمُ أبوابها
وابتلعت براعمَ الصِّبا الطريِّ في أقبائها
ولم تزل هنالك الغنوه
على شفاه الفتية الفرسان
حمراء مزهوّه
تخترق الظلام والجدران:
« يا اخوتي »
« بدمي أخط وصيّتي »
« أن تحفظوا لي ثورتي »
« بدمائكم »

« بجموع شعبي الزاحفة »
« فتح أنا »
« أنا جبهة »
« أنا عاصفه »

٢ ـ من مفكرة « رنده »

. . . في نصف هذا الليل. . آه!
حذاؤه يدقُّ في الدهليز. . آه!
مبتدع التعذيب آتٍ
آتٍ وتدنيني خطاه
من غرفة التحقيق. . آه!
آتٍ وتدنيني خطاه
من زمن الكابوس والجحيم والصراع

حذاؤه يدقُّ في الدهليز
دمي يدقُّ وعروقي والنخاع

توَّحشي ما شئت يا
شراسة الأوجاع
فلن ينزّ من دمي جواب

٣ ـ من مفكرة سجين مجهول مكان السجن

من الفجاج يطفح الظلام عابساً صموت
والليل ناصبٌ هنا شراعه الكبير
لا زَحْفُ ضوءِ النجمِ واجدٌ طريقهُ ولا
تسلُّل الشروق
ليلٌ بلا شقوق
يضيعُ فيه الصوتُ والصدى يموت

●●●

الوقت فـاقد هنا نعليه، واقفٌ
تختلط الأيام والفصول
تُراه موسم البذار؟
تُراه موسم الحصاد؟
تُـراه؟
من يقول؟
لا خبر
ويقف السجّان وجهه حجر
وعينه حجر
يسلب منا الشمس يسلب القمر

●●●

خلف حدود الليل
تظلُّ خيل الوقت في سباقها..
تركض نحو موطن الحلم..

....

....

خلف حدود الليل
الشمس في انتظارنا تظلُّ والقمر

٤ ـ من مفكرة « هبة »

يحوم هنا طيف أمي يحوم
تشعُّ بعينيَّ جبهة أمي كضوء النجوم
عساها تفكر بي الآن... تحلم

●●●

قبيل اعتقالي
رسمت حروفاً على دفتر
جديد عتيق..
رسمت عليه وروداً
روتها دماء العقيق
وكانت بجنبي أُمي

تبارك رسمي . .

أراها
على وجهها الآن صمتُ ووحده
وفي الدار صمتٌ ووحده
حقيبة كتبي هناك على رفّ مكتب
ومعطف مدرستي عالقُ فوق مشجب
أرى يدها الآن تمتدُّ، تنفض عنه الغبار
أتابع خطوات أمي
واسمع تفكير أمي
أتوق الى حضن أمي ووجه النهار

٥ ـ من مفكرة « تيسير »

يا هذه الجدران
الأخوة الأحباب والأهلون
ما يفعلون الآن؟!
لعلَّ قاطفي الزيتون يقطفون
لعلَّ زيتونَ الجبال
يئن بين فكيّ المعاصر
لعلَّ دمّه يسيل . .

يا حامل القنديل
الزيت وفرٌ، أطعمْ القنديل
وارفعه للسارين
ارفعه مثل الشمس
فالوعد لقيا في ربي « حطين »
والوعد لقيا في جبال « القدس »

بين الجزر والمد

حين الكلمات تصير على
ألسنة الكذب هلاميّه
أتداخل في ذاتي، أتقلّص
أنكمش وأضمر
أتجنب كلَّ هلاميات الدرب -
وكلٍّ لزوجته البشريه
أتراجع في ذعري أتحاشى
في الدرب مرواغة الزئبق
أتماسك حتى لا أزلق

وأثبت قدمي في أرضٍ صابونيَه
أقبض كفي لا أبسطها
وأعافُ ملامسة الأشياء، أعافُ البسماتِ
الشوهاءَ، وأكفر بالانسان الثعلب

●●●

لكني حين يعانقني
طفل ويلامس وجهي المتعب
الخدّ المخمل والكفّان الناعمتان
وأصابع زنبق
لم ينبت فيها مخلب
وتطُلُّ على قلبي عينان
كسماءٍ غسلتها في الفجر الرطب ـ
ملائكة الأنوار
يتمدد قلبي
يكبر قلبي
تهرب من قلبي المغلق
كل الأسوار
يتدفق فيه النهر القطبيُّ ـ
وتنمو فيه الأشجار
يرجع من منفاه الى
قلبي الواسع وجه الانسان

أمنية جارحة!

« ان تقبلوا نعانق »
« ونفرش النمارق »
« او تدبروا نفارق »
« فراق غير وامق »
هند بنت عتبة

ما زلنا في غرف التخدير
على سرر التخدير ننام
والعام يمر وراء العام
وراء العام وراء العام
والأرض تميد بنا والسقفُ
يهيل ركاماً فوق ركام
والكذب يغطينا من قمة هامتنا
حتى الأقدام . . .

يا إخوتنا قولوا حتام؟
أوّاهُ وآهٍ يا فيتنام
آهٍ لو مليون محارب
من أبطالك
قذفتهم ريحٌ شرقيه
فوق الصحراء العربيه
لفرشت نمارق
ووهبتمو مليون ولودٍ قحطانيه!

عفواً يا أهل البيت
جارحة هذي الأمنيّه
لكنّا لم يبق لدينا
منكم إلاَّ فعقعة الصوت
ضيعنا الأشياء الأصليه
ولقد أعيانا يا أحبابي
رشٌ السكّر فوق الموت

« ايتـان » في الشبكة الفولاذية

« ذات صباح سأل طفل من أطفال الروضة في كيبوتس معـوز حاييم: كم يـوماً يتـوجب علينا أن نحـافظ على الوطن؟ ».

تحت « الشجرة » وهي تفرّع تكبر، تكبر
في إيقاعات وحشيه
تحت « النجمة » وهي تشيّد بين يديه
جدران الحلم الدمويه
تحبك بخيوط الفولاذ الشبكه
تُسقطه فيها تسلبه الحركه
يفتح عينيه « ايتان » الطفل الانسان
يسأل في سجف العتمه
عن معنى الشبكة والجدران
والزمن المبتور السّاقين، المتسربِل
بالكاكي، بالموت القاسي، بالدخَّان

وبالأحزان

❊ ❊ ❊

لو تنبيء بالصدق النجمه
لو تنبيء بالصدق
لكن النجمة . . .
واأسفاه!

❊ ❊ ❊

يا طفلي أنت غريق الكذبه
والمرفأ يا « إيتان » غريقٌ مثلك في
بحر الكذبه
يُغرقه الحلم المتضخم . .
ذو الرأس التنينية
والألف ذراع . .
آه آه!
ليتك تبقي الطفل الإنسان
أخشى وأراع
أن تكبر في هذي الشبكه
في هذا الزمن المبتور السّاقين،
المتسربل بالكاكي، بالموت القاسي،
بالنيران وبالأحزان
أخشى يا طفلي أن يُقتل فيك الإنسان
أن تدركه السقطة أن
يهوي
يهوي
يهوي للقاع

اغنية صغيرة لليأس

« هدية الى السجينة عائشة أحمد عوده »
« رداً على رسالتها الموحية التي بعثت »
« بها الي من السجن المركزي في نابلس »

.. وحين يمد ويشتدّ، حين يبلغ أقصى مداه
ينفضني
يزرع النخل في الأرض
يحرث بستان روحي،
يسوق اليها الغمام
فيهطل فيها المطر
ويورق فيها الشجر
وأعلم أنَّ الحياة تظل صديقه
وأنَّ القمر
وإن ضلَّ عني، سيعرف نحوي طريقه

تموز
والشيء الآخر

تموز والشيء الآخر

على جسد الأرض راحت أنامله الخضر تنقل خطواتها
تقيم طقوس الحياة ، تجوس خلال التضاريس، تتلو صلاة المطر
وتستنبت الزرع ريان من شريان الحجر
تبدل كل القوانين ، تلغي أوان الفصول ـ

تغير في الأرض دوراتها

(اخبىء ما يثقل النفس، آه . . . يطاردني الظل يعتم وجه الحلم
اخبىء ما يثقل النفس، من أين يأتي العذاب؟ من أي كهف يجيء
الألم؟)

★ ★ ★

على جسدالأرض راحت تمر أنامله الغضة السندسية
طيوراً تحط هنا أو هناك ، فكل المساحات أوطانها
وراحت أنامله السندسية تلقي تمائمها فتذوب جبال الجليد

ومن آخر الأفق تطلع شمس الغروب بصبح جديد
ترد الدماء إلى جسد الأرض ، ترجع أعيادها
(اخبىء ما يثقل النفس، تعصف ريح الكوابيس . . . اسقط
بين الرؤى والحقيقة

يطاردني الظل، آه . . . يضرج قلبي السؤال الجريح ،
يسد عليه طريقه!)

★ ★ ★

وصارت خطوط يديه جداول
تذوّب في جسد الأرض عطرَ البساتين تسقي تراب الخمائل
وصارت خطوط يديه انبهار الفصول ، انبهار أساطير بابل
عشقناه تموز !
عشقناه تموز ينفض تلّاً الرماد ويمنح ليلالتنا
شمسه الذهبيه

(اخبىء ما يثقل النفس، شجرة حزني على ضفة الحلم تنمو وتكبر
يطاردنِي الظل ، آه . . . لماذا
لماذا يفتح في ظهر تموز جرح ويلمع خنجر ؟!)

دقت الساعة

(١)

دقت الساعة العظيمة في الساحة ـ

واستُنفِرتْ خيولُ الشهامه

كان لا بد أن تقوم القيامه

....

السنين العجاف طالت ، تآكلت ،

ووجهي ما عاد وجهي ، وصوتي

في السنين العجاف ما عاد صوتي

كان لا بد أن تقوم القيامه

قبل أن يسترد وجهي الحزيراني ـ ذاك

الكابي ـ خطوط الوسامه

اكتوبر ١٩٧٣

حكاية لأطفالنا

(٢)

وجهٌ على الرمال
وعنق تحزُّ فيه عقدة الحبال
هامته مشروخة ودمُّه مداد
تشربه حروف مرثاة رهيبة السواد
ظلت على شفاه أمه تسيل
ظلت تسيل
ظلت تسيل
ستة أعوام طوال

★ ★ ★

وجاء عام الفيل
ممتطياً مسافه
تقطعها الفصول بين الموت والحياه
تفجَّر الصوت العظيم بالرعود والبروق
حاملاً النبوءه
مجتثاً الخرافه

وانطلق المجندل المسحوق ، نظرة على الطريق
ونظرة على السماء الرحبة المضيئه
وغطَّ في (القناه)
مغتسلاً ، متمماً وضُوءه
وقامت، الصلاه !
وقامت الصلاة !

أكتوبر ١٩٧٣

النورس ونفي النفي

« مهداة إلى ارواح الشهداء
دلال المغربي ورفاقها »

عبر الأفق وشق الديجور
ممتلكاً ناصية الزرقة منطلقاً بجناح النور
لفَّ ودار وظل يدور
دقَّ على شباكي المظلم فارتعش الصمت المبهور :
خيراً يا طير ؟!
وفشى بالسر ولم ينبس
وتوارى النورس



يا طيري ، يا طير البحر الآن عرفتْ
في الزمن الصعب الواقف في أقبية الصمتْ
تتحرك كل الأشياء

تنمو البذرة في قلب الموت
ينفجر الصبح من الظلماء
الآن عرفت
وأنا أسمع ركض الخيل ، سباق الموت على الشطآن
كيف إذا جاء الطوفان
تغتسل الأرض من الأحزان



يا طير البحر الطالع من قاع الديجور
بشرك الله بكل الخير
الآن عرفت
شيء حدث . . . انفتح الأفق وحيا الدار صباح النور

مطاردة

« مهداة إلى الشاعر علي الخليلي »

لأنك عارية القلب والوجه عار بدون قناع
لأنك لا أنت حوت ولا أنت ثور صراع
لأن حروفك عمدهاالصدق فاغتسلت من ركام الوحول
لأنك أنت ، لأنك أنت الحزينه
تظلين عزلاء في غابهم
مطاردة في ملاعب صيدهمو تخبطين ملجلجة في منافي الذهول
تولول فيك البراءة ، ترجف مبخوعة تحت أنيابهم
وتظمأ فيك الحقيقة ، تظمأ حتى جفاف العروق
وتصرخ من قاع معبدها : يا رجالي افتدوني افتدوني افتدوني
بقطرة ماء !
فتُسقى بخلٍّ التشفّي
وتُشبحُ فوق صليب العقوق

★ ★ ★

لأنك عارية القلب في ليل هذا الضياع
لأنك أنت الحزينه
تظلين في غابهم أنت وحدك كبش الفدا في الصراع

سليل البدو

« دائماً وراء أرض خضراء جديدة »
« مهداة إلى غادة السمان »

(١)

تطيب ساعة الوصول
رمانة القلب تفور ، والعصير طازجٌ مثير
أقول : ها هنا مطافنا الأخير
وبعده يا أيها الجوّال نستريح



الأرض في مدارها تقلّب الفصول
وحولنا مروحة الرياح في المدى تدور
تمحو رسوم خطونا على عباءة الرمال

وكأسنا مطروحة ، منزوفة العصير

★ ★ ★

ويشرئبُّ القلبُ للترحال
أردّه : كفاك يا جوّال
قد آن بعد اليوم أن نستريح

....

يمضي سليل البدو لا يلوي
مشرّعاً هودجنا للريح

(٢)

منذ بداية السفر
حدثني عن دمِّه الفوّار
عن قسوة التجوال واستحالة القرار
حدثني عن الرياح والرمال
لم أُصْغِ حين قال :
لا تتبعيني، لا . . .
وقد تبعتهُ ، تبعتهُ ، تبعتهُ
وقدْ تبعتهُ طوال رحلة العمر !

أنتهي لأبدأ

أمّي الحياة، وفي كينونتي دمُها
يبقى على نهجها بدئي ومنقلبي
ما خنتُ ناموسها، منها حملتُ معي
سرَّ الطبيعة، طقْسَ الأرض والعُشُبِ
لم تذو في كرمتي يوماً عرائشها
إلاَّ لترجع لي ريّانة العنب
والقلب ما عاش يبقى نخلُ غابته
محملاً بجديد الطلْع، بالرطبِ
أنا التحوّلُ، في صيرورتي أبداً
توهّجُ الكشف، مدُّ الماء واللَّهب

صورتـان

(١)

بالخطوات المتعبة
حطَّ على مشارف المغيب
سبعون صخرة تدحرجتْ وراءه
على الطريق
والشمس زاد عمرها سبعين عام .

- سبعين عاماً زاد عمرها ؟
سبعين عام ؟!
حتى التي تنسج خامةَ الزمان
يلفّها الزمان في ردائه العتيق ؟! -

وقهقه الزمان . . .

(٢)

تحرَّكت غيمه

ونعفتْ ضفائر الأمطار
فارتعشتْ حدائقُ الورد
ضاحكها طفلٌ وضمَّ أُمَّهْ
وعبَّ من حليبها المدرار
ونام والشمسَ على وعْدِ

حين ازدهرت الأشياء في غير أوانها

موعدنا كان على المنحدر
ذات مساء مضيء
أمرع فيه حلم وازدهر
شوق مليء
لكنني حين وقفت والتفت
أطل ثم حط
طير سنين القحط

★ ★ ★

خنقت زهر الحلم والأشواق
وعدت أدراجي
أخبط في معركة الأعماق

★ ★ ★

ذاك المساء المضيء
رجوت من تحبه نفسي
ألا يجيء !

وطلع القمر

دربي موحشة ، يزحف فيها جبل الليل
تتفلَّعُ تحتي أرضي العطشى
تتراخى ، تفلت ، لا تتماسك
تهرب أرضي من قدمي



دربي يحجزها خط النار ، يزنّرها حقل الألغام ـ
تحاصرها نقط التفتيش

غيلان الليل تطارد فيها حتى الظل
وتمزّق حتى شفتي طفل
غنّى في الدرب : أريد أعيش !

★ ★ ★

وأنا في قبضة هذا الليل

والوطن هنا الغربة والنفي
وأنا في زحمة هذا الويل
يا قمري كيف وصلت إلي ؟

كنوز الخير

الشوق شراع مفتوح
والرؤيا سيدة الريح
تتهاوى كل الجدران ويبحر وجهك في عينيْ



يشتعل الحلم ، نخيل أريحا يضحك للشمس
يتحرك قلب البحر الميت ، يحلو ماء الملح المر
تعلو الأمواج يفيض البحر
تغسل كفاه في وطني
قسمات الحزن الخوف اليأس
الأرض العطشى تخضر
تنهمر ، تفيض كنوز الخير

انتظار على الجسر

---

(١)

ليالِيَّ واقفةٌ والزمان كسيح
تراه يجيء ؟ انتظارٌ أنا
تشارين تنثر أوراقها في رمال الصحارى
تشارين ترخي مناديلها على المقل الدامعه



ليالِيَّ واقفةٌ ، ضفة النهر عطشى
ونحن على الجسر ـ عيني وقلبي وأذني ـ
على الجسر نحن عطاشٌ عطاش
ولكنما الأردن اليوم يلجمه الليل ، لا يتدفق ـ
لكنما الأردن اليوم ليس يغني

منابعه لا تدندن ، آه ، وعدت تجيء
مجيئك دفق المياه وقوتها الدافعه

★ ★ ★

ليالٍ واقفةٌ . . صَمْتُ داري انتظار الزمان البطيء
تراه يجيء ؟
غيابٌ غيابٌ غياب

★ ★ ★

وغاب الغياب
يزهِّر صوتُك ، جفناي ينسدلان على نخلة فارعة
اهزُّ إليَّ بجذع النخيل فيهمي ، وفوق الجنى انحنى
تلملمه شفتاي ، يداي ، وامسح كفي بثوبي
فتشرب أطرافه عبق الحلم ، أرفع وجهي
فتغسله شمسك الساطعة

مجيئك عيد الأخاديد ، زغرودة الأرض ، لمُّ الشتات ـ
ويا عبق الحلم قلبي بحار اشتياقٍ ، ذراعاي نهرا
عناقٍ ، وعيناي عيناي لهفة حب تنامان تستيقظان
على مرج خضرتك اليانعه

في قبضتي الربيع والحزن

كييف تكوَّن ؟ كيف تنامى ؟
كيف توغَّل في الأبعاد وعرَّش حتى افترش الدنيا ؟

. . . .

يشبعني حزناً وهو يفجِّر فيَّ ربيعاً ورديا
يشبعني موتاً وهو يمسُّ رماد القلب فيُبعثُ حيّا

. . . .

حوِّلْ عني هذا الأمر . . .
هو أكثر مما يحتمل القلبْ
هو أكبر مما تسع الرؤيا

اترك لي شيئا هذي المرة

أبي خلق الدنيا حبيباً تديمه
فما طلبي منها حبيباً تردُّه

« المتنبي »

لا ديمومة لشيء

« ملحمة جلجامش »

إذا كان قد كُتب على المرء أن يفقد
كل شيء فإنَّ عليه أن يبحث عن
شيء لا يمكن فقْدُه

« همنجوي ـ في بلد آخر »

(١)

تتراجع كلُّ حدود العزله

يتكسَّر كلُّ جليد العالم هذي الليله
ارْجعتَ لي الزمنَ المفقودَ ، دحرتَ الوحشه
وانسحب الدمعُ ، تراجع نحو غيابة كهفٍ لامرئيْ
انسحب نزولاً ، غيَّبه باب سريّ
وانهمر على العطش المزمن مطرٌ وتدفَّق جود
باركتُ على كرم الدنيا
واللحظةُ فاضتْ ، غطَّتْ وجه العالم واكتسحت
أبعاداً فيه وحدود



رقصتْ أجراسُ الصمتْ
حدثني إيقاع الصمت عن الغبطه
إذ تتنامى في أرض القلبْ
حدثني عن فرح الأعياد ، عن الدهشه
حدثني عن فَوَحانٍ باهر
عن موتٍ حلوٍ وشهيٍّ في لحظة حبْ
....
غبتُ وغاب العالمُ في لحظة موتٍ باهر

(٢)

رجع العالمُ واسترجعني من أشهى موتْ
محزوناً عاد رنينُ الصمتْ

حدثني عنِ ألم الفقدان وعن خاتمة للأشياء
سمَّاها تنّينَ الحزنْ
مخنوقاً حدثني عن لا ديمومة كلِّ الأشياء
وعلى الباب الموصد خلف الأعماق تعالتْ وتعالتْ
طَرَقاتُ الدمع
وامتدَّت في صدري وترامتْ
صحراء الربع الخالي
لفَّتني عاصفة رمالٍ
لجلج فيها طيرٌ أعزلُ لا تحميه حتى سِدره
غاصتْ روحي ، هتفتْ روحي بالزمن اللصْ :
يا سارق أشيائي قف !
اترك لي شيئاً هذي المره



يكبر في قلبي وحش الحزنْ
لو يرجعك الزمنُ اللصُّ إليّ
لو يسرق مني هذا الحسَّ المأساوي

احتراق على حدين

ألمُّ خيوط التذكر ، أنسج صورة وجهك ، استرجعُ ـ
القسمات ، الزوايا ، وميضَ النجوم على بحر عينيك ،
ألمح وجهك في الظلّ في نصف رؤيه
ولكنَّ وجهك يفلت فجأه

★ ★ ★

أعود ألمُّ خيوط التذكّر ، يسري براق الخيال
يحاول يقنص وجهك ، يرفع عنه قناع الظلال
تباغتني آلة الوقت ، يعبر وجهك دائرة الضوء فجأه
ويفلت فجأه
وتبقى الظلالُ ، ووجهك يخفى
ويبدو ويخفى
ويبدو ويخفى

وتختلط القسماتْ



يمدّ مسافاته الليل ، تبقى
على أفق الليل شمعه
تذوبُ احتراقاً وتفنى
على حدَّيّ الشوق والذكريات

هذا الصمت المكابر

قصيدة
على الليل محمولة ، تغزل الحلم عند موانى التوقّعِ ـ
تنسجه في انتظار الصباح
وعند ارتحال النجوم البعيده
يظلّ غيابك ملءَ الصباح ، وتبقى القصيدة أرجوحةً ـ
في الفراغ معلقة بذيول الرياح



تجيءُ المراكب لا صوت منك ، تعود المراكب لا صوت منها
وعندالموانى يحوّم طائر
يقيس الزمان بدقّات قلبهْ
ويدفن في الثلج آهات حُبِّهْ
وتبقى القصيدة عصفور شوقٍ بغير جناح

فلا هي يوما إليك تسافر
ولا الوقت يُدني البعيد



لماذا نضيّع أعمارنا في منافي الجليد ؟
لماذا نبددها تحت صخرة شوقٍ كئيبٍ وصمتٍ مكابر ؟

وجهك ملء السفر

يحاصر وجهك روما ، وروما تردّ عليها الغطاءْ
تنام على قصص الحب خلف النوافذ ، تمنح أسرارها للمساءْ
يحبون ، طوبى لهم
وروما تحنُّ على العاشقين وتأسى إذا ما
تنفَّس فيها الصباح وفتَّح كوَّته للشوارع



دمُ القلب يسقي الطيوفَ الرواجعْ
على وهـج الذكريات أسافر :
يغمّض عينيه ضوءُ المصابيح في « جوبيلي » غرفتي -
تحتمي بالستائر

صديقك « موزارت » يغدق كلَّ عطاياه ،
يغتمر القلب في الحبِّ ، يشتعل البحرْ ،

يأخذنا البحر ، ألمسُ وجهك ، أرنو إليه
أخاف تكون مجرد حلمٍ جميل
أزيد التصاقاً ، يداك تردّان فوقي الغطاءَ ـ
لا بردْ
حضورك دفءٌ ، حضورك وهْجٌ وَوَقْدْ
هوانا روافده تلتقي
نغيب مع المدّ ، نطفو ونغرق في اللاّزوردْ

★ ★ ★

يحاصر وجهك روما
وروما تشفُّ كبلّورة السحر في كفّ ساحر
ووجهك فيها يطاردني عبر كل الشوارع ، يطلع لي من صفوف ـ
المقاهي تسدُّ منافذ هذا الرصيف وذاك الرصيفْ
ووجهك يطلع لي من رسوم المتاحف ، يبزغ لي من جسوم ـ
التماثيل ، يومىء لي من سقوف الكنائس ، يرمقني من ـ
عيون التصاوير ، أهرب منه فألقاه في حجرات الفنادق ـ
منتصفَ الليل منتظري في السكون الرهيفْ
واهرب أهرب منه وأين المفرْ
ووجهك ملءُ الحقيبة ملءُ السفر .

★ ★ ★

تحاصرني الآن ، أصبو اللك ، تُرى أين أنتْ ؟
وحيداً على درب « ساز جون » في هدأة الليل والصمت ؟

تثرثر تحت دخان السجائر في ركن مقهى ؟
يضمُّك ملهى ؟
يشدّك في مقعدٍ جانبيٍّ كتاب ؟
تصبُّ متاعبَ يومك في الكأس ؟ تُرجعني من طوايا الغياب ؟
تهوّمُ ؟ تحلم بي حلماً مبهماً ؟
بجنبك واحدة ؟ أين أنت ؟
أحنُّ إليك وصفصافة الشوق تهدل أغصانها فوق أرض الظَّما

مبارك هذا الجمال والعذاب

هبطتَ في المساءْ
أتيتَ محمولاً على سحابه
جئتَ نبياً باهر العطاءْ
منحتني بشارة الحياه
منحتني البكاء والكآبه



حديقة الجمال والعذاب ملكنا
لنا جناها طازج القطافْ
يداك فيها جدولاً عناق
أفيء للضفّاف
يضيء وردُ العشق في دمائي
تنمو بذور الحزن في الأعماق

★ ★ ★

يا حبُّ يا خلّاقْ
يا مبدع الجمال يا
مفجّر الأوجاع
يا باعثاً وجودي الجميل ، يا مشتّتي
على حدود الموت والضياع
يا حبّ ، يا حقيقة الحياة يا
توهّج السراب
مبارك أنت ، مباركٌ
هذا الجمال والعذاب

موعد

تستوطن الصدر المحبَّ ، تدق في الصدر
المحبّ ، تدقُّ ، ينهمر الجمال البهجةُ الحزنُ
البهاءُ الفرْحُ ، هذا موعد الموت الجميلْ
يأتي فتختلج الحياة على شواطىء ليله الورديّ ،
تربو الأرض ، ينمو العشبُ ، تتحد الفصولُ
على عناق النار والظل الظليل

....

ياموعد الموت الجميل أنا انجذاب في مداركْ
أنا وهْج شوق في انتظاركْ
تأتي فينهض فوق أرضك كلُّ شيء مستحيل

في ليل المدينة الكبيرة

وتأخذك المسافاتُ مني
يردّك أفقُ الخيال
أغوصُ بوديان عينيك عبر الخوان°
يظلّلني الفيءُ ، ترفع كأسك ، يبسم عقدٌ من الياسمين على
شفة الكأس ، يصغي النبيذ إلى همسة العطر ، اشربُ
وجهك ، اشربه ملمحاً ملمحاً ، يشرنق حبك حول وجودي
يغيب المكان
على الكأس تنثر زهر الحديث ، تفتّحُ أبواب ماضيك ، أسرحُ،
المح ظلّ غدٍ قادمٍ أنا فيه أمسٌ وذكرى
[أنا الآن ملء مساحة ماضيك] « يقطّر دولابُها الوقت ،
تركض نحو المصبّ الثوان
أُلملمها قطرةً قطرةً ، أشدُّ عليها وأفصلها عن محيط الزمان
اخبئها في مطاوي الشعور الخفيه
[هي الآن نبض دماءٍ تغمغم فيّه]

نقوم إلى الليل ، تفتح « لندن » أبوابها الذهبيه
وندخل أرض « تشيخوف » ، نعانق عالمه الرحب ، نقتسم الشجنَ
الشاعريَّ ، نحنُّ على « الأخوات الثلاث »(★) يعشن نضوب الزمان
البخيل
ويحلمن بالغائب المستحيل
نغلغل في الليل ، نمسي على صدرِه وهْج شمسينْ ، نغفو ،
يدثّرنا الليل ، ترخي يداه السدولَ علينا
لو أنَّ الزمان يعود الينا
لو انّ المكان !

(★) مسرحية « الأخوات الثلاث» صور فيها « تشيخوف » ثلاث أخوات يعشن في قرية في الريف تبعث على السأم ، وكان هؤلاء الأخوات يعانين من حياتهن الخاملة في القرية الخاملة ، ويتلهفن ويتطلعن إلى مزاولة الحياة المتحركة في مدينة موسكو والانطلاق في أجوائها الرحبة . لكن هذا التوق يظل حلماً بعيداً عن التحقيق مشوباً بأملٍ مبهم .

بين الحلول والفراغ

يخرج من مخبأه الشوقُ غزالاً يعدو
يستدرجني عبر الفلوات
يدخل بي عاصمة الذات
تأتي أنت على صهوات الريحِ المطرِ الليلِ الشمسِ اللَّونْ
منتشراً في ذرات الكونْ
تسلك دربك في عينيّ
تسري في الأوردة ، تنقّل خطوك في الأنسجة ، يتمُّ
حلولك ، أصبح أنتْ
لكني حين أمدُّ يديّ
لا ألمسُ غير القطب الزاحف مشتملاً بفراغ الصمتْ

مراهقـة

يا نخلتي يحبني اثنانَ
كلاهما كورد نيسان
كلاهما أحلى من السكر

وتاه قلبي الصغير بينهما
أيهما أحبه أكثر؟؟
أيهما يا نخلتي أجمل؟
قولي لقلبي ، إنه يجهل



في الرقصة الأولى
بين ظلالٍ وهمس موسيقى
وشوشني الأول
وقال لي ما قال

رفَّ جناحا قلبي المثقل
بالوهم ، بالأحلام ، بالخيال
لم أدر ماذا أقول أو أفعل

★ ★ ★

في الرقصة الأخرى
حاصرني الثاني
وطوّقتْ خصري ذراعان
نهران من شوق وتحنان
وقال لي ما قال

رفَّ جناخا قلبي المثقل
بالوهم ، بالأحلام ، بالخيال
لم أدر ماذا أقول أو أفعل

★ ★ ★

واحيرتي ! يحبني اثنان   كلاهما كورد نيسان
كلاهما أحلى من السكر   أيهما أحبه أكثر ؟
أيهما يا نخلتي أجمل ؟   قولي لقلبي إنه يجهل

رسالة الى صديق

وصلتني منك اليوم رسالة
فيها نبض فيها شعر
ترجع لي ذكرى الزمن الضائع من أيام العمر
تنسيني هذا الزمن الشائه زمن القهر
كلماتك تورق ، تزهر
اتنسم فيها ريح العنبر
اتفيأ ظل الشجر الأخضر



تسألني عن أحوالي
حالي حالي لم تتغير
الأيام هنا تتشابه ، ليل يوصد نافذة الفجر
نحلم فيها ، نعمل ، نأمل ننتظر طلوع الفجر . . .

كل الأيام سواء عندي إلا يوم السبت(★)
لو تعلم ماذا تعني لي أيام السبت
فيها يصبح للأشياء هنا في بلدي وجه مظلم
وشميم ليس يطاق
ومذاق . . . ما أحلى العلقم !
الصبر يهاجر من قلبي أيام السبت
إذ يهجم طوفان الخوذات على الأرصفة على الأسفلت
الجيش هنا وهنا وهناك يسد بقلبي شريانه
يملؤني ذلاً ومهانه
يطلع في جسدي شجر المقت
ومريئي يتصلب حتى الموت
يعجزني أن أبلعها أيام السبت
من ماتوا ماتوا مره
وأعاقر كأس الموت هنا في أيام السبت المره
ألفي مره
أمقتها ، كم أمقتها أيام السبت
أرشقها بنبال الرفض وحشرجة القلب المذبوح
وأجدف تحت معاناتي وأئنّ وصدري مفتوح :
يا وطني . . آه يا وطني !



(★) يوم السبت هو يوم العطلة في « إسرائيل » يتدفق فيه « الاسرائيليون » على بلدنا المحتل ويجوبون الشوارع بحماية جنود الاحتلال مما يكثف لدينا الشعور بالغربة في وطننا المحتل .

لكني في غمرة أحزاني
أرفع وجهي وأقلب طرفي في الظلمات
فيطل من الأفق النائي
نجم يغزل خيطان الضوء ويضحك لي عبر الفلوات

حكاية أخرى أمام شباك التصاريح

« مهداة إلى الطفلة (طروب) في الضفة الشرقية »

انت يا غنوة حب عذبة ، يا لحن مزهر
اقرئيني في الغد الآتي وإذ تضحين يا حلوة أكبر
اقرئيني في الغد الآتي فشعري
صورة من واقع جهم مكدر
أمس يا حبة عيني
فاض بي شوق إلى مراك ، شوق لا يصور
فتجهزت بتصريح لكي يأذن ضباط وعسكر
بعبوري نهرنا الغافي على حلم التحرر
ولدى الشباك في الجسر انتظرت الدور في صمت وفي صبر
حان دوري فتقدمت أحث الخطو جذلى
ولتعسي
رد لي الجندي تصريحي وأقصاني بعيداً وتأمر :
(ارجعي من حيث أقبلت)
ـ : لماذا ؟

ـ : (ارجعي من حيث أقبلت) وزجر
قلت : ما ذنبي ؟ أنا لم أعص أمراً لا ولا زعزعت أمنا
لا ولا حرضت أو شاغبت في دولة (قيصر) . .
خبروني
أين ألقى ضابط الجسر عسى
يشرح الضابط لي ما لم يفسر
فأنا من فرط حرصي
وأنا من فرط حبي
لبلادي ولأرضي
ولبيتي ولبستاني وجيراني وللأشجار والأطفال والأحجار ـ
(والدوار) والسوق وأصحاب الدكاكين ومن خوفي من الإبعاد
والنفي الذي يقطع فينا مثل خنجر
لم أزل احتمل الاذلال والقهر وأصبر
صاح في حدته القصوى : (افهمي يا هذه ما قلت هيا
وارجعي من حيث أقبلت) وأقصاني وأقصاني بعيداً وتوتر
فتراجعت بخطو يتعثر
اي وربي لم أعد أفهم شيئاً غير كوني
في زمان اليتم والحكم اليهودي المقدر
ليس لي (معتصم) يأتي فيثأر
لا ولا (خالد) في اليرموك يظهر
. . . .
عدت أدراجي وجرح القلب يدمي
وبعيني دموع تتحدر

مرثيـــة

« إلى روح عندليب العمد »

وصلتِ ، اذن فاهدئي واستريحي ونامي على قدس هذا التراب
مشيتِ طويلاً بدرب الحياة وكان مسيرك جمَّ الصعاب
ودارت عليك الليالي بكأسٍ تفيض وتطفح مراً وصاب
فما هزمتـك الدواهي الكبارُ ولا اقعدتك طريق العذاب
طويتِ مآسي حياتك في القلب ثم انطلقت انطلاق الشهاب



أسيّدة الفعل يخجلني القولُ بعـدك كلُّ حـديثٍ سراب
طلعت علينا كضوء الـثريا بغير ادّعاءٍ ، بغير اصطخاب
وعلّمتنا كيف ينفجر الصمتُ فعلاً فصيحاً مبين الخطاب
فكنت كأرض فلسطين تزكو وتطفح خيراً وعطراً مذاب
وكنت الدعامة بين دعامات صرحٍ عتيدٍ خصيب الجناب
وحقلاً من القمح يعطي الغلال ويُشبع جوع المنى والرغاب
مآثرك الخضر عبر كفاحك تنبىء عن معطيات السحاب

بســاتــين مثقلة بــالـثــمار تعرش فيها الغصون الرطاب
بذرتِ البذار وكان الحصاد سخيـاً وكان الجنى مستـطاب

★ ★ ★

وصلت، اذن فاهدئي واستريحي ونامي على قدس هذا التراب
وأعلم أنـك لن تسـتريحي ولن تعتقي من اسىً واكتئاب
وكيف ولـلاحتـلال حضـورٌ تدقّ يداه عـلى كل بـاب
يـدبّ هنـا وهنـا وهنــاك يُشيع الأذى ويشيع الخراب
يعربد في الأرض صلاً خبيثاً ويجثم في الأرض تنين غاب
يمـزّق لحم البـلاد اقتـداراً ويسلخــه عنـوةً واغتصــاب
ونحن هنا في البلاء المحيق نكابد من غربة واستـلاب

★ ★ ★

بلاد الجراح يبوسُ جراحك شعب تجرع فيك العـذاب
تبعثره الريح في كل صوب وتنــثره في منـافي اليبــاب
تعمَّـد بالـدم جيلاً فجيـلاً وأدمن فيك ركوب الصعاب
وأعطى القرابين تلو القرابين أعطى ويعطي بغير حساب

★ ★ ★

بلاد الجراح يبوس جراحك شعب تجرع فيك العـذاب
تصـوَّف في عشقـه لـثراك وتمَّ حلولـك فيـه وطـاب
فلسطين مهما ادلهمّ الفضاءُ ومهما توارى السنى بالحجاب
سيبقى لشعبك حلم ونجم وبوصلة عند خـوض العباب
حساب الشعوب كما تعلمين عسير يدكُّ الصخور الصلاب

وهذا زمان انفجار الشعوب وللشعب ظفر وللشعب ناب
فلسطين شعبك جذر عتيق يغوصُ بأعماق هذا التراب
لأقسم باسمك لن يستريح ولن ينثني قبل يوم الحساب

ديسمبر / ١٩٧٩

انشودة لينا

لينا لؤلؤة حمراء تتوهج في عقد الشهداء
لينا غنوة حب وفداء غنتها أرض فلسطينا

★ ★ ★

لينا لينا قلب الأرض دمه المتدفق والنبض
لينا لينا صوت الرفض تعرفه أرض فلسطينا

★ ★ ★

لينا صوت الشعب الهادر لينا غضب الجيل الثائر
لينا نور الحق الباهر يسطع في أرض فلسطينا

★ ★ ★

لينا عيناها ينبوع وأصابعها ورد وشموع

وضفائرها علم مرفوع يخفق في أرض فلسطينا

★ ★ ★

لينا أصبحتِ الرمز الأكبر حين النبعُ الثرُّ تفجَّر
من عنقك دفاقاً أحمر يسقي زيتون فلسطينا

★ ★ ★

الكفُّ العمياء الدمويه قتلتك على درب الحريه
لكنك ذكرى أبدية تحيا في قلب فلسطينا

شهداء الانتفاضة

(١)

رسموا الطريق الى الحياة
رصفوه بالمرجان ، بالمهج الفتيّة بالعقيق
رفعوا القلوب على الأكفّ حجارةً ، جمراً ، حريق
رجموا بها وحش الطريق
ـ : هذا أوان الشدّ فاشتدي !
ودوّى صوتهم
في مسمع الدنيا واوغل في مدى الدنيا صداه
هذا اوان الشدّ !
واشتدتْ وماتوا واقفين
متألقين كما النجوم

متوهجين على الطريق ، مقبّلين فم الحياة :

(٢)

هجم الموت وشرّع فيهم منجله
في وجه الموت انتصبوا
اجمل من غابات النخل واجمل من غلات القمح وأجمل من اشراق الصبح
أجمل من شجر غسلته في حضن الفجر الأمطار
انتفضوا . . . وثبوا . . . نفروا
انتشروا في الساحة حزمة نار
اشتعلوا . . سطعوا . . وأضاءوا
في منتصف الدرب وغابوا

(٣)

يا حلمهم تلوح في البعيد
تحتضن المستقبل السعيد
على يديك بعثهم يجيء
مع الغد الآتي العظيم بعثهم يجيء
يطلع من غيابة الردى
في وجهه بشارةً
وفي جبينه الفسيح نجمة تضيء

(٤)

سيظلّ رضيعاً طول العمر
لن تنزعه عن ثدي الأرض حشود الشر
او غيلان الجوّ البرّ البحر
لن يفطم مهما استشرى الغاصبُ لن يُفطم
مهما صَبغت كفّ الموت بليلة غدر
حلمة ثدي الأرض الثرّ بمرّ العلقم

(٥)

انظر اليهم في البعيد ـ

يعانقون الموت من اجل البقاء

يتصاعدون إلى الأعالي
في عيون الكون هم يتصاعدون
وعلى حبال من رعاف دمائهم
هم يصعدون ويصعدون ويصعدون
لن يمسك الموت الخؤون قلوبهم
فالبعث والفجر الجديد
رؤيا ترافقهم على درب الفداء
انظر اليهم في انتفاضتهم صقوراً ـ
يربطون الارض والوطن المقدس بالسماء

حبيب مدينتي

الى روح الشهيد ظافر المصري
« التقارير الخاطئة قد تدمر الأبرياء »

يا سيدي . يا ايها المظلوم انت ، ويا حبيب مدينتي
جهلوك ، لو عرفوك ما قتلوك ، لو عرفوك كانوا
بسطوا اكفهم اليك ، ومن منافيهم اتوك وعانقوك
واستغفروك
لكنهم جهلوا
يا شؤم ما فعلوا
قتلوا البراءة والطهارة
هدموا منارة
ماذا أقول ؟
والشعر مبحوح اللّهاة وصوت كلماتي تصادره المرارة

★ ★ ★

يا اخوتي
قلبي عليكم في متاهات الصراع

ما ضلَّ « ظافرُ » في مسيرتنا طريقه
فاستغفروه استغفروه
كان الوطن
متداخلاً في روحه
متوغّلاً في جسمه
مستوطناً في دمِّه المهدور ، محتوياً عروقه
اواه يا ظمأ الحقيقة !
اواه يا ظمأ الحقيقة !

٢ / مارس / ١٩٨٦

الى روح « لمى » فاروق طوقان

« كنت املنا الكبير . كنت حلمنا الواعد
بالعطاء الإنساني الرائع » .

نحبك ، نبكيك لا تبعدي
حنانك لا تمعني في المغيب
اتمضين كالحلم ؟ كيف وقد كنت
ملء العيون وملء القلوب
فيا قسوة الموت يوم طواك
وحطّم غصن صباك الرطيب
« لمى » لن تغيبي ، يظلّ حضورك
اقوى من الموت ، لا لن تغيبي

وحدك وحدك

(١)

عارية تحت فحيح الشمس

وحدك تقفين

في صحراء الربع الخالي

تقفين وتمتدين سؤال

مشنوقاً يتأرجح دون جواب

عبر فراغ خلف فراغ خلف فراغ

(٢)

وحدك يا نفس تموتين

وحدك في قبرك تثوين

فضح الموت الدنيا

لم يترك فرحا لفطين

الفهـــرس

وحدي مع الأيام

وجدتها

قصائد من رواسب «وحدي مع الأيام»

أعطنا حباً

أمام الباب المغلق

قصائد الى ج . هـ .

الليل والفرسان

على قمة الدنيا وحيدا

تموز والشيء الآخر

